بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم درمان الإسلامية

كلية الدراسات العليا

كلية اللغة العربية

قسم الدراسات الأدبية والنقدية

رسالة دكتوراة

بعنوان

أسرار التنكير والتعريف في الحديث النبوي

(دراسة بلاغية تطبيقية تحليلية في صحيح البخاري)

إعداد الطالب:

أحمد محمد النور أحمد

إشراف الدكتور:

عبدالرحمن عطا المنان

العام الدراسي

١٤٢٦هـ

—

٢٠٠٥م

دعاء

رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي

وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي

وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي

يَفْقَهُوا قَوْلِي

سورة طه، الآية (٢٥-٢٨)

الإهداء

إلى أمي

إلى ابي

رحمهما الله

اهدي ثمرة جهدي

إلى زوجتي

رفيقة دربي

الأستاذة: فاطمة عكير الدامس

اهدي هذا البحث

شكر وتقدير

احمد الله على جزيل نعمائه، واشكره شكر المعترف بمننه وآلائه، واصلي واسلم على صفوة أنبيائه وعلى آله وصحبه و أوليائه.

و أخص بالشكر جامعة أم درمان الإسلامية على ما تقوم به من خدمة عظيمة للإسلام والمسلمين ، كما اجزل الشكر والعرفان لكلية اللغة العربية بهذه الجامعة العريقة لما تتفرد به من إعداد طلابها بتهذيب العقول والنفوس.

كما اشكر أيضاً كلية الدراسات العليا بالجامعة، بما منت به عليّ من إعطائي فرصة للبحث والدراسة.

وكما اجزل الثناء عاطراً لأستاذي المشرف على هذا البحث البروفسير: بابكر الجزولي عثمان الذي أعطاني من وقته مراجعة ومناقشة لما اكتب و أعيد، فقد رأيت فيه سمة العلماء صدقاً وحلماً وصبراً، إذ كان لتوجيهه اعظم الأثر في تيسير صعاب مهمة البحث فجزاءه الله خير الجزاء.

كما الشكر موصول إلى رفيقة دربي وزوجي المحامي الأستاذ: فاطمة إبراهيم عكير التي أعانتني بأفكار طيبة حول هذا الموضوع.

واسطر شكري لكل من أعانني بتوجيه أو أزجى لي نصيحة غالية في سبيل الوصول إلى خدمة هذه اللغة الحبيبة إلى قلوبنا.

وأخيراً أدعو الله عز وجل أن يعين امتنا على إتقان هذه اللغة قراءة وكتابة وتحدثاً وتذوقاً خدمة لكتاب الله العظيم، كما ادعوه تعالى أن يمنح هذا البحث قبولاً طيباً؛ وذلك لما أنفقت فيه من الجهد والوقت.

و الله الموفق

الباحث

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإن الرسول الكريم ﷺ وإن كان عربي المولد، عربي اللسان، إلا أنه عالمي الرسالة – قال تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)[١].

وعلى هذا فان بيانه عالمي، ولقد أدّب الله حبيبه ﷺ بهذا البيان العالمي البليغ، وأثنى عليه، لأنه قد أدّب الناس به، فقال جلّ شأنه: (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً)[٢].

ومنذ البعثة النبوية والحديث النبوي يودي دوره في الرسالة الإسلامية العظمى التي قامت على هداية الناس، ودعوتهم إلى ما يرفع مستواهم، و يصلحهم في دينهم ودنياهم من أقرب الطرق وأقومها.

(وكانت البلاغة النبوية النموذج الأمثل للبلاغة التي يمكن أن تصدر عن بشر، ولم لا وقد آتاه الله جوامع الكلم.)[٣]، وفي حديث أبي هريرة قال: قال النبيﷺ: **(أعطيت مفاتيح الكلم..)**[٤].

إن بلاغة الرسول ﷺ والواردة في أحاديثه التي روتها كتب السنة الصحيحة لهي دليل ساطع على صدق رسالته، حيث تأدّب على مائدة القرآن، وتحلى بأخلاقه كما قال تعالى: (وإنك لعلى خلق عظيم)[٥].

وهذا البحث هو محاولة حول البلاغة النبوية، أقدمها للقارئ حباً في حديث رسول الله ﷺ وبلاغته، فإن اكن وفقت في هذه المحاولة فبتوفيق من الله عزّ وجلّ، وإن تكن الأخرى فبتقصير مني، وأسأل الله العفو والعافية وحسن القبول.

---

[١] سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.
[٢] سورة النساء، الآية ٦٣.
[٣] من بلاغة الحديث النبوي: محمد أحمد سحلول، (ط١ دار الاعتصام – القاهرة: سنة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م) ج١ ص٦.
[٤] أخرجه البخاري في كتاب التعبير، وأخرجه مسلم.
[٥] سورة القلم، الآية ٤.

خطة البحث

إن التعريف و التنكير يعتبران من الأساليب البلاغية التي تقتضيها أحوال المخاطبين، ويقصدها المتكلم؛ وقد تكلم النحاة عنها من الناحية الإعرابية المحضة، أما البيانيون وعلماء البلاغة، فكان حديثهم من زاوية أخرى، وفي مجال آخر، حيث تحدثوا عن الأغراض والدواعي التي يكون من أجلها التعريف، كما تحدثوا عن الدواعي التي تقتضي التنكير.

ثم إن أساليب التعرف والتنكير إنما تكون للمسند إليه والمسند في بعض أحوالهما، وما يلاحظ على عنوان البحث هو تقديم التنكير على التعريف؛ لأن الأصل في الكلمة التنكير؛ لأنه مطلق، ولأن التنكير لا أداة له سوى أن يُخلي اللفظ من أدوات التعريف التي يأتي الحديث عنها تفصيلاً.

إذن حري بنا أن نبحث عن أسرار التنكير والتعريف، وما يضفيانه من روعة، وما يحدثانه من أثر في النفس.

أما عناصر خطة البحث فكالآتي:

أولا: أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في أن الأغراض البلاغية للتعريف و التنكير إنما تدرك بالذوق، والحس المرهف، وتري البلاغيين إذ يذكرون بعض الأغراض والدواعي، فهم بذلك إنما يفتحون لنا الباب لنلتقط درر المعاني ونفائسها، وندرك لطائف التعريف التنكير، ونقف على أصالة المعرفة، وأسرار التنكير في الكلمة المبهمة.

ثانيا: أهداف البحث:

١- الوقوف علي المعاني التي تفرد بها الحديث النبوي، وإدراك كنه الصلة الوثيقة التي تربطه بالقران الكريم.

٢- الكشف عن الكلمة المبهمة في الحديث النبوي، لإزالة إبهامها وغموضها، وتحليل دلالتها بالدليل القاطع.

٣- الكشف عن الصور البيانية، والمعاني الكامنة وراء أسرار التنكير والتعريف في الحديث النبوي من خلال الأغراض البلاغية الكثيرة التي يحددها سياق الكلام، وقرائن أحواله بالتطبيق والتحليل وقوة الدليل في صحيح البخاري.

ثالثا: منهج البحث:

هذا البحث يتناول المنهج الوصفي التحليلي، كدراسة بلاغية تطبيقه في الحديث النبوي علي صحيح الإمام البخاري.

رابعا: مصطلحات البحث:

وردت في هذه الخطة مصطلحات أساسية، وتتفرع منها أخرى فرعية هي كما يلي:

التنكير- التعريف- الضمير- العلم- الكنية- اللقب- الإشارة- الموصول- اللام(أل)- الإضافة- الإبهام- النوعية- التعظيم- التقليل- التكثير.

خامساً: الدراسات السابقة:

لقد تم بحث هذا الموضوع من قبل كدراسة تطبيقية في القرآن الكريم، وقد رأيت من تمام الفائدة أن أتناول هذا الموضوع بالتطبيق في الحديث

النبوي؛ لأن الحديث النبوي هو التفسير الفعلي والتطبيق العملي للقرآن الكريم، فقد كان رسول الله ﷺ قرآناً يمشي بين الناس.

ثم أني اخترت– صحيح البخاري كنموذج للتطبيق والتحليل؛ وذلك لما تفرد به الإمام البخاري من دقة في تصنيف الأحاديث وتخريجها، ولخصائص أخرى تذكر لاحقاً.

سادساً: المصادر والمراجع:

إن مادة البحث متوفرة في مختلف المصادر والمراجع قديمة أو حديثة، وفي مقدمة هذه المصادر والمراجع صحيح البخاري إذ هو المعول عليه في ذلك، هذا بالإضافة إلى غيره من كتب الصحاح المتاحة في كثير من المكتبات، وسيكون اعتمادي أيضاً على شروح صحيح البخاري، وفي مقدمتها شرح أبن حجر العسقلاني، وشرح البدر العيني وغيرهما.

أما مادة البلاغة، فهي أيضاً متنوعة، ولكن يظل الإعتماد أصلاً على المصادر القديمة، ثم المراجع الحديثة، ومثلها في ذلك مصادر النحو ومراجعه، هذا بالإضافة لكتب التفاسير، كتفسير الزمخشري الموسوم بالكشاف، ثم كتب الأدب، وكل ما له صلة بموضوع البحث.

سابعاً: هيكل البحث:

يحتوي موضوع البحث على خمسة فصول يسبقها تمهيد يشتمل على الأتي:

أ. مفهوم الحديث النبوي.

ب. بلاغة الرسول ﷺ في أداء الحديث.

ج. ترجمة الإمام البخاري.

د. خصائص صحيح البخاري.

الفصل الأول:

الأسرار البلاغية للتعريف بالضمائر

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول:

التعبير بضمير التكلم

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

١- مفهوم التعبير بالضمير.

٢- دلالة التعبير بضمير المتكلم وحده.

٣- دلالة التعبير بضمير المتكلم المعظم نفسه.

المبحث الثاني:

التعبير بضمير الخطاب

ويشتمل على أربعة مطالب:

١- مفهوم التعبير بضمير الخطاب.

٢- دلالة التعبير بضمير الخطاب على المعين المشاهد.

٣- ما ينزَّل منزلة المخاطب المعين.

٤- ما ينزَّل منزلة المخاطب المشاهد.

المبحث الثالث:

التعبير بضمير الغيبة

ويشتمل على ستة مطالب:

١-مفهوم التعبير بضمير الغيبة.

٢-دلالة اللفظ التحقيقي على ضمير الغيبة.

٣-دلالة اللفظ التقديري على ضمير الغيبة.

٤-دلالة المعنى لدلالة اللفظ على الغيبة.

٥-دلالة القرينة الحالية على الغيبة.

٦-دلالة ضمير الشأن والقصة على الغيبة.

المبحث الرابع:

صور من أساليب التعبير بالضمير

ويشتمل على أربعة مطالب:

١-أسلوب التوكيد بضمير الفصل.

٢-دلالة التعبير بالضمير على القصر والاختصاص.

٣-أهمية تقديم الضمير وتأخيره.

٤-دلالة التعبير بالضميرين.

الفصل الثاني:

الأسرار البلاغية للتعريف بالعلمية.

يحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:

الأساليب البلاغية لتعريف الاسم بالعلمية.

ويشتمل على خمسة مطالب:

١-مفهوم الاسم العلم.

٢-دلالة الاسم بالغلبة على العلمية.

٣-دلالة إحضار الاسم للعلمية.

٤-قيود إحضار الاسم للعلمية.

٥-دواعي إحضار الاسم للعلمية.

المبحث الثاني:

الأسرار البلاغية للتعريف بالألقاب والكنى.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

١-مفهوم اللقب.

٢-مفهوم الكناية بالعلمية.

٣-دلالة الكناية على العلمية.

المبحث الثاني:

صور من أساليب التعبير بالعلمية.

ويشتمل على أربعة مطالب:

١-دلالة العدول من علَم إلى آخر.

٢-أهمية التقديم في الأعلام.

٣-دلالة العلم على القصر والاختصاص.

٤-أهمية العلم في جملة الشرط.

الفصل الثالث:

الأسرار البلاغية للتعبير بالأسماء المبهمة.

يحتوي على مبحثين:

المبحث الأول:

أسرار التعبير بالاسم الموصول.

ويشتمل على خمسة مطالب:

١- التخصيص بجملة الصلة.

٢- دواعي الإبهام في التعبير بالاسم الموصول.

٣- تقرير الغرض المسوق له الكلام.

٤- العدول عن التصريح بالاسم الظاهر.

٥- الإيماء إلى وجه بناء الخبر.

المبحث الثاني:

أسرار التعبير باسم الإشارة

ويشتمل على خمسة مطالب:

١- كمال العناية في التمييز بالإشارة.

٢- الإظهار في مقام الإضمار.

٣- تأكيد استحقاق المبتدأ للخبر.

٤- إفادة التعظيم باسم الإشارة.

٥- إفادة التحقير والإهانة باسم الإشارة.

الفصل الرابع:

الأسرار البلاغية للتعبير بـــ (أل) التعريفية والإضافة.

يحتوي على أربعة مباحث:

المبحث الأول.

أسرار التعبير بـــ (أل) العهدية.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

١- الإشارة إلى معهود صريح.

٢- الإشارة إلى معهود كنائي.

٣- الدلالة على العلم والحضور.

المبحث الثاني:

أسرار التعبير بـــ (أل) الجنسية.

ويشتمل على أربعة مطالب:

١- الإشارة إلى الجنس دون النظر للأفراد.

٢- الإشارة إلى فرد مبهم.

٣- الإشارة إلى الاستغراق في الجنس.

٤- الإشارة إلى المبالغة في الخبر.

المبحث الثالث:

تكرار الاسم مرتين معرّفاً بـــ (أل).

المبحث الرابع:

أسرار التعبير بالإضافة.

ويشتمل على أربعة مطالب:

١- إرادة الإيجاز والاختصار.

٢- إفادة التعظيم والتشريف.

٣- إفادة التحقير والتوبيخ.

٤- إرادة الاستعطاف والحث على الشفقة.

الفصل الخامس:

الأسرار البلاغية للتعبير في مقام التنكير.

ويحتوي على ثمانية مباحث:

١- خصوصية السياق في مقام التنكير.

٢- إفادة العموم والشمول.

٣- القصد إلى الإبهام.

٤- إفادة النوعية والتخصيص.

٥- إفادة التكثير والتقليل.

٦- القصد إلى التحقير.

٧- القصد إلى التعظيم.

٨- تكرار الاسم مرتين في مقام التنكير.

ثامناً: الخاتمة، والنتائج، والتوصيات.

التمهيد

اشتمل على الموضوعات آلاتية:

١- مفهوم الحديث النبوي.

٢- بلاغة الرسول ﷺ في أداء الحديث.

٣- ترجمة الإمام البخاري.

٤- خصائص صحيح البخاري.

مفهوم الحديث النبوي

الحديث في اللغة:(الجديد من الأشياء)[١]، وهو الخبر، ويكون مرادف للنبأ، قال ابن سيوة :(والحديث الخبر بمعنى النبأ، ومنه اشتقاق النبئ، ولكن القراءة المجمع عليها في النبى طرح الهمزة)[٢]، وقال في لسان العرب:(والحديث نقيض القديم، والجمع أحاديث، كقطيع وأقاطيع، وهو شاذ على غير قياس، وقد قالوا في جمعه حِدثان، وحُدثان، وهو قليل)[٣]، وقال ابو البقاء:(واحد الأحاديث، أحدوثة، ثم جعلوه جمعاً للحديث، وفيه انهم لم يقولوا أحدوثة النبي، وفي الكشاف الأحاديث اسم جمع، ومنه حديث النبي، وفي البحر المحيط: الأحاديث جمع تكسير لحديث على غير قياس، كأباطيل، كأنه لوحظ فيه مقابلة القرآن.)[٤]، وقال ابن فارس إن العرب تقول:(رجل حدَث: حسن الحديث.)[٥].

---

[١] كتاب العين: للخليل بن احمد، تحقيق- مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرئي، (ط دار مكتبة الهلال- د.ت)، ج٣ ص١٧٧.
[٢] المخصص : لابن سيدة المرسى، (ط١ المطبعة الكبرى الأميرية- ببولاق مصر المحمية سنة ١٣١٩هـ)، ج٢ ص ٣٢٣.
[٣] لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين بن منظور، (ط١ دار صادر – بيروت، سنة ١٤١٠ه، - ١٩٩٠م)، ج٢ ص١٣١
[٤] الكليات: لأبي البقاء الكفوى، تحقيق : عدنان درويش، و محمد المصري، (ط١ مؤسسة الرسالة – بيروت، سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، ص٣٧٠.
[٥] مقاييس اللغة : لأبي الحسين احمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (ط١ دار صادر – بيروت : سنة ١٤١١هـ - ١٩٩١م)، ج٢ ص٣٦.

والحديث في اصطلاح المحدثين ما اثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقية، أو خُلقية أو سيرة سواء كان قبل البعثة أو بعدها، قال في لسان العرب:(والأحاديث في الفقه معروفة، منه قوله تعالى:(و أما بنعمة ربك فحدث)[٦]، أي بلّغ ما أرسلت به، وحدث بالنبوة التي آتاك الله، وهي اجلّ النعم)[١].

والنبي ﷺ سمى بنفسه قوله حديثاً، وكان بهذه التسمية تمييز ما اضيف إليه عما عداه، فقد جاءه أبو هريرة يسأله عن اسعد الناس بشفاعته يوم القيامة، فكان جوابه عليه الصلاة والسلام:(**لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث..**)[٢]

بلاغة الرسول ﷺ في أداء الحديث

لقد بعث الله سبحانه محمد ﷺ من خير العرب نسباً، وأكرمهم حسباً، وأعلاهم بيتاً، وأعذبهم منطقاً، وأصفاهم لفظاً، وأعظمهم فصاحة وبلاغة، وكلامه تنزيل من التنزيل لقوله تعالى:(وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى)[٣]، فهو ﷺ معصوم من الزلل و الانحراف، وتحكم الأهواء، و مبرأ من النقائص و العيوب؛ فقد وكل إليه مهمة البلاغ والبيان، وصرف أقواله وأفعاله إلى ارشد الأقوال و الأفعال، وكانت أحواله كلها أحوال الحق في الرضا والغضب والحزن والفرح ؛ كيف وقد نبهه المولى

---

[٦] سورة الضحى، الآية ١١ .
[١] لسان العرب: لابن منظور، ج٢ ص١٣٣.
[٢] أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، و أخرجه أحمد.
[٣] سورة النجم، الآية ٣، ٤.

عزّ وجلّ إلى ضرورة أن يبلغ الغاية في البيان في عرض الدعوة فقال:(فأعرض عنهم وعظهم، وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً)[٤].

ومما يدل على ذلك ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال:(**كنت اكتب كل شيء اسمعه من رسول الله ﷺ فنهتني قريش، وقالوا: تكتب كل شيء، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك له ﷺ، فأومأ بأصبعه إلى، وقال: اكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق.**)[١]

وبهذا كان الصحابة – رضي الله عنهم – يمتثلون أوامره و نواهيه ولا يفرقون بين حكم أوحى الله به في القرآن الكريم، وحكم صدر منه ﷺ؛ لقوله تعالى:(وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)[٢].

وبذلك فلا عجب أن يكون في أحاديثه ﷺ الكثير من الأسرار البلاغية المعبرة عن المقصود بأروع صورة، وانصع بيان؛ فقد اجمع العلماء على القول بأن النبي ﷺ افصح العرب؛ لأنه تلقى الفصاحة والبلاغة من افصح قبائل العرب قاطبة قبيلة بني سعد بن بكر؛ فقد شب وترعرع على لغة فصيحة وزاده الله إلهاماً وحكمة، فأصبح مثلاً حياً ناطقاً متحركاً على أسمى ما يكون الكلام البشري، وفي هذا تأمل ما قالته أم

---

[٤] سورة النساء، الآية ٦٣.
[١] أخرجه الدارمي في سننه، والخطيب البغدادي في تقييد العلم.
[٢] سورة النمل، الآية ٦٤.

معبد الخزاعية في وصف منطقهﷺ:(**لا نزر و لا هذر، كأن منطقه خـــرزات نظـــم يتحدرن**)[٣]

ومنه حديث عائشة- رضي الله عنها – قالت :(**كان كلام رسول الله ﷺ كلاماً فصلا يفهمه كل من يسمعه**)[١]، ومنه أيضاً قولهﷺ:(أنا افصح العرب، بيد أنى من قريش، واسترضعت في بني سعد بن بكر)[٢]، وحديث أبى هريـــرة- رضـــي الله عنـــه أن رسول الله ﷺ قال:(**بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وبينا أنـــا نـــائم أتيـــت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي**)[٣].

ثم أني أسوق فيما يلي شهادات من بعض عيون الكتب كنماذج للحـــديث عـــن بلاغة النبي ﷺ وفصاحته في أداء الحديث النبوي مؤكداً أنني لو تتبعت ما في الكتب من أمثال النماذج الآتية لاستغرق ذلك البحث كله.

فمن أجود ما وصف به حديث رسول الله ﷺ ولغته قول الجاحظ: (هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزّه عن التكليف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: قل يا محمد (وما أنا من المتكلفين)[٤].. فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حفّ بالعصمة .. وهو الكلام الذي ألقى الله عليه

---

[٣] السيرة النبوية: لابن كثير، تحقيق : مصطفى عبد الواحد، (ط مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – القاهرة سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م)، ج٢ ص٢٦١.

[١] أخرجه أبو داود في سننه .

[٢] الفائق في غريب الحديث: للزمخشري، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم،(ط١ دار إحياء الكتب العربية- القاهرة سنة ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م) ج١ ص١١.

[٣] أخرجه البخاري في كتاب التعبير، وأخرجه مسلم و الترمذي .

[٤] سورة ص، الآية٨٦ .

المحبة.. وجمع له بين المهابة و الحلاوة.. لم تسقط له كلمة، ولازلت بـــه قـــدم، ولا بارت له حجة، ولم يقيم له خصم، ولا أفحمه خطيب.. ثم لم يسمع الناس بكلام قـــط اعم نفعاً، ولا اقصد لفظاً، ولا اعدل وزناً، ولا اجمل مذهباً، ولا اكـــرم مطلبـــاً، ولا احسن موقعاً، ولا اسهل مخرجاً، ولا افصح معنى، ولا أبين في فحوى من كلامه ﷺ كثيراً)[1].

كما وصفه ابن الأثير في النهاية بقوله:(وقد عرفت أن رســـول الله ﷺ كـــان افصح العرب لساناً، و اوضحهم بياناً، وأعذبهم نطقاً، وأسدهم لفظاً، و ابينهم لهجة، و أقومهم حجة، واعرفهم بمواقع الخطاب، و أهداهم إلى الطريـــق الصـــواب، تأييـــداً إلهياً،ولطفاً سماوياً، وعناية ربانية، ورعاية روحانية حتى لقد قال له علي بـــن أبـــي طالب – كرم الله وجهه– وسمعه يخاطب وفد بني نهد: يا رسول الله نحن بنـــوا أب واحد، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره ! فقال: أدبني ربي فاحسن تـــأديبي، وربيت في بني سعد. فكان ﷺ يخاطب العرب على اختلاف شعوبهم وقبائلهم .. كـــل منهم بما يفهمونه، ويحادثهم بما يعلمون،ولهذا قال– صدّق الله قوله: أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم)[2].

---

[1] البيان و التبيين: لأبي عثمان الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (ط٥ مكتبة الخانجي – القاهرة سنة ١٩٨٥م) ج٢ ص١٧-١٨ .

[2] النهاية في غريب الحديث والأثر : لابن الاثير – تحقيق: محمود الطناحى وطاهر احمد الراوي- (ط دار إحياء التراث العربي- بيروت: د.ت) ج١ ص٤.

وقال الزمخشري في الفائق :(ثم أن هذا البيان العربي كأن الله عزّت قدرته مَخَضه، والتقى زبدته على لسان محمد عليه وآله افضل الصلاة و أوفر السلام؛ فما من خطيب يقاومه)[1].

وقد بلغ من فصاحته ﷺ، وقدرته على البيان انه وضع في الحديث النبوي كثيراً من المفردات وضعاً جديد ً؛ وفي هذا روى محمد بن سلام قال يونس بن حبيب:(ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاء عن رسول الله ﷺ)[2].

(١) الفائق في غريب الحديث للزمخشري : ج١ ص٢.
(٢) البيان و التبيين للجاحظ : ج٢ ص١٨.

ترجمة الإمام البخاري

اسمه: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزبة[١]، الجُعفي البخاري[٢]، وهو عربي جُعفي[٣].

كنيته: أبو عبد الله بن أبي الحسن البخاري الحافظ صاحب الصحيح، وقيل ابن الأحنف الجُعفي مولاهم[٤].

مولده: ولد بمدينة بخارى من اعظم مدن ما وراء النهر على بعد ثمانية أيام من سمرقند من بلاد فارس في بيت يذخر بالعلم و التقوى، وذلك في يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعون و مائة من الهجرة (١٩٤هـ)[٥].

شيوخه: سمع مكي بن إبراهيم البلخى، وعبدان بن عثمان المروزى، و أبا عاصم الشيباني،ومحمد بن يوسف الفاريابي، و أبا نعيم بن دكين، و أحمد بن حنبل، وغيرهم[٦].

---

[١] بردزبة هو بالبخارية أي الفارسية، و بالعربية الزرّاع أي الفلاح أو البستاني.
[٢] ميزان الإعتدال في نقد الرجال: للذهبي- تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل احمد عبد الموجود- (ط١ دار الكتب العلمية – بيروت:١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)، ج٦ ص٧٣.
[٣] مقدمة كتاب التاريخ الكبير: لأبى عبد الله البخاري، تحقيق: مصطفى عبد القادر احمد عطا- (ط١ دار الكتب العلمية- بيروت: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، ج١ ص٧.
[٤] تهذيب الكمال في أسماء الرجال: لأبي الحجاج المزى، تحقيق: بشار عواد معروف – (ط١ مؤسسة الرسالة- ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م) ج٦ ص٢٢٧.
[٥] تهذيب الكمال: ج٦ ص٢٢٧.
[٦] مقدمة كتاب التاريخ الكبير لأبي عبد الله البخاري: ج١ ص٧.

تلاميذه: و روى عنه أعلام أفذاذ كثيرون منهم أبوزرعة، و أبوحاتم، و إبراهيم الحربي، وابن أبي الدنيا، وصالح بن محمد الاسدي،و أبو بشر الدولابي، وغيرهم[١]

فضله: قال المروزي: أبو عبد الله طلب العلم، وجالس الناس، ورحل في طلب الحديث، ومهر فيه وأبصر، وكان حسن المعرفة، حسن الحفظ، وكان يتفقه[٢].

وقال ابن أبي حاتم: سمعت محمود بن النضر أبا سهل الشافعي يقول: دخلت البصرة و الشام والحجاز والكوفة، ورأيت علماءَها، فكما جرى ذكر محمد بن إسماعيل فضلوه على أنفسهم[٣].

وقال إسحاق بن راهويه : يا معشر أصحاب الحديث اكتبوا عن هذا الشاب فإنه لو كان في زمن الحسن بن أبي الحسين- يعني الحسن البصري- لاحتاج الناس إليه؛ لمعرفته بالحديث و فقهه[٤].

وقال الحاكم: سمعت أبا الطيب يقول: سمعت ابن خزيمة يقول: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ، ولا احفظ له من البخاري[٥].

مؤلفاته: من أهم كتبه المشهورة على الإطلاق ما يلي:

١. الجامع الصحيح[٦].

---

[١] كتاب التاريخ الكبير: ج١ ص٧

[٢] تهذيب الكمال المزى: ج٦ ص٢٢٩.

[٣] تهذيب الكمال: ج٦ ص٢٢٧

[٤] تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلاني- (ط١ دار صادر- بيروت: سنة ١٣٢٦هـ)، ج٦ ص٥٣.

[٥] مقدمة كتاب التاريخ الكبير لأبي عبد الله البخاري: ج١ ص٧.

[٦] ويقال صحيح البخاري على المشهور؛ لأن البخاري كان يطلق عليه الصحيح .

٢. كتاب التاريخ الكبير[١].

٣. كتاب التاريخ الصغير[٢].

٤. كتاب الضعفاء الصغير[٣].

٥. كتاب الكنى[٤].

٦. كتاب الأدب المفرد[٥].

رواة كتبه: وأما رواة كتبه المصنفة عنه فمنهم: عبد الله بن محمد بن الأشقر، وعبد الله بن أحمد بن عبد السلام، ومحمود بن إسماعيل الخزاعي، ومحمد بن سليمان بن فارس، وآخر من حدث عنه بالصحيح أبو طلحة منصور بن محمد علي البزدوي النسفي المتوفي سنة ٣٢٩هـ[٦].

وفاته: كانت وفاته ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر يوم السبت لغرة شوال من سنة ست وخمسين ومئتين (٢٥٦هـ)، عاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً[٧].

---

(١) ألفه البخاري في مقتبل حياته قبل الصحيح، حققه: مصطفى عبد القادر أحمد عطا.
(٢) اعتنى بطبعه وتصحيحه محمد حامد علي، ومحمد محي الدين الجعفري، وقدم له محمد حامد علي.
(٣) اعتنى بتصحيحه محمد حامد علي، ومحمد محي الدين الجعفري.
(٤) هو جزء من التاريخ الكبير، طبعته دائرة المعارف العثمانية الأصفية سنة ١٣٦٠هـ.
(٥) قام بشرحه محب الدين الخطيب، وطبعته المكتبة السلفية.
(٦) مقدمة كتاب التاريخ الكبير لأبي عبد الله البخاري: ج١ ص٧.
(٧) تهذيب الكمال للمزى: ج٦ ص٢٢٩.

توفى الإمام البخاري بقرية خرنتك، وهو في طريقه إلى أهل سمرقند رحمه الله رحمة واسعة بعد أن ملأ الدنيا نوراً بأحاديثه عن النبي ﷺ، وترك الأثر الخالد الذي ينير الطريق أمام البشرية ويهديها الصراط المستقيم[١].

وقد كتب عنه أهل بغداد قائلين:

المسلمونَ بِخيرٍ ما بقيت لهم *** وليسَ بعدكَ خيرٌ حين تُفْتَقدُ[٢]

خصائص صحيح البخاري

اسمه: أن الاسم الكامل الذي سمى به أبو عبد الله البخاري كتابه هو: الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، وقد دلّ اسم الكتاب على محتوى الكتاب ومنهجه[٣].

مكانته: هو الكتاب الذي قال فيه العلماء بحق أنه اصح كتاب بعد كتاب الله، وهو الكتاب الذي اصبح البخاري به أمير المؤمنين في الحديث، ورفع ذكره مقترناً بالصحيح من حديث رسول الله ﷺ كما قال المزى في تهذيب الكمال: (إمام هذا الشأن، والمقتدى به فيه، والمعوّل على كتابه بين أهل الإسلام)[٤] .

تإلىفه: و أما تإلىفه فقد رُوى عن البخاري أنه قال:(صنفت كتاب الجامع في المسجد الحرام، وما أدخلت فيه حديثاً إلا بعد ما استخرت الله تعالى، وصليت ركعتين، وتيقنت صحته)[٥].

---

[١] الإمام البخاري محدّثاً وفقيهاً: تإلىف الحسيني عبد المجيد هاشم- (ط الدار القومية للطباعة والنشر- القاهرة :د.ت) ص٢٨٤.
[٢] البيت في تهذيب الكمال: ج٦ ص٢٣٥، وتهذيب التهذيب: ج٩ ص٥١.
[٣] الإمام البخاري محدّثا وفقيهاً:ص٨٧.
[٤] تهذيب الكمال للمزى: ج٦ ص٢٢٧.
[٥] فتح الباري في شرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني- تحقيق: عبد العزيز بن باز – (ط دار المعرفة، د.ت)، ج٢ ص٢٠٢.

أحاديثه: عدد أحاديثه بالمكرر، وبما فيه من التعليقات والمتابعات، واختلاف الروايات (٩٠٨٢) سوى الموقوف على الصحابة، و أقوال التابعين، وعدد أحاديثه الموصولة بغير المكرر (٢٥١٣) [١].

وقال ابن حجر في فائدة تكرار الأحاديث:(تقرر أن البخاري لا يعيد الحديث إلا لفائدة، لكن تكوين تارة في المتن، وتارة في الإسناد، وتارة فيهما، حيث تكون في المتن خاصة لا يعيده بصورته، بل يتصرف فيه، فإن كثرت طرقه أورد لكل باب طريقاً، و إن قلت اختصر المتن أو الإسناد.. فلا يوجد في كتابه حديث على صورة واحدة في موضعين فصاعداً إلا نادراً)[٢].

شروحه: و أجود هذه الشروح خمسة :[٣]

١- فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلان،(ت ٨٥٢هـ).

٢- عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري لمحمود بن أحمد العيني،(ت ٨٥٥هـ).

٣- التوشيح على الجامع الصحيح للسيوطي،(ت ٩١١هـ).

٤- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لأحمد بن أبي بكر القسطلاني،(ت٩٢٣هـ)

٥- تحفة الباري لشرح صحيح البخاري لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري،(ت٩٢٦هـ)

ومعظم هذه الشروح مطبوعة.

---

[١] الحديث النبوي (مصطلحه- بلاغته- كتبه): محمد بن لطفي الصباغ، (ط٤ المكتب الإسلامي – بيروت- دمشق: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م) ص٣٦٤.

[٢] مقدمة فتح الباري لابن حجر: ج١ ص٨٤

[٣] الحديث النبوي لمحمد الصباغ: ص٣٧٧.

الفصل الأول

الأسرار البلاغية للتعريف بالضمائر

يحتوي الفصل على أربعة مباحث:

١- دلالة التعبير بضمير التكلم.
٢- دلالة التعبير بضمير الخطاب.
٣- دلالة التعبير بضمير الغيبة.
٤- صور من أساليب التعبير بالضمير.

المبحث الأول

التعبير بضمير التكلم

يحتوي المبحث على ثلاثة مطالب:

١- مفهوم التعبير بالضمير.
٢- دلالة التعبير بضمير المتكلم وحده.
٣- دلالة التعبير بضمير المتكلم المعظم نفسه.

١- مفهوم التعبير بالضمير

إن الضمير عند النحاة هو عبارة عن كلمة تحل محل اسم؛ لتشير إلى شخص، أو شيء سبق ذكره، أو عُرف من سياق الكلام، فالقاعدة الثابتة عند النحاة هي أن الضمير يجب أن يعود على معلوم، وهذا المعلوم هو ما وقر في أذهان الحاضرين .

والنحاة إنما يذكرون عدد الضمائر، وإن المنفصل منها كذا، والمتصل كذا؛ ولا يتجاوزون ذلك، و أما أنا فلست في حاجة إلى أن أتعرض لذلك، و إنما سأذكرها اضطراراً في معرض المبالغة، وهو أمر خارج نطاق دراسة النحاة، والذي يعني هنا هو كشف ما وراء التعبير بالضمير من أسرار بلاغية تثير النفس والخيال.

ثم أن تعريف المسند إليه بالضمير إنما يكون بقرينة، وهذه القرينة تأتي في ثلاث مقامات؛ لتحقيق ثلاثة أغراض بلاغية عامة، وهي كما جاءت في الإيضاح (إما لان المقام للتكلم، نحو: أنا ضربت، أو الخطاب، نحو: أنت ضربتَ، أو الغيبة، نحو هو ضرب.)[١].

أما الأول فإذا كان المقام مقام تكلم، كقوله ﷺ : (**وإنّي أنا النذير العريان**)[٢] ، وهذا الحديث كقوله تعالى:(أنّي أنا ربك)[٣].

والمقام الثاني هو مقام الخطاب، كقوله ﷺ يوم الحديبية:(**انتم خير أهل الأرض**)[٤] ، وعلى منواله قوله تعالى:(أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)[٥] ، أو كقول الحماسية:[٦]

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني *** واشمت بي من كان فيك يلوم

و أما المقام الثالث، فهو مقام الغيبة، كحديث ابن عباس قال:(**هم أهل الكتاب جزءوه أجزاء فآمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه يعني قول الله تعالى: الذي جعلوا القرآن**

---

(١) الإيضاح: للخطيب القزويني، شرح: محمد عبد المنعم خفاجي، (ط٢ مكتبة الكليات الأزهر- القاهرة : د.ت)، ج١ ص١٠.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، أخرجه مسلم.
(٣) سورة طه، الآية ١٢.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، وأخرجه مسلم.
(٥) سورة البقرة- الآية ٢٨٦.
(٦) البيت في شروح التلخيص: (ط دار السرور- بيروت: د.ت) ج١ ص٢٨٨.

عضين)[١]، ومنه قوله تعالى :(تبارك الذي بيده الملك، وهو على كل شيء قدير)[٢]، ومنه قول أبي البرج المري:[٣]

من البيض الوجوه بني سنان *** لو انك تستضئ بهم أضاءوا

هم حلوا من الشرف المعلى *** ومن حسب العشيرة حيث شاءوا

أما هنا فإني أردت أن أسوق الحديث عن مقام التكلم فحسب، والذي اعني به أن المتكلم يتحدث عن نفسه؛ لأن التكلم من حيث ذاته، فلا حاجة إلى إفادته للمخاطب على ما جاء في شرح السعد: (أي لا يشعر بخصوص التكلم ألا ضميره، نحو : أنا ضربت، الشاهد في : أنا والتاء، وجمع بينهما إشارة إلى أنه لا فرق بين أن يكون متصلاً، أو منفصلاً)[٤].

٢- التعبير بضمير المتكلم وحده

المتكلم وحده هو الضمير (أنا)، و قد أفردت له مطلباً قائماً بذاته دون غيره من ضمائر التكلم الأخرى، لأنه هو الأصل في الدلالة على التكلم، و غيره فرع على حد قول النحاة.

و يأتي الضمير (أنا) متردداً بكثرة في الحديث النبوي سواء أكان منفصلاً، أو مؤكداً بضمير متصل، و من أمثلته منفصلاً، قوله ﷺ: **(أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب)**[٥]، و حديث أنس ابن مالك، قال: **(أنا أعلم الناس بالحجاب كان أبي بن كعب يسألني عنه)**[٦].

و أما من أمثلة المتكلم وحده المؤكد بضمير متصل، فكقوله ﷺ: **(بعثت أنا و الساعة كهاتين)**[١]، و الشاهد فيه: "بعثت أنا"، و منه حديث أنس بن مالك قال:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار.
(٢) سورة الملك، الآية ١.
(٣) هما في شروح التلخيص:(ط دار السرور – بيروت: د.ت) ج١ ص٢٨٨.
(٤) تقرير الانبابي على السعد : (ط مطبعة السعادة – مصر : ١٣٣١هـ) ج٢ ص٢٥.
(٥) أخرجه البخاري في كتا ب المغازي، وأخرجه مسلم.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، وأخرجه مسلم.
(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، وأخرجه ابن ماجة.

(صليت أنا و يتيم في بيتنا خلف النبي ﷺ)[٢]، و الشاهد فيه: (صليت أنا)، و على منواله قول الفخر الرازي: (أنا كتبت في معنى الأمر الفلاني، و أنا شفعت في بابه، و المراد أن تدعى الانفراد بذلك، و ترد على من زعم أنه كان ذلك من غيرك.)[٣]

و عليه أيضاً حديث عائشة رضي الله عنها، قال: **(أنا طيبت رسول الله ﷺ، ثم طاف في نسائه ..)**[٤]، و في الحديث تأمل ما وراء التعبير بالضمير (أنا) في قولها: (أنا طيبت) تجد أن توكيد الضمير المنفصل بالضمير المتصل قد أفاد التوكيد فيه تثبيت المعنى، و تقريره في نفوس المؤمنين، فالحديث فيه إباحة التطيب في الإحرام.

و لكي تدرك أهمية التعريف بضمير التكلم تأمل ما أفادته ياء المتكلم مع الاسم المضاف في قوله ﷺ: **(أنا على حوضي انتظر من يرد علي، فيؤخذ بناس من دوني، فأقول: أمتي، فيقال: مشوا على القهقري)**[٥]، و الشاهد فيه: (حوضي)، إذ أن تعريف (حوض) بإسناده إلى ياء المتكلم جعلت منه حوضاً مخصوصاً من السهل أن ينسب إلى صاحبه، و أن ينسب هو إليه، و (حوضي) لا يمكن أن يحل محله (الحوض)، و يقول: "أنا على الحوض"، لأنه سيصير حوضاً شائعاً بين الناس، و أما أن يقول: (أنا على حوضي)، فيكون حوضه هو ﷺ دون غيره من الناس، و هنا تكمن الخصوصية.

و مثله في الحديث أعلاه: (أمتي) إذ لا يمكن أن تحل محلها (الأمة)، لأنها حينئذ ستكون أمة شائعة غير معروفة من بين الأمم السابقة، و أما أن يقول: (أمتي)، فتكون أمته هو ﷺ، أمة لها خصوصية من بين سائر الأمم السابقة.

---

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، وأخرجه مسلم.
(٣) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: لفخر الدين الرازي، تحقيق: بكري شيخ أمين، (ط١ دار العلم للملايين- بيروت: ١٩٨٥م)، ص٣٠٨.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الغسل، واخرجه مسلم.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، وأخرجه مسلم.

و مثل هذا كثير في الحديث النبوي، من ذلك مثلاً قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك و تعالى: **(أنا عند ظن عبدي بي، و أنا معه إذا ذكرني ..)**[١]، و كقولـــه ﷺ: **(اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم ..)**[٢]، و منه قول أبي تمام:

دعيني على أخلاقي الصم للتي *** هي الوفر أو سرب ترن نوادبه

إذ الشاهد فيه قوله: "دعيني على أخلاقي" عرف لفظ (أخلاق) بإسنادها إلـــى ضـــمير المتكلم الظاهر المتصل.

٣- التعبير بضمير المتكلم المعظم نفسه، أو معه غيره

ومثل ما يكون التعبير بضمير التكلم (أنا) للمتكلم وحده، فكذلك يكون التعبيـــر بضمير المتكلمين (نحن): (وهو للمتكلم المعظم نفسه، أو معه غيره، ولكن يظل (أنا) هو الأصل، ونحن هو الفرع)[٣].

وقد تحدثنا عن الأصل، ونأتي هنا للتحدث عن الفرع، وهـــو دلالـــة التعبيـــر بالضمير (نحن و نا) التي تكمن وراءها معان دقيقة ومزايا لطيفة، ومن أمثلتها قوله ﷺ :**(نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال:(ربِّ ارني كيف تحي الموتى قال أو لـــم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي)**[٤]**، ويرحم الله لوطاً لقد كان يـــأوي إلـــى ركـــن شديد)**[٥]، وكقوله ﷺ في صوم يوم عاشوراء : **(نحن أحق بصومه)**[٦]، وهذا كقوله تعالى:(نحن نقص عليك احسن القصص)[٧]، فإذا تأملت في الأمثلة السابقة فإنك ترى ما أفاده التعبير بضمير العظمة من الاهتمام بالخبر، وفي هذا قال ابـــن عاشـــور: (وافتتاح الجملة بضمير العظمة للتنوبه بالخبر، كما يقول كتّاب الديوان: أمير المؤمنين يأمر بكذا.)[٨].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، وأخرجه مسلم.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، وأخرجه مسلم.
(٣) النحو الوافي: عباس حسن، (ط١٤ دار المعارف، القاهرة: د.ت) ج٢ ص٢٥٥.
(٤) سورة البقرة، الآية ٢٦٠.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، وأخرجه مسلم.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب الأنصار، وأخرجه مسلم.
(٧) سورة يوسف، الآية ٣.
(٨) تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، (ط دار سحنون- تونس: د.ت) ج١٠ ص٢٠٢.

ومنه أيضاً قوله ﷺ : (**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة**)[١]، وفيه تأمل دلالة التعبير بالضمير (نحن)، وما أفاده من الثقة والثبات حيث ترى في تعبير النبي ﷺ به ثقة و إعتداداً بالنفس واطمئناناً بوعد الله تعالى.

والتعبير بضمير العظمة قد يفيد الفخر أيضاً كما في الأمثلة السابقة أو كقول عمرو بن كلثوم :

ورثنا المجد قد علمت معد *** نطاعن دونه حتى يبينا

ونحن إذا عماد الحي خرت *** على الاخفاض نمنع من يلينا

والشاهد الضمير (نا) في ورثنا، والضمير (نحن) في البيت الثاني، وكلاهما ضمير عظمة :(والحق أن ضمير المتكلم يؤتى به في مقام الفخر، ونحوه لما فيه من الإشعار بالاعتداد بالنفس)[٢].

ثم تأمل لطافة التعبير بضمير المتكلمين (نا) في قوله ﷺ :(**إنّا قافلون غداً إن شاء الله**)[٣]، حيث ترى في التعبير بهذا الضمير بلاغة في التأكيد لا تراها في التعبير بالضمير (نحن)، فلو انه قال : (نحن قافلون) لما كان فيه أي مزية للتأكيد، فضمير المتكلمين (نا) المتصل بأداة التأكيد (إنّ) أفاد الجملة تأكيداً وبياناً، واهتماماً وعظمة بالخبر، قال في تفسير التحرير : (وذلك؛ لتقرير مدلول الضمير تأكيداً لفظياً للتنبيه على عظمة ذلك الضمير؛ ليفضي به إلى زيادة الاهتمام بالخبر.)[٤]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذر، وأخرجه مسلم.

(٢) بغية الإيضاح: عبد المتعال الصعيدي، (ط٨ محمد علي صبيح- القاهرة: د.ت) ج١ ص١٢.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، وأخرجه مسلم.

(٤) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: ج٢٩ص٤٠٢.

المبحث الثاني

التعبير بضمير الخطاب

يحتوي المبحث على أربعة مطالب:

١- مفهوم التعبير بضمير الخطاب.
٢- دلالة التعبير بضمير الخطاب على المعين المشاهَد.
٣- ما يُنزّل منزلة المخاطب المعين.
٤- ما يُنزّل منزلة المخاطب المشاهَد.

١- مفهوم التعبير بضمير الخطاب

إنما يوتى بالمستند إليه ضمير خطاب إذا كان المتكلم يخاطب آنساناً أخر ؛لكون الحديث في مقام الخطاب،والتعريف بمقام الخطاب يكون بأدوات هي ضمائر الخطاب،وهذه الضمائر منها أصول،ثم فروع،وذكرها أو حذفها يعتبر أصلاً منأحوال المسند إليه بعكس المسند: (لان الأصل في المسند إليه التعريف، وفى المسند التنكير)[١].

ويكون ذكر المخاطب هنا بالضمير الظاهر سواء كان منفصلاً أو متصلاً: (أولها وهو الأصل (أنت) للمفرد المذكر، ثم الفروع)[٢]، وهذه تختص بمحل الرفع، كقوله تعالى: (أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)[٣]، وعلى منواله قوله ﷺ : (**أنت مع من أحببت**)[٤]، وقوله ﷺ في يوم عاشوراء:(**أنتم أحق بموسى منهم فصوموا**)[٥]، والشاهد في الأمثلة السابقة الضمير المنفصل (أنت، وأنتم)، والمتصل تاء المخاطب في (أحببتَ)، و واو الجماعة في (فصوموا).

و أما ما يختص بمحل النصب : (فللمخاطب المفرد(إياك) وهو الأصل، وفروعه)[٦]، ومثاله قوله تعالى : (إياك نعبد، وإياك نستعين)[٧]، ومنه قوله ﷺ : (**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث..**)[٨]، والشاهد في الآية (إياك) وهو الأصل، وفي الحديث إياكم، وهو أحد الفروع.

٢- دلالة التعبير بضمير الخطاب على المعين المشاهَد

يذهب النحاة إلى أن الضمائر جميعاً لا تخلو من إبهام وغموض، ولا بد من شيء يفسر إبهامها، ويزيل غموضها، فضميري المتكلم و المخاطب يفسرهما وجود

---

(١) تقرير الأنبابي على السعد: ج٢ ص٢٢.
(٢) النحو الوافي لعباس حسن: ج١ ص٢٥٥.
(٣) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، وأخرجه مسلم.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، وأخرجه مسلم.
(٦) النحو الوافي: ج١ ص٢٥٥.
(٧) سورة الفاتحة، الآية ٥.
(٨) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، وأخرجه مسلم.

صاحبهما وقت التكلم؛ وقد ذكرنا أن المتكلم حاضر يتكلم بنفسه، وكذلك المخاطب هو أيضا حاضر، يُفسر بأنه يكلمه غيره مباشرة (والحاضر لا يكون ألا معيناً.)[١]، وقد يكون مشاهداً أيضاً.

فالاصل في الخطاب إذن أن يكون لمعين مشاهد مفرداً، أو مثنى أو جمع، قال في النظم:[٢]

والأصل في المخاطب التعين *** والترك للشمول مستبين

او كقول الآخر :[٣]

والأصل في الخطاب أن يعينا *** مخاطباً وفقد ذاك يعتني

وقد مثلوا له بقول الحماسية :[٤]

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني *** واشمت بي من كان فيك يلوم[٥]

ومما ورد من أحاديث في المخاطب المعين المشاهد قوله ﷺ لأبي بكر حينما خطب إليه عائشة : **(أنت أخي في دين الله وكتابه، وهي لي حلال.)**[٦]

فقوله: (أنت أخي) تعبير خاطب به النبي ﷺ شخصاً معيناً ومشاهداً أمامه، ومثله قوله ﷺ مخاطباً عبد الله بن عمرو،وهو حاضر ومشاهَد أمامه : **(أنت الذي تقول : والله لأصومنَّ النهار..)**[٧].

وهذه النماذج التي أوردناها هنا- هي قليل من كثير – توضح الأصل اللائق بالخطاب، والواجب فيه بحكم الوضع، (فالواجب بحكم الوضع أن يكون الخطاب بصيغة التثنية لإثنين معينين وبصيغة الجمع لجماعة معينة)[١].

---

(١) تقرير الأنبابي على شرح السعد: ج٢ ص٢٨.
(٢) شرح الجوهر المكنون: للشيخ أحمد الدمنهوري، (ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة: د.ت) ص٢١.
(٣) شرح عقود الجمان: للسيوطي، (ط دار إحياء الكتب العربية، لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة: د.ت)ص١٥.
(٤) هي إمامة الخثعمية تخاطب ابن الدمينة الشاعر، وكان يتغزل بها في شعره، ثم تزوجها بعد ذلك، وقد وردت في أكثر شعره أميمة.
(٥) البيت في شروح التلخيص: ج١ ص٢٨٨.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب النكاح.
(٧) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، وأخرجه مسلم.
(١) تقرير الأنبابي على السعد: ج٢ ص٢٧.

٣- ما يُنـزَّل منـزلة المخاطب المعين

ذكرنا في المطلب السابق أصل الخطاب وأنه : (يكون لمعين واحد كان أو أكثر؛ لأن وضع المعارف على أن تستعمل لمعين مع أن الخطاب هو توجيه الكلام إلى حاضر)[٢].

و قد يعدل عن هذا الأصل، و لا يقصد به معين[٣]، و قيل: (إن ذلك من الإخراج على خلاف مقتضى الظاهر، أي لأن حق الضمير أن يكون لمعين، فكونه لغير معين خلاف مقتضى الظاهر)[٤].

و عليه فإن مخاطبة غير المعين هو تنزيل للمخاطب منزلة المعين بمعنى أن يكون معيناً صورة، لأنك إذا قلت (ألا ترى) قاصداً إلى معنى يصح منك الرؤية كان معيناً، و لكن كونه غير معين قد يراد به مطلق مخاطب على سبيل العموم، أي أن نوجهه لكل من يصلح له الخطاب، و لكن على سبيل البدل و التناوب، لا على أنه يتناول المخاطبين جميعاً، نحو قوله تعالى: (و لو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم)[٥]، قال في الإيضاح: (لا يريد بقوله (و لو ترى) مخاطباً معيناً قصداً إلى تفظيع حالهم، أي تناهت حالهم في الظهور لأهل المحشر إلى حيث يمتنع خفاؤها، فلا يختص بها رؤية راءٍ دون راءٍ، و إذا كان كذلك فلا يختص به، أي بهذا الخطاب مخاطباً دون مخاطب بل كل من تتأتى منه الرؤية، فله مدخل في هذا الخطاب)[٦].

و من أمثلة ذلك في الحديث النبوي قوله ﷺ:**(انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)**[١] ، تأمل التعبير بضمير الخطاب المضمر في قوله (انصر) تجده ﷺ لم يرد مخاطباً معيناً، و إنما أراد أن كل من يتأتى منه الخطاب ينبغي أن يقوم بهذه المهمة العظيمة

---

(٢) الإيضاح: ج١ ص١٠.
(٣) شرح عقود الجمان: ص١٥.
(٤) بغية الإيضاح: ج١ ص٨٣.
(٥) سورة السجدة، الآية ١٢.
(٦) الإيضاح: ج١ ص١١.
(١) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، وأخرجه الترمذي.

التي فيها غاية العدل من نصر المظلوم، و الأخذ بيد الإنسان الظالم حتى لا يقع في انتهاك حرمات الغير، و منه كذلك قوله ﷺ **(إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن)**[٢]، فالخطاب جاء بصيغة العموم، لأن كل من يتأتى منه سماع النداء من المسلمين، فيجب عليه تلبيته، لذلك فإن سماع النداء بالآذان أو الإقامة لا يختص به سامع دون سامع، بل يجب على جميع المسلمين القيام بذلك.

و في ذلك تأمل استخدامه لأداة الشرط (إذا) في قوله: "إذا سمعتم" تجد ما لا يخفى عليك من تحقق وقوع الشرط قطعاً الذي هو سماع النداء بالصلاة، و هذا مما لا شك فيه محقق وقوعه من كل مسلم، (فإذا) في الحديث لا يمكن أن تحل محلها (إن)، فيقول: (إن سمعتم)، لأن النداء حينئذٍ يكون كالمشكوك في حصوله فيكون من المحتمل وقوعه، و قد ثبت أنه محقق الوقوع و يجيبه كل مسلم في اليوم خمس مرات.

٤- ما يُنزَّل منزلة المخاطب المشاهَد

و مثل ما ينزل المخاطب غير المعين منزلة المخاطب المعين كما رأينا سابقاً، فكذلك ينزل المخاطب غير المشاهد منزلة المخاطب المشاهد، و هذا العدول في المخاطبة تكمن وراءه دواعي بلاغية دقيقة المسلك منها: (أن يكون مستحضراً في القلب، نحو: لا إله إلا أنت سبحانك)[٣].

و معنى هذا أن يكون غير المشاهد حاضراً في الذهن قريباً من القلب كأنه نصب العين؛ و ذلك لتعلق النفس به، كما في قوله تعالى:(إياك نعبد و إياك نستعين)[١] ، و قريب من هذا قول شوقي يرثي دار الخلافة:

يا أخت أندلس عليك سلام *** هوت الخلافة عنك و الإسلام

---

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الآذان، وأخرجه مسلم.
(٣) جواهر البلاغة: السيد المرحوم أحمد الهاشمي، (ط٢ دار أحياء التراث العربي، بيروت: د.ت) ص١٢٦.
(١) سورة الفاتحة، الآية ٥.

(و كما تتحدث عن عمر رضي الله عنه فتخاطبه بقولك: أنت فتحت بيت المقدس بالعدل، و تخاطب صلاح الدين بقولك: أنت حررته من المعتدين.)[٢]

و أكثر ما يكون الإنسان حاضر القلب مع الله سبحانه و تعالى، و خاصة في الفرائض و الدعوات، و أقرب ما يكون العبد من ربه و هو ساجد، فالمسلم حينما يناجي ربه ينبغي عليه أن يكون حاضر القلب، و صافي الذهن مقبلاً على الله تعالى بكلياته.

و على هذا جاء قوله ﷺ في باب الاستغفار: **(سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني؛ و أنا عبدك؛ و أنا على عهدك؛ و وعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ، و أبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)**[٣]، فإذا تأملت في قوله: (اللهم أنت ربي)، و (لا إله إلا أنت)، و (لا يغفر الذنوب إلا أنت)، فإنه لا يخفى عليك ما وراء التعبير بالضمير (أنت) من حضور ذهن الداعي و قرب قلبه من الله عزّ و جل.

و قريب من هذا قوله ﷺ إذا قام من الليل يتهجد: **(اللهم لك الحمد أنت نور السموات و الأرض"، و من فيهن، و لك الحمد أنت قيّم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، و وعدك حق، و قولك حق، و لقاؤك حق، و الجنة حق، و النار حق .. أنت المقدم، و أنت المؤخر لا إله إلا أنت)**[٤].

فقد ورد في هذا الحديث الضمير (أنت) في مواضع متعددة، منها قوله "لك الحمد أنت نور السموات و الأرض"، و قوله: "أنت المقدم و أنت المؤخر لا إله إلا أنت"، كل ذلك وراءه ما أسلفناه من حضور المؤمن و قربه الدائم من المولى عزّ و جلّ.

---

(٢) البلاغة فنونها وأفنانها: فضل حسن عباس، (ط٣ دار الفرقان، القاهرة: سنة ١٩٩٢م)ص٢٢٩.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، وأخرجه الترمذي والنسائي.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، وأخرجه مسلم.

و على هذا ترى في كتاب الدعوات من صحيح البخاري الكثير مـــن أســـاليب التعبير بضمائر الخطاب؛ و ذلك لأن العبد المؤمن دائماً ما يكون قريباً من ربه عز و جل بقلبه، و حاضراً بذهنه قبل أن يكون قريباً منه بجسده.

المبحث الثالث

التعبير بضمير الغيبة

يحتوي المبحث على ستة مطالب:

١- مفهوم التعبير بضمير الغيبة.
٢- دلالة اللفظ التحقيقي على ضمير الغيبة.
٣- دلالة اللفظ التقديري على ضمير الغيبة.
٤- دلالة المعنى لدلالة اللفظ على الغيبة.
٥- دلالة القرينة الحالية على الغيبة.
٦- دلالة ضمير الشأن و القصة على الغيبة.

1- مفهوم التعبير بضمير الغيبة

يأتي المسند إليه ضمير غيبة إذا كان المتكلم، يخاطب غائباً لا حاضراً، و قد رأينا أكثر النحاة، و منهم ابن عقيل يصنف الضمير إلى غيبة، أو حضور، و يجعل ضمير الحضور على قسمين: (أحدهما ضمير المخاطب نحو: (أنت)، و الثاني ضمير المتكلم، نحو (أنا) و قد سبق الحديث عنهما، و نظم ابن مالك ذلك بقوله:

فما لذي غيبة أو حضور *** كأنتَ، و هو سم بالضمير

يشير إلى أن الضمير ما دل على غيبة، كهو، أو حضور)[1].

و قد انقضى حديثنا عن الحضور، و نأتي في هذا المطلب إلى الغيبة: (لكون الحديث في مقام الغيبة، و لكون المسند إليه مذكوراً، أو في حكم المذكور لقرينة، نحو: الله تبارك و تعالى)[2].

و لكن كون الشيء غائباً لا يستدعي الإضمار، لأن الأسماء الظاهرة كلها غيب، و لهذا ترى السكاكي قد دقق في تعريف ضمير الغيبة، فقال: (بأنه ما وضع لغائب تقدم ذكره لفظاً، أو معنى، أو حكماً)[3]، فهو لم يعرفه بمجرد ما وضع لغائب.

و في هذا أيضاً تأمل ما جاء في شرح السعد، فقال: (إن معنى كون الأسماء الظاهرة غيب، أنها تعامل من حيث مدلولها معاملة الغائب، فتقول: (زيد قام)، و إن كان زيد عبارة عن نفسك، أو مخاطبك، و لأجل كون الأسماء الظاهرة كلها غيب عرَّف ضمير الغائب بهذا التعريف، و فيه، و ليست الأسماء الظاهرة موضوعة للغائب من حيث أنه غائب، بل لمطلق الذات بقطع النظر عن غيبة، و غيرها)[4].

وترى هذا أيضاً في قول عبد المتعال الصعيدي: (بهذا يمتاز مقام ضمير الغيبة عن مقام الاسم الظاهر، لأنه للغيبة أيضاً)[5].

---

(١) شرح ابن عقيل: محمد محي الدين عبد الحميد.(ط١ الدار السودانية للكتب، الخرطوم: سنة ١٩٩٤م) ج١ ص٨٨.
(٢) جواهر البلاغة: ص١٢٦.
(٣) مفتاح العلوم: السكاكي، نعيم زرزور، (ط١ دار الكتب العلمية، بيروت: ٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ص١٧٨.
(٤) تقرير الأنبابي على السعد: ج٢ ص٢٦.
(٥) بغية الإيضاح: ج١ ص٨٣.

و أما أدوات ضمير الغيبة كما جاء: (فأولها و أصلها (هو) للمفرد الغائب، ثم فروعه، و هذه تختص بمحل الرفع، و أما ما يختص منها بمحل النصب، فللغائب المفرد (إياه)، و فروعه، إذ أن ضمير الغائب صاحبه غير معروف، لأنه غير حاضر، و لا مشاهد، فلابد لهذا الضمير من شيء يفسره، و يوضح المراد منه)[1]، و ذلك حتى نتمكن من التعرف على الدواعي البلاغية التي تكمن وراء التعبير بضمائره.

٣- دلالة اللفظ التحقيقي على ضمير الغيبة

إن الغائب الذي نتحدث عنه لابد أن يسبق له ذكر حتى يرتبط كلامنا بعضه ببعض خاصة و نحن نتناول حديث أفصح العرب ﷺ، و عليه فإن ضمير الغيبة ينبغي أن يتقدم له ذكر صراحة، كقوله تعالى: (فاصبروا حتى يحكم الله بيننا و هو خير الحاكمين)[2]، و الشاهد فيه: (و هو خير الحاكمين)، و قد تقدم ذكر صاحبه، و هذا كقوله ﷺ في رده عن السؤال القائل، أيّ الذنب أعظم؟، قال: (**أن تجعل لله نداً و هو خلقك**)[3]، و مثله حديث خنساء بنت خزام الأنصارية: (**إن أباها زوجها و هي ثيب، فكرهت ذلك فأتت النبي ﷺ فرد نكاحها**)[4]، و منه أيضاً حديث عمر و هو على المنبر: (**نزل تحريم الخمر، و هي من خمسة: العنب و التمر و العسل و الحنطة و الشعير**)[5].

فإذا تأملت ضمائر الغيبة في الأحاديث السابقة استطعت أن تدرك أن الضمائر (هي، و هو) قد تقدم لها مرجع مذكور يوضح دلالة اللفظ التحقيقي على الغيبة.

---

(١) النحو الوافي: ج١ ص٢٥٥.
(٢) سورة الأعراف، الآية ٨٧.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الحدود، وأخرجه مسلم.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأكراه، وأخرجه النسائي، وأبو داود، وابن ماجة.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الفرائض، وأخرجه مسلم.

كما وردت أحاديث كثيرة بشأن هذه الدلالة على ضمير الغائب نشير إلى نماذج منها، كحديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: **(قتل مصعب بن عمير، و هو خير مني كفن في بردة)**[١]، و كقوله ﷺ **:(كل شراب أسكر، فهو حرام)**[٢]، و قوله ﷺ **(لا يزني الزاني حين يزني، و هو مؤمن، و لا يشرب الخمر حين يشرب، و هو مؤمن، و لا يسرق حين يسرق، و هو مؤمن، و لا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها، و هو مؤمن)**[٣]، فالضمير (هو) في الأحاديث السابقة دلالة اللفظ التحقيقي فيها واضح، إذ أن الضمير له مرجع مذكور تقدم عليه، أي أن الضمير (هو) سبق ما يدل عليه.

٣- دلالة اللفظ التقديري على ضمير الغيبة

ذكرنا في دلالة اللفظ التحقيقي أن ضمير الغيبة قد تقدم ما يدل عليه صراحة، بمعنى أن يتقدم ذكره لفظاً، و لكن حينما يكون اللفظ تقديرياً، فإن الأمر هنا يختلف، أي أن الضمير مرجعه غير صريح، و إنما مقدر: (تقديراً بأن يكون المرجع في تقدير التقديم، لأن التقديم رتبته نحو: (في داره زيد) فإن المبتدأ في تقدير التقديم)[٤].

نذكر لذلك نماذج من الحديث النبوي، نحو حديث عبد الله بن بشر في وصف النبي ﷺ قال: **(كان في عنفقته شعرات بيض)**[٥] و الشاهد فيه: (في عنفقته)، فإذا تأملت هذا الضمير رأيت مرجعه في تقدير التقديم، إذ أن المسند إليه مؤخر، و المسند مقدم، لأجل التخصيص، فالضمير يرجع إلى النبي ﷺ، لأن الوصف له.

و هكذا تستطيع أن تقدر مرجع الضمير في الأحاديث الآتية: حديث عبد الله بن عباس، قال: **(إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند رسول الله ﷺ**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، وأخرجه مسلم.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغصب، وأخرجه مسلم.
(٤) تقرير الأنبابي على السعد: ج٢ ص١٧.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، وأخرجه أحمد.

في وجعه الذي توفي فيه)[١]، و الشاهد فيه الضمير في (وجعه): أي في المسند المقدم على المسند إليه.

و مثله أيضاً حديث ابن عباس لما سئل عن الهدي، قال: **(فيها جذور أو بقرة أو شاة أو شرك في دم)**[٢]، و الشاهد فيه الضمير في المسند المقدم على المسند إليه في قوله: (فيها جذور).

٤- دلالة المعنى لدلالة اللفظ على الغيبة

و قد يفهم مرجع الضمير بدلالة اللفظ عليه، أي أن ضمير الغيبة إنما يفهم من المعنى فحسب، ألا ترى إلى قوله تعالى: (و إن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم)[٣]، فالضمير (هو) يعود إلى الرجوع المفهوم من (ارجعوا): فإنه لم يتقدم صراحة لفظ يدل على هذا الضمير – أعني الضمير هو – لكن تقدم ما يدل عليه في المعنى، كأنه قيل: (و إن قيل لكم ارجعوا فارجعوا فالرجوع أزكى لكم)[٤].

و مثل هذا حديث أبي برزة الأسلمي قال: **(كان يصلي الهجير و هي التي تدعونها الأولى حين تدحض الشمس)**[٥]، و الشاهد فيه الضمير (هي) الذي يفهم من المعنى لدلالة لفظ (يصلي) عليه، و يفهم من هذا اللفظ الصلاة المكتوبة، و مثل هذا الحديث قوله تعالى: (اعدلوا هو أقرب للتقوى)، فالضمير (هو) راجع للعدل المفهوم من اعدلوا[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، وأخرجه أحمد.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الحج، وأخرجه مسلم.
(٣) سورة النور، الآية ٢٨.
(٤) البلاغة فنونها وأفنانها: ص٢٣٠.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، وأخرجه مسلم.
(٦) شرح الجوهر المكنون: ص٥٢.

٥- دلالة القرينة الحالية على الغيبة

و قد يفهم مرجع ضمير الغيبة من سياق الحديث و قرائن الأحوال، تأمل قوله تعالى: (و لأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك)[١]، و المعنى في (و لأبويه)، أي أبوي الميت، و لم يسبق له ذكر، و لكن لما كانت الآية تتحدث عن الإرث و التركة فإن ذلك يعلم من السياق.)[٢]

و قد يكون الأمر من الوضوح بحيث يفهم مرجع الضمير دون عسر أو عناء، تأمل قوله تعالى: (حتى توارت بالحجاب(، فإن قرينة ذكر العشى و التواري بالحجاب مع سياق الكلام الدال على فوات وقت الصلاة تدل على أن المرجع للشمس)[٣].

و أمثلته من الحديث النبوي كثيرة، منها قوله ﷺ:(**أن له مرضعاً في الجنة**)[٤] ، أي لإبراهيم ابنه ﷺ، و لم يسبق له ذكر، و لكن لما كان النبي ﷺ متأثراً لفراقه، و بكى لأجله فإن ذلك يعلم بقرينة الحال، و منه أيضاً قوله ﷺ: (**التمسوها في العشر الأواخر من رمضان**)[٥]، حيث تجد مرجع الضمير واضحاً من قوله (التمسوها) و ذلك من خلال القرينة التي تفهم من ذكر العشر الأواخر من رمضان، إذ لا تردد في أن مرجع الضمير يعود إلى ليلة القدر.

٦- دلالة ضمير الشأن و القصة على الغيبة

و قد يكون مرجع ضمير الغيبة متقدماً حكماً: (و ذلك بأن لا يدل عليه شيء مما ذكر، و لكن قدم لنكتة، و هي البيان بعد الإبهام)[٦]، و هذا معناه أن السامع إذا لم يفهم من الضمير معنى انتظر ما يعقب الضمير ليفهم منه، و هذه هي دلالة ضمير الشأن و القصة، فهو إذن ما يدل على غرابة، و ما تتشوق النفس لتعرف ما بعده،

---

(١) سورة النساء، الآية ١١.
(٢) البلاغة فنونها وأفنانها: ص٢٣٠.
(٣) تقرير الأنبابي على السعد: ج٢ ص١٧.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، وأخرجه أحمد.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب فضل ليلة القدر، وأخرجه أبو داود.
(٦) تقرير الأنبابي على السعد: ج٢ ص١٧.

انظر إلى قوله تعالى: (فإنها لا تعمى الأبصار)[١] ، فالضمير في قوله (فإنها) ضمير القصة و الشأن، أي فإن الشأن و القصة هو مضمون الجملة بعد الضمير، أي لا تعمى الأبصار، و لكن تعمى القلوب)[٢]، و لا يخفى عليك ما في ذلك من الإيضاح بعد الإبهام.

و مثل هذا تراه في حديث عمار عن عائشة رضي الله عنها، قال: **(أنها زوجة نبيكم ﷺ في الدنيا و الآخرة)**[٣]، و كقوله ﷺ عندما قيل له ألا تتزوج ابنة حمزة؟: **(إنها ابنة أخي من الرضاعة)**[٤]، و قوله ﷺ في المدينة: **(إنها طيبة تنقي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة)**[٥].

فالمسند إليه في هذه الأحاديث ضمير الغيبة، و الأصل فيه أن يتقدمه مرجع، أو تدل عليه قرينة، و لكن لم يوجد واحد منهما، فكأن مقتضى الظاهر أن يؤتى بالمسند إليه اسماً ظاهراً، لفقدان شرط الإضمار، فيقال: الشأن أو القصة (زوجة نبيكم في الدنيا و الآخرة)، و إن الشأن أو القصة (ابنة أخي من الرضاعة)، أو كان الشأن أو القصة (طيبة تنقي الخبث).

و الشأن و القصة مبتدأ، أو اسم إن، أو اسم كان، و هي في جميع ذلك اسم ظاهر، و لكن خولف فيه مقتضى الظاهر، فوضع المضمر موضع المظهر، و ترى هذا في قول أبي تمام:

هن عوادي يوسف و صواحبه *** فعزماً فقدماً أدرك السؤل طالبه

فضمير الشأن (هن) خرج به الشاعر عن مألوف النحاة في عدم عود الضمير على معلوم، و قد أثار هذا حفيظة الآمدي فقال: (أنه ابتدأ بالكتابة عن النساء، و لم يجر لهن الذكر)[٦].

---

(١) سورة الحج، الآية ٤٦.
(٢) تفسير التحرير والتنوير: ج١٦ ص٢٨٩.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، وأخرجه أحمد.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، وأخرجه مسلم.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، وأخرجه مسلم.
(٦) الموازنة: الآمدي، (ط٢. دار المعارف، القاهرة: د.ت)، ج٢ ص١٧.

و لكن البلاغيون يرون وراء ذلك سر بلاغي دقيق يكمن في مخاطبة المفــرد بخطاب الجمع بغرض التعظيم و التودد، و لعل الشاعر هنا أراد ذلك.

المبحث الرابع

صور من أساليب التعبير بالضمير

يحتوي المبحث على أربعة مطالب

١- أسلوب التوكيد بضمير الفصل.

٢- دلالة التعبير بالضمير على القصر و الاختصاص.

٣- أهمية تقديم الضمير و تأخيره.

٤- دلالة التعبير بالضميرين.

١- أسلوب التوكيد بضمير الفصل

يعتبر ضمير الفصل من عناصر القوة والتوكيد في الجملة، فهو يفيد نوعاً من التوكيد والمبالغة في تثبيت المعنى أو نفيه، وقد ذكر الزمخشري كثير من الدواعي البلاغية التي تتعلق بأسلوب التوكيد في مقام الفصل بالضمير، ولذلك سوف أذكر هنا صوراً من مظاهر التوكيد في التعبير بالضمير في مقاماته الثلاث: التكلم و الخطاب و الغيبة؛ حتى نتمكن من التعرف على طرق بناء الكلام في الحديث النبوي، واستخلاص الأساليب البلاغية التي تكمن وراء التعبير بضمائر الفصل فيه.

والذي يعنيني هنا أن أكشف عن الدواعي البلاغية التي تؤدي إلى تحقيق المعنى عند المتكلم، وتعطيه تقوية و وكادة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، من ذلك أن ضمير المتكلم وحده قد يفيد العظمة والثقة و الاعتداد بالنفس، كقوله ﷺ : **(أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب.)**[١]، وقوله ﷺ : **(أنا سيد القوم يوم القيامة، هل تدرون بما؟..)**[٢]، ونحو قوله:**(أنا والله محمد بن عبد الله، وأنا والله رسول الله.)**[٣]، وحديث: **(أنا الملك، أين ملوك الأرض؟.)**[٤].

فإذا تأملت ما وراء التعبير بضمير التكلم (أنا) في تلك الأحاديث أدركت مدى العظمة و الاعتداد بالنفس، وبعث الثقة والطمأنينة في نفوس المؤمنين، وهو كقوله تعالى: (فلما أتاها نودي يا موسى أني أنا ربك)[٥]؛ والشاهد فيه كما في الكشاف : (تكرار الضمير في (أني أنا ربك)؛ لتوكيد الدلالة، وتحقيق المعرفة، وإماطة الشبهة.)[٦]

ومنه قول بشار بن برد :[٧]

أنا المرعث لا أخفى على أحد *** ذرّت بي الشمس للقاصي وللداني

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، وأخرجه مسلم.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، وأخرجه مسلم.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة، وأخرجه مسلم.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، وأخرجه مسلم.
(٥) سورة طه، الآية ١١,١٢.
(٦) الكشاف: الزمخشري، (ط٢ دار الفكر، بيروت: سنة ١٩٧٧م) ج٣ ص٤٢.
(٧) بشار شاعر عباسي(- ١٥٨هـ)، والمرعث لقبه، وهو كناية عن شهرته.

و كقول المتنبئ :[1]

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي *** وأسمت كلماتي من به صمم

وقد يأتي التوكيد بالضمير في مجال الوعد والضمان؛ من أجل أن تقرير المعنى وتثبيته في نفس السامع، كقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه عزّ وجلّ: **(أنا عند ظنّ عبدي بي وأنا معه..)**[2].

تأمل إيثاره التعبير بضمير التكلم وما يكمن وراءه من الوعد والضمان الذي تكفل به الله تعالى لعبده المؤمن، قال عبد القاهر: (ومما يحسن ذلك فيه- أي التوكيد- ويكثر الوعد والضمان، كقول الرجل: أنا أعطيك، أنا أكفيك، أنا أقوم بهذا الأمر، وذلك أن من شأن من تعده وتضمن له أن يعترضه الشك في تمام الوعد، وفي الوفاء به. فهو أحوج شيء إلى التأكيد.)[3].

ومن عناصر القوة في جملة التأكيد وقوع الضمير بعد (أما) كقوله ﷺ في عثمان بن مظعون: **(أما هو فوالله لقد جاءه اليقين..)**[4]، هنا ترى للتعبير بضمير الغيبة (هو) قوة وعزيمة اكتسبها من (أما)، وفي هذا يقول الزمخشري: (تقول: زيد ذاهب، فإذا قصدت توكيد ذلك، وانه لا محالة ذاهب، وأنه بصدد الذهاب، وأنه منه عزيمة قلت : أما زيد فذاهب.)[5].

ويأتي التوكيد لتقرير المعنى، وتثبيته في نفس المخاطب، كحديث أبي بكر لزيد بن ثابت: **(إنك كنت تكتب الوحي للرسول الله ﷺ..)**[6].

ففي التعبير بتكرير ضمير الخطاب في قوله (إنك كنت تكتب) تقريراً لمنزلة زيد بن ثابت، وإثباتاً لفضله، ومن تكن هذه منزلته عند رسول الله ﷺ حرى بأبي بكر أن يقدمه على غيره من كتبة الوحي، وفي هذا جاء قول الزمخشري في قوله تعالى :

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبئ: شرح أبي البقاء العكبري، (ط١ دار الفكر، بيروت: سنة ١٩٧٧م) ج٣ ص٣٦٧.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، وأخرجه مسلم.
(٣) دلائل الإعجاز: عبد القاهر، تحقيق: محمود محمد شاكر، (ط مكتبة الخانجي، القاهرة: د.ت) ص١٣٤.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب التعبير، وأخرجه أحمد.
(٥) الكشاف : ج١ ص٨٨.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، وأخرجه الترمذي.

(لا تخف إنك أنت الأعلى)، فيه تقرير لغلبته وقهره، وفي تكرير الضـــمير (إنـــك أنت)، ولفظ العلو تقرير لغلبته وقهره.)[١].

تلك هي بعض الصور والنماذج من أسلوب التوكيد في مقام التعبير بالضمير.

٣- دلالة التعبير بالضمير على القصر و الاختصاص

يأتي القصر و الاختصاص بالأساليب مخصوصة حدد البلاغيون منها أربعـــة مشهورة، وهي إنما، والاستثناء، والعطف، والتقديم والذي يعنيني منها تعلق الضمائر بها، وما وراء التعبير بضمائر الحضور والغياب من دواعي وأغراض بلاغية.

تأمل قول عبد القاهر، وهو يكشف دلالة التعبير بإنما، وقد جاء بعدها ضـــمير التكلم (أنا)، يقول في قوله تعالى: (قل إنما أنا بشر مثلكم.)[٢]، وجاء بإنما؛ لأنه ابتداء كلام قد أمر النبي ﷺ بأن يبلغه إياهم، ويقوله معهـــم، ولـــيس هـــو جوابـــاً لكـــلام سابق.)[٣]، وهذا كقوله ﷺ : **(إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلى..)**[٤]، وكقوله ﷺ : **(سمى باسمي، ولا تكنوا بكنيتي، فإنما أنا قاسم أقسم بينكم)**[٥]، والشاهد في قولـــه (إنما أنا بشر)، و(إنما أنا قاسم)، وعليه قول السكاكي: (ترى في قولك: مـــا أنـــا إلا تميمي، وإنما أنا تميمي، وتميمي أنا، قصر الموصوف على الصفة.)[٦].

بمعنى أن قوله ﷺ : (إنما أنا بشر) يصح أن تقول فيه (مـــا أنـــا إلا بشـــر)، وتقول في قوله ﷺ: (فإنما أنا قاسم)، (ما أنا إلا قاسم)، و لـــيس معنـــى هـــذا: (أن المعنى في هذا هو المعنى في ذلك بعينه، وإنما سبيلهما سبيل اللفظين يوضعان لمعنى واحد، والفرق بين أن يكون في الشيء معنى الشيء، وبين أن يكون الشيء الشـــيء على الاطلاق يبين لك أنهما لايكونان سواء، أنه ليس كل كلام يصلح فيه (مـــا و إلا) يصلح فيه إنما.)[٧].

---

(١) الكشاف: ج٣ ص٥٧.
(٢) سورة الكهف: الآية ١١٠.
(٣) دلائل الإعجاز: ص٣٣٣.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الحيل، وأخرجه مسلم.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، وأخرجه مسلم.
(٦) مفتاح العلوم: ص٢٩٣.
(٧) دلائل الإعجاز: ص٣٢٩.

وقل مثل ذلك في قوله ﷺ في أكل لحم الحمار الوحشي: (**إنما هي طعمة أطعمكموها الله..**)[١]، والشاهد فيه (إنما هي طعمة)، تقول فيه (ما هي إلا طعمة)، وفي قوله ﷺ في عدة من توفى عنها زوجها: (**إنما هي أربعة أشهر وعشر**)[٢]، وتقول فيه (ما هي إلا أربعة أشهر وعشر.)

وفي قوله ﷺ عن الظلم: (**ليس ذلك إنما هو الشرك**)[٣]، والشاهد فيه (إنما هو الشرك)، تقول فيه (ما هو إلا الشرك)، و منه حديث ابن عباس في قوله تعالى: (و لا يعصينك في معروف)[٤]، قال: (**إنما هو شرط شرطه الله للنساء**)[٥]، تقول فيه (ما هو إلا شرط).

٣- أهمية تقديم الضمير وتأخيره

إن الذي يعنيني من أمر التقديم والتأخير هو شأن التعبير بالضمير عندما يكون مسنداً إليه مقدماً على المسند، أو متأخراً عنه مثبتاً أو منفياً مسبوق بنفي، أو مقدماً على النفي، وينبغي أن أشير هنا إلى أهمية تقديم النفي على الضمير، وما له من مزية بلاغية دقيقة يجدر بنا الوقوف عندها من خلال نظرية النظم عند الإمام عبد القاهر، ثم تطبيق ذلك على بعض الصور والنماذج من أحاديث النبي ﷺ، يقول عبد القاهر: (إذا قلت: (ما أنا قلت هذا) كنت نفيت أن تكون القائل له، وكانت المناظرة في شيء ثبت أنه مقول.)[٦].

ويقرر البلاغيون أن الضمير المسند إليه إذا كان مسبوقاً بالنفي فإنه يفيد التخصيص قطعاً، وعلى هذا جاء قوله ﷺ، وقد فجئه الوحي بأمر القراءة: (**ما أنا بقارئ**)[٧]، فالغرض البلاغي يكمن وراء التعبير بالضمير (أنا) وقد سبقه النفي، إذ ليس غرضه ﷺ أن ينفي القراءة عن نفسه فحسب، بل له غرض آخر هو إثبات

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، وأخرجه مسلم.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، وأخرجه مسلم.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، وأخرجه مسلم.
(٤) سورة الممتحنة: الآية ١٢.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن.
(٦) دلائل الإعجاز:ص ١٢٤.
(٧) أخرجه البخاري في كتاب التعبير، وأخرجه مسلم.

القراءة لغيره، فلو أنه قدم ضميره على النفي، وقال: (أنا لست بقارئ)؛ لذهبت هذه الفائدة، إذ أن هذا التركيب يمكن أن يكون معناه نفي القراءة عن نفسه ﷺ دون إثباتها لأحد آخر.

يقول ابن حجر: (إن قوله (ما أنا بقارئ) تركيب يفيد الاختصاص، وقد يفيد التقوية والتأكيد، والتقدير: لست بقارئ البتة فإن قيل: لم كرر ذلك ثلاثاً؟ فإن قوله أولا: ما أنا بقارئ؛ يحمل على الامتناع، وثانياً: على الإخبار بالنفي المحض، ثالثاً: على الاستفهام.)[1].

ونظير هذا تراه في قوله تعالى: (وما أنت علينا بعزيز)[2]، إذ ليس غرض قومه أن ينفوا العزة عنه فحسب، بل أن لهم غرضاً آخر وهو أن يثبتوها لرهطه أيضاً، وفي هذا يقول السكاكي : (أي العزيز علينا يا شعيب رهطك لا أنت؛ لكونهم من أهل ديننا، ولو أنهم كانوا قالوا: ما عززت علينا لم يصح هذا الجواب، ولا طابق.)[3]

وندرك مثل هذا الأسلوب أيضاً في قوله ﷺ لا صحابه في قتلي يوم بدر: **(ما أنتم بأسمع لما أقول منهم)**[4]، إذ ليس غرضه ﷺ أن يثبت كون الموتى يسمعون الأحياء أيضاً، ولو أنه كان قال: (أنتم لستم بأسمع لما أقول)؛ لذهبت هذه المزية البلاغية الدقيقة المسلك، وقريب من هذا تراه في قوله تعالى: (ما أنت بمسمع من في القبور.)

٤- دلالة التعبير بالضميرين

إن للتعبير بالضميرين دلالة واضحة على التقوية والتوكيد، وأعني بهذا أن يؤكد الضمير المتصل بالضمير المنفصل، كقولك: (إنك أنت)، أو يؤكد المتصل بمتصل مثله، كقولك (إنك إنك لعالم).

---

(١) فتح الباري: ج١ ص٢٤.
(٢) سورة هود، الآية ٩١.
(٣) مفتاح العلوم: ص٢٣٢.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، وأخرجه مسلم.

وقد أتيت بهذه الأمثلة هنا في معرض المبالغة، بمعنى أن نتعرّف على السر البلاغي الذي يكمن وراء التعبير بالضميرين، ونذكر لذلك ما ذهب إليه ابن الأثير، فقال: (إذا كان المعنى المقصود معلوماً ثابتاً في النفوس، فأنت بالخيار في توكيد أحد الضميرين فيه بالآخر، وإذا كان غير معلوم، وهو مما يشك فيه، فالأولى حينئذ أن يؤكد أحد الضميرين بالآخر في الدلالة عليه؛ لتقريره وتثبيته.)[١]

ويأتي التعبير بالضميرين كثيراً في عطف النسق، وهو بالواو أكثر في الحديث النبوي، يقول ابن مالك:

وان على ضمير رفع متصل *** عطفت فافصل بالضمير المنفصل

(أي، إذا عطفت على ضمير الرفع المتصل وجب أن تفصل بينه وبين ما عطفت عليه بشيء، ويقع الفصل كثيراً بالضمير المنفصل، نحو قوله تعالى: (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين)، فقوله: وآباؤكم معطوف على الضمير في كنتم، وقد فصل بأنتم، والضمير المستتر في ذلك كالمتصل، نحو قوله تعالى: (أسكن أنت وزوجك الجنة)، فزوجك معطوفة على الضمير المستتر في أسكن، وصح ذلك للفصل بالضمير المنفصل، وهو أنت، وقد ورد في النظم كثيراً العطف على الضمير المذكور بلا فصل.)[٢]

ثم أنظر في ما وراء التعبير بالضميرين عن طريق العطف في حديث عائشة قالت: (**أنا طيبتُ رسول الله ﷺ، ثم طاف في نسائه، ثم اصبح محرماً**)[٣]، والشاهد فيه (أنا طيبتُ) فيه تعبير بالضميرين؛ وذلك لإزالة الشك والتردد عن ابن عمر في حديثه الذي قال فيه: (**ما احب أن اصبح محرماً أنضخ طيباً.**)[٤]، فهي بذلك إنما تقرر إباحة التطيّب في الإحرام .

---

(١) المثل السائر: لابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (ط دار المكتبة العصرية، بيروت: سنة ١٩٩٥م) ج٢ ص١٧.

(٢) شرح ابن عقيل: ج٢ ص٢٣٦.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الغسل، وأخرجه مسلم.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الغسل، وأخرجه مسلم.

وهذا ما تراه في حديث عمار بن ياسر لعمر بن الخطاب، قال: (**أما تذكر أنَّا كنا في سفر أنا وأنت ، فأما أنت فلم تصل ، وأما أنا فتمعكتُ فصليت ، فذكرت للنبيﷺ**)[١]

وقد جاء معنى هذا في إرشاد الساري حيث قال: (ففي قوله : لكا في السفر أنا وأنت، (أنا و أنت) تفسير لضمير الجمع في (كنا)، وقوله: (وأما أنا فتمعكت)، أي تمرغت في التراب، كأنه لما راى أن التيمم إذا وقع بدل الوضوء وقع على هيئة الوضوء راى ان التيمم عن الغسل يفهم على هيئة الغسل.)[٢]

وترى مثل هذا كذلك في حديث عائشة قالت: **(كنتُ اغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد..)**[٣]، تأمل تأكيد الضمير المتصل بضمير منفصل مثله في قولها: (كنتُ اغتسل أنا)، فغرضها من التعبير بالضميرين هنا هو تقرير أمر الغسل وتثبيته في نفوس السائلين عنه، فإنه لما كان أمر الطهارة من الأمور التي كثيراً ما يطرأ على الناس فيها الشك والتردد، لذلك تجد السيدة عائشة قد عبّرت بالضميرين؛ لإزالة الشك والتردد.

وهذا كقوله تعالى: (ما ولاهم عن قبلتهم)[٤]، وتفسير هذا جاء في تفسير التحرير والتنوير، قال: (وضمير الجمع في قوله (ما ولاهم) عائد إلى معلوم من المقام غير مذكور في اللفظ حكاية لقول السفهاء، وهم يريدون بالضمير، او بما يعبر عنه في كلامهم أنه عائد على المسلمين، واضافة القبلة إلى ضمير المسلمين للدلالة على مزيد أختصاصهم بهم، إذ لم يستقبلها غيرهم من الأمم؛ لان المشركين لم يكونوا يستقبلون في صلاتهم الكعبة.)[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التيمم، وأخرجه مسلم.
(٢) إرشاد الساري: القسطلاني، (ط١ دار الفكر، بيروت: سنة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) ج١ ص٦٧٧.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الغسل، وأخرجه مسلم.
(٤) سورة البقرة، الآية ١٤٠.
(٥) تفسير التحرير والتنوير: ج٢ ص٨.

وهو أيضاً كقوله تعالى لموسى عليه السلام: (قلنا لا تخف إنك أنت الاعلى)[1]، فسَّر ذلك ابن الأثير بقوله : (فإن موسى لم يكن متيقناً أنه غالب للسحرة فلذلك وكّد خطابه بالضميرين؛ ليكون ابلغ في تقرير ذلك في نفسه.)[2]

(١) سورة طه، الآية ٦٨.
(٢) المثل السائر: ج٢ ص٢٠.

الفصل الثاني

الأسرار البلاغية للتعريف بالعلمية

يحتوي الفصل على ثلاثة مباحث:

الأول – الأسرار البلاغية لتعريف الاسم بالعلمية.

الثاني– الأسرار البلاغية للتعريف بالألقاب والكنى.

الثالث– صور من أساليب التعبير بالعلمية.

المبحث الأول

الأسرار البلاغية لتعريف الاسم بالعلمية

يحتوي المبحث على خمسة مطالب :

١- مفهوم الاسم العلم.

٢- دلالة الاسم بالغلبة على العلمية .

٣- دلالة إحضار الاسم للعلمية.

٤- قيود إحضار الاسم للعلمية .

٥- دواعي إحضار العلمية بالابتداء.

الأسرار البلاغية لتعريف الاسم بالعلمية

لم يتطرق البلاغيون لدواعي العلم البلاغية في سياق الجملة، وإنما انصب جلّ اهتمامهم على الدواعي الذاتية المستخلصة من ذات العلم؛ ولعل ذلك يرجع أساساً إلى أن العلم معين دون حاجة إلى دلالة قرينة خارجة عنه، وهذا ما يميزه عن غيره من المعارف الأخرى التي هي:(غير معينة في اصل الوضع، بل تعينها بالاستعمال.)[١].

والعلم من أصناف الاسم على حد قول النحاة، من ذلك ما ذهب إليه الزمخشري بقوله: (اعلم أن العلم هو الاسم الخاص الذي لا أخصّ منه.)[٢]؛ ولذكر الاسم اثر كبير في استدعاء كل ما يحمله المخاطب تجاهه من تقدير، أو كره أو ازدراء أو سخرية أو فخر أو مدح أو نحوها.

وهذا المبحث ندرج تحته مطالب يجرى تفصيلها كما يلي:

١- مفهوم الاسم العلم:

يذكر النحاة أن العلم اسم خاص يؤتى به ليميز مسماه عن غيره، ولا يختلف هذا مع قول اللغويين، كقول ابن فارس: (و العلم : الراية، والجمع : أعلام، والعلم الجبل، وكل شيء معلماً: خلاف المجهل، ومنه قوله تعالى: (وإنه لعلم للساعة)، في قراءة بعض القراء وقالوا:يراد به نزول عيسى عليه السلام؛وإنه بذلك يعلم قرب الساعة.)[٣]

وجاء في حاشية الصبّان: (العلم يطلق على: الجبل، والراية والعلامة)[٤]، ويستدل على ذلك بقول الخنساء:[٥]

وإن صخراً لتأتمّ الهداة به *** كأنه علم في رأسه نار

---

(١) حاشية الدسوقي على شرح السعد: (ط دار السرور، بيروت: د.ت)، ج١ ص٢٩٣.
(٢) شرح المفصل: الزمخشري، قدم له: اميل بديع يعقوب، (ط١ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ج١ ص٩٣.
(٣) مقاييس اللغة: ج١ ص١٠٩،١١٠.
(٤) حاشية الصبان على شرح الاشموني: تحقيق: مصطفى حسين أحمد، (ط دار الفكر، بيروت : د.ت) ج١ ص١٣٧.
(٥) البيت في مقياس اللغة: ج٤ ص١٠٩، وفي ديوان المعاني: أبي هلال العسكري (ط مكتبة القدس، القاهرة: د.ت) ج١ ص٤.

والشاهد فيه (علم في رأسه نار)، أي: فارس معلّم، كما يقول الزمخشري: (و يقال: خفيت معالم الطريق، أي أثارها المستدل بها عليها.)[١]، ومنه حديث عائشة، قالت: **(صلى رسول الله ﷺ في خميصة له لها اعلام، فنظر إلى اعلامها نظرة، فلما انصرف قال: كنت انظر إلى علمها، وأنا في الصلاة، فأخاف أن تفتنني.)**[٢]، ومنه أيضاً حديث أم خالد بنت خالد، قالت: **(أتى رسول الله ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء.. فجعل ينظر إلى علم الخميصة، ويشير بيده إلى..)**[٣]

وعلى هذا فان لفظة (علم) التي جمعها (أعلام)،والتي وردت في الأحاديث السابقة تدل على المعنى اللغوي الذي يقود بدوره إلى أسلوب من الأساليب البلاغية التي تكمن وراء التعبير به ،وذلك لان العلم من أساليب تعريف المسند إليه :(لإحضاره بعينه في ذهن السامع ابتداء باسم مختص به ،نحو قوله تعالى :(قل هو الله أحد)، أي الشان الله أحد ،فهذا المقام مقام التوحيد ،والعلمية انسب به من سائر المعارف ،فاسم الجلالة جعل علماً للذات الواجب الوجود الخالق للعالم.)[٤]، أي : (أن الله من الأسماء الغالبة)، كما قاله الزمخشري.[٥]

ومنه أيضاً قول الناظم:[٦]

وعلم لأجل أن يحضر في *** ذهن بعينه باسمه الوفي

٢- دلالة الاسم بالغلبة على العلمية

وقد يأتي المسند إليه علماً بالغلبة،أي شائعاً ومشتهراً على ما جاء في التسهيل: (هو المخصوص مطلقاً غلبة أو تعليقاً بمسمى غير مقدر الشياع، أو الشائع الجاري مجراه.)[٧]، وهذا الشياع لا ينصرف إلى غيره من المشخصات.

---

(١) أساس البلاغة: الزمخشري، (ط دار الفكر، بيروت: ١٩٨٣م)ص٤٣٤.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، وأخرجه مسلم.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، وأخرجه أبو داود
(٤) مواهب الفتاح: لابن يعقوب المغربي، (ط دار السرور، بيروت: د.ت) ج١ ص٢٩٦.
(٥) الكشاف: ج١ ص١٦.
(٦) شرح عقود الجمان: ص١٦.
(٧) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: لابن مالك، (ط المكتبة العربية، القاهرة: سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م) ص٣٠.

وقد ذكر صاحب المفصل أمثلة لبعض الأعلام الشائعة من رواة الحديث النبوي، فقال: (وقد يغلب بعض الأسماء الشائعة على أحد المسلمين به، فيصير علماً له بالغلبة، وذلك نحو: ابن عمر،وابن عباس، وابن مسعود غلبت على العبادلة دون من عداهم أبناء أبائهم، وكذلك ابن الزبير غلب على عبد الله بن الزبير دون غيره من أبناء الزبير.)[١]

ومنه حديث ابن عباس في ابن الزبير، قال: (**أبوه الزبير وأمه أسماء، وخالته عائشة، وجده أبوبكر، وجدته صفية.**)[٢].

ومنه أيضاً حديث ابن عمر في رؤياه التي قصتها حفصة على النبي ﷺ فقال: (**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي بالليل.**)[٣].

وحديث عبد الله بن عمرو قال : ذاك رجل لا أزال أحبه بعد ما سمعت رسول الله ﷺ، يقول: (**استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، فبدأ به..**)[٤].

والسر البلاغي وراء ذكر هذه الأعلام المشهورة من رواة الحديث النبوي هو تعظيماً لشأنهم، وتبركاً بأسمائهم، وعلى هذا جاء قول الزمخشري: (اعني ابن عمر، وابن عباس، وابن مسعود، وغيرها مما ذكره في الاصل شاملة كل مولود لهم، والاسم إذا غلب، وأشتهرصار كالمتواضع عليه، وجرى مجرى العلم في إفادة التعريف، وذهاب الوهم إلى شخص بعينه حتى لا يقال لكل من كان أبناً لعمر، وعباس: ابن عمر، وابن عباس، حتى يقيد باسمه أو صفته، فابن عمر غلب على عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وابن عباس غلب على عبد الله بن عباس ابن المطلب رضي الله عنهما، وابن مسعود غلب على عبد الله بن مسعود، وابن الزبير غلب على عبد الله بن الزبير بن العوام؛ وذلك لشهرتهم بالعلم، كان يضرب

---

(١) شرح المفصل: ج١ ص١٢٥.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، وأخرجه مسلم.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، وأخرجه مسلم.

بهم المثل في الفقه، يقال: فقه العبادلة، وقوله: العبادلة تكسير عبد الله، كأنه رُكب من المضاف و المضاف إليه اسم رباعي، نحو: عبدل، ثم جمعوه على عبادلة، كصيارفة، وصياقلة، وقد يفعلون مثل ذلك في النسب، قالوا: عبدري وعبشمي في النسب إلى عبد شمس، وعبد الدار، كأنهم نسبوا إلى عبدر، وعبشم، فعلى هذا قياس تكسيره عبادرة و عباشمة، وليس ذلك بقياس.)[١]

وعلى هذا فإن راوي الحديث يكون علماً بالغلبة: أي شخصياً؛ لإحضاره بعينه في ذهن السامع ابتداءً باسمه الخاص به على حد قول البلاغيين، ومنه قول الناظم:[٢]

وكونه بعلَم ليحصلا *** يذهب سامع بشخص أولاً

والشاهد في فيه قوله: (وكونه بعلم)، والعلم المقصود بالذكر هو المسند إليه غالباً، أي: (لإرادة إحضار المتكلم بعينه، أي بذاته المعينة المشخصة بحيث يكون مميزاً عن جميع من عداه.)[٣].

٣- دلالة إحضار الاسم للعلمية

يقسم البلاغيون العلَم باعتبار دلالته على معنى زائد على العلمية، أو عدم دلالته إلى اسم، ولقب، وكنية، فأما الاسم هنا، فهو علم يدل على ذات معينة مشخصة، يقول الزمخشري : (والاسم اشتقاقه من السمو؛ لأن التسمية تنويه بالمسمى، و إشادة بذكره.)[٤]

وهذا معناه أن الاسم قد يرد علماً، أي كونه أسماً خاصاً، وفي هذا تأمل قول

---

(١) شرح المفصل: ج١ ص١٢٦.
(٢) شرح الجوهر المكنون: ص٥٣.
(٣) خلاصة المعاني: لابن الحسين المفتي، تحقيق: عبد القادر حسين، (ط دار الاعتصام، القاهرة: د.ت)، ص١٤١.
(٤) الكشاف: ج١ ص١٥.

الإمام علي رضي الله عنه :[١]

* أنا الذي سمتني أميّ حيدرة *[٢]

وهذا الاسم العلم هو غير الكنية واللقب على ما سنوضحه لاحقاً في موضعه من هذا المبحث، والذي يعنيني هنا أن أستخلص من دلالة الاسم العلمية دواعيها البلاغية التي تكمن فيها.

فمن ذلك تأمل دلالة احضار لفظ الجلالة (الله) في الأحاديث النبوية الآتية:

قوله ﷺ وقد سئل عن ذرارى المشركين: **(الله اعلم بما كانوا عاملين.)**[٣].

وقوله ﷺ: **(الله افرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره، وقد اضله في أرض فلاة.)**[٤].

وقوله ﷺ : **(الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب؟)**[٥].

تأمل إحضار الذات العلية في هذه الأحاديث ترى أن اسم الجلالة : (الله يطلق على مفهوم المعبود بحق على سبيل العلمية بالغلبة، أي على ذاته تعالى الكثيرة الإطلاق.)[٦].

إذ أن الله جلّ في علاه له الأسماء الحسنى، وهي من الأعلام المختصة بالذات العلية، وقد جاء مثل تلك الأحاديث كثير من الآيات القرآنية، منها قوله تعالى: (الله اعلم حيث يجعل رسالته.)[٧]، وقوله (الله يعلم ما تحمل كل أنثى، وما تغيض الأرحام)[٨]

---

(١) أدب الكاتب: لابن قتيبة (ط١ دار الكتب العلمية- بيروت: د.ت) ص٢٧٥.
(٢) لم يختلف الرواة أن البيت لعلي، واراد أن يقول: أنا الذي سمتني أمي أسداً، فلم يستقم له الروى.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب القدر، وأخرجه مسلم.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، و أخرجه مسلم.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، وأخرجه مسلم.
(٦) تقرير الانبابي على السعد: ج٢ ص٤٦.
(٧) سورة الانعام، الآية ١٢٤.
(٨) سورة الرعد، الآية ٨.

وقوله : (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها.)[1]، إلى غير ذلك من الآيات الكريمة، وهذا هو مقام العلمية الذي يختص بالاسم العلم المسند إليه، وقد ذهب إليه السكاكي بقوله : (و أما الحالة التي تقتضي كونه علماً، فهي إذا كان المقام مقام احضار له بعينه في ذهن السامع ابتداء بطريق يخصه، كنحو : (زيد صديق لك)، و (عمرو عدو لك).)[2]

ومثل لذلك بقول الشاعر:

الله يعلم ما تركت قتالهم *** حتى علوا فرسي بأشقر مزبد

فإذا تأملت السر البلاغي في إحضار لفظ الجلالة في البيت تجده جاء به من اجل أن يناسب به مقام الاعتذار، وانه لم يفر من المعركة إلا بعد أن أبلي بلاءً حسناً، ثم ليعلم بهذا أنه صادق في اعتذاره.

ومن هذا أيضاً تأمل السر البلاغي في إحضار اسم المدنية للعلمية في قوله ﷺ : (**المدينة يأتيها الدجال فيجد الملائكة يحرسونها فلا يقربها الدجل.**)[3]، وقوله: (**المدينة حرام ما بين عائر إلى كذا..**)[4].

فإحاضر المدينة للعلمية كان من أجل قدسيتها و عظمتها لدى رسول الله ﷺ، وجميع المسلمين، كما ذكر اسم الدجال في الحديث مرتين دلالة على خطورة أمره بإضلاله للناس.

٤- قيود إحضار الاسم للعلمية

إن إحضار الاسم للعلمية تتعلق به قيود ثلاثة: (وهذه القيود الثلاثة اعني: بعينه، وابتداءً، و باسمه الخاص؛ لتحقيق مقام العلمية، فلا بأس أن يقع فيها ما يصح الاحتراز عن الجميع.)[5].

---

(١) سورة الرعد، الآية ٢.
(٢) مفتاح العلوم: ص١٨٠.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، وأخرجه مسلم.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة، وأخرجه مسلم.
(٥) خلاصة المعاني: ص١٤٢.

فأولها: أن يكون حاضراً بعينه: (أي بشخصه بحيث يكون متيزاً عن جميع ما عداه، واحترز بهذا عن إحضاره باسم جنسه، نحو: رجل عالم جاءني، في ذهن السامع.)[1].

وهذا معناه أن يكون علماً للشخص، لا اسماً للجنس؛ لان اسم الجنس شبيه بالنكرة، وحينئذٍ فهو يحتاج إلى تعريف، والعلم معرف بذاته على حد قول النحاة:(أي أن العلَم وضع للشيء، وهو الذات مثلاً، وعند تبدل المشخصات يكون استعمال العلم مجازاً، و المراد بالمشخصات امارات الشخص لا موجباته؛ لأن الشخص هو الموجود على النحو الخاص، أو على حالة تقارنه أو تتبعه، والإعراض والصفات بالكم و الكيف امارات يعرف بها الشخص، وهذا لما علميته حقيقية، وهو علم الشخص بخلاف علم الجنس، فإن علميته حكميه حتى صرّح النحاة بأن علمية الجنس إنما تعتبر عند الضرورة.)[2].

و أما القيد الثاني، فهو أن يكون الاسم– المسند إليه – أي العلم ابتداءً: (أي في أول مرة، واحترز به عن إحضاره ثانياً بواسطة وجود العلم أولاً، نحو: جاءني زيد وهو راكب، فإن الضمير عينه بواسطة معاده الذي عينه أولاً، فكان إحضاره به ثانياً، والمراد بالإحضار الإحضار بالقوة، بمعنى أنه إحضاره به يكون ذلك الإحضار ثانياً، فلا يرد أن يقال قد حضر بالمعاد؛ فالإحضار بالضمير مع قوة العهد بالمعاد تحصيل حاصل؛ لانّا نقول إذا احضر به كما لو غفل عنه اثر الحضور يكون الإحضار ثانياً، أو المراد الدلالة، وهي مخالفة الأولى في الجملة، وهي ثانية باعتبارها، ثم أن المراد أيضاً ا لإحضار باللفظ بعد الإحضار بآخر معين، فلا يرد أن المعرّف بلام العهد، وبالصلة، وبالإضافة ذات العهد الخارجي قد حضرت بتلك الأمور، فإحضارها باللفظ يكون ثانياً؛ لأنها لم تحضر أولاً باللفظ معين، ثم أحضرت ثانياً، ولا يراد أيضاً نحو:

---

(١) مختصر التفتازانى: القزويني، (ط٢، طبع بمصر: ١٣٥٧هـ)، ج١ ص٢٩٣.
(٢) حاشية الدسوقي على شرح السعد: ضمن شروح التلخيص، ج١ ص٢٩٢.

جاءني رجل، و أكرمت الرجل؛ لأن الأول لم يعينه كما في : جاءني زيد وهو يضحك، مثلاً.)[1].

والقيد الثالث لإحضار الاسم بالعلمية هو كونه اسماً خاصاً أي باسم مختص به، وهذا معناه كما يذكر البلاغيون أن لا يكون اسم إشارة، أو اسم موصول مثلاً، وهذا ما ذهبوا إليه في قولهم: (باسم مختص به احتراز عن اسم الإشارة والموصول، وأما لفظ الجلالة (الله)، فإنه علم حقيقي على الراجح، وهذا بناءً على القول بأنه علم، وهو المشهور.)[2].

وعلى هذا فإن مقام العلمية المقصود هنا كما جاء في شرح السعد: (هو ما كان ملحوظاً فيه الإحضار للعين ابتداءً بالاسم المختص، أي ما كان ملحوظاً فيه كل واحد من هذه القيود.)[3].

5- دواعي إحضار العلمية بالابتداء

ويقصد بإحضار العلمية ابتداءً، أي أول مرة لا ثانياً، وهذا احتراز عن الإحضار ببعض المعارف الأخرى، كالضمير، واسم الإشارة، واسم الموصول، و نحوها: (وقيل: احترز بقوله ابتداء عن الإحضار بشرط كما في الضمير الغائب، والمعرّف بلام العهد، فإنه يشترط تقديم ذكره، والموصول فإنه يشترط تقدم العلم بالصلة وفيه نظر؛ لان جميع طرق التعريف كذلك حتى العلم فإنه مشروط بتقدم العلم بالوضع.)[4].

وعليه فإنه يجب إحضار الاسم ابتداءً إذا أريد به العلمية: (أي يأتي أن يكون ذلك، فلا يقال أن ذلك غير لازم بدليل: جاء زيد زيد .)[5]، أو كما في قولك: (جاء

---

(١) مواهب الفتاح: ج١ ص٢٩٤.
(٢) عروس الافراح: بهاء الدين السبكي، (ط دار السرور، بيروت: د.ت) ج١ ص٢٩٧.
(٣) تقرير الانباني على السعد : ج٢ ص٤٣.
(٤) شرح السعد: القزويني، (ط مطبعة السعادة، بمصر: ١٣٣١هـ) ج٢ ص٤٢،٤٣.
(٥) التجريد في علم المعاني: سعد الدين التفتازاني، (ط مطبعة السعادة بمصر: ١٣٣١هـ) ج٢ ص٤٠.

زيد وزيد حقيق بالإكرام)، ومثل هذا تراه في قوله ﷺ: (.. **إن مجززاً المدلجي دخل عليّ فرأى أسامة بن زيد وزيداً، وعليهما قطيفة..**)[١].

فإذا تأملت الشاهد في الحديث، وهو قوله: (أسامة بن زيد و زيد) ترى: (أن العلم الثاني يفيد الإحضار ثانياً لا ابتداءً، فيكون مساوياً للضمير، و أجيب بان كلامه لا يقتضي أن العلم لا يفيد إلا الإحضار المذكور، بل معناه أنه إذا أريد الإحضار ابتداءً لا يؤتى إلا بالعلم، وهذا لا ينافي انه يؤتى به للإحضار ثانياً ولا يرد ما ذكر إلا لو قال التعريف بالعلمية لا يكون إلا للإحضار المذكور.)[٢].

ومن ذلك أيضاً تأمل قوله ﷺ، وقد أحضر اسم النبي داود عليه السلام للعلمية: (**أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام واحب الصيام إلى الله صيام داود..**)[٣]

فالإحضار الأول كان ابتداءً، و الإحضار الثاني مساوياً للضمير، وكان حقه أن يقول: (.. واحب الصيام إلى الله صيامه..)، وهذا الإحضار الثاني يسميه البلاغيون الإظهار في مقام الإضمار، أو وضع المظهر موضع المضمر.

ومثل هذا أيضاً تراه في قوله ﷺ: (**لو أن الأنصار سلكوا وادياً أو شعباً لسلكت في وادي الأنصار، و لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار**)[٤].

وقوله ﷺ: (**آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار.**)[٥].

وفي هذا يقول البدر العيني: (والأنصار اسم معين، وهم ولد الأوس والخزرج ويقال سماهم الله تعالى بذلك في قوله تعالى: و(والذين أووا ونصروا أولئك هم المؤمنين حقاً)، وهذا حصر ادعائي تعظيماً لحب الأنصار، كأن الدعوى أنه لا علامة للإيمان إلا حبهم، وليس حبهم إلا علامته، وكان الأنصار ممن تبعه أولاً، فوجب لهم محبة الله، ومن احب الله وجب على العباد حبه.)[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفرائض، وأخرجه مسلم.
(٢) حاشية الدسوقي على شرح السعد: ج١ ص٢٩٤.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، وأخرجه مسلم.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، وأخرجه أحمد
(٥) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، وأخرجه مسلم.
(٦) عمدة القارئ: بدر الدين العيني، (ط دار إحياء التراث العربي، بيروت: د.ت)، ج١ ص١٥١،١٥٠.

وفي الحديث انس بن مالك، قال: كانت الأنصار يوم الخندق تقول:

نحن الـــذين بايعـــــوا محمد *** على الجهاد ما حيينا أبـــدا

فأجابهم النبي ﷺ، بقوله:[1]

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة *** فاكرم الأنصار والمهاجرة

وفي رواية:

اللهم أن الأجر أجر الآخرة *** فارحم الأنصار و المهاجرة

ومنه أيضاً حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص: **(أن رســـول الله ﷺ أعطـــى رهطاً، و سعد جالس ..)**[2].

ذكر البدر العيني أن هذا الحديث فيه وجهان، فقـــال: (الأول أن يكـــون فيـــه التفات على قول صاحب المفتاح من التكلم إلى الذي هو مقتضى المقام إلى الغيبـــة، وأما على قول غيره، فليس فيه التفات؛ لأنهم شرطوا أن يكون الانتقال مـــن الـــتكلم والغيبة محققاً، وصاحب المفتاح لم يشترط ذلك، بل قال: الانتقال اعم من أن يكـــون محققاً، أو مقدراً؛ والوجه الثاني: أن يكون هذا من باب التجريد، وهو أن يجرد مـــن نفسه شخصاً، ويخبر عنه وذلك أن القياس في قوله: (وسعد جالس)، ان يقول (وأنـــا جالس)، ولكنه جرد من نفسه ذلك، واخبر عنه بقوله (جالس)، وهو مـــن محســـنات الكلام من الضروب الراجعة إلى وظيفة البلاغة.)[3].

أما إحضار الاسم بالضمير ثانياً فهو إحضار ثانوي، نحو: جـــاء زيـــد وهو راكب، ومعناه كما جاء في حاشية الدسوقي: (أن الضمير(هو) حضر ا لـــذات ملتبسة بالتعيين في ذهن السامع، ولكن هذا الإحضار ثانوي؛ لأن الضـــمير متوقـــف على المرجع، فالمرجع مفيد للتعيين أولاً، والضمير مفيد له ثانياً، فإن قلت ما معنـــى إحضار الذات ثانياً مع أنها أحضرت أولاً، والحاضـــر لا يحضـــر؛ لأنـــه تحصـــيل الحاصل وهو محال؟، واجب بأن المراد بالإحضار الالتفات و التوجه و حضوره أولاً

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، وأخرجه مسلم.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، وأخرجه مسلم.
(٣) عمدة القارئ : ج١ ص١٩٤.

لا ينافي حضوره ثانياً بمعنى التوجه إليه، أو المراد أنه إحضار ثانوي على تقدير ذهاب الحضور الأول، أو يقال أن الإحضار يفيد كونه مدلول زيد مغايراً؛ لكونه مدلولاً للضمير، فلم يلزم تحصيل الحاصل.)[١].

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: (واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين)[٢]، وقوله: (فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين)[٣].

والشاهد في الآيتين قوله: (وهو خير الحاكمين)، فمرجع الضمير (هو) يعود للفظ الجلالة، فأنت ترى هنا أن إحضار الضمير إحضار ثانوي، وليس ابتداء.

وترى مثل هذا في حديث عائشة، قالت :(**كان النبي ﷺ يقبل ويباشر وهو صائم.**)[٤]، والشاهد فيه: (وهو صائم).

ومنه حديث عائشة أيضاً، قالت:(**أن رسول الله ﷺ كان يصلي جالساً، فيقرأ وهو جالس.**)[٥]، والشاهد فيه (وهو جالس).

ففي تلك الأحاديث وغيرها تدرك أن مرجع كل ضمير كان اسماً علماً ذكر ابتداء، و أما الضمير، فهو إحضار ثاني لذلك الاسم العلم.

ومثاله من الشعر قول أبي تمام:

بيمن أبي إسحاق طالت يد العلي *** وقامت قناة الدين واشتد كاهله

هو البحر من أي النواحي آتيته *** فلجته المعروف والجود ساحله[٦]

والشاهد فيه: (هو البحر)، ومرجع هذا الضمير علم هو آبو إسحاق، حيث تري فيه إحضار الاسم العلم لدلالة المدح.

و آما إذا بدأت بالضمير، أي إن ذكر الضمير جاء ابتداء، فان الإحضار في ذهن السامع ليس بالاسم الخاص المعروف بالعلمية كنحو قوله ﷺ:(**أنا فرطكم على**

---

(١) حاشية الدسوقي على شرح السعد: ج١ ص٢٩٤.
(٢) سورة يونس، الآية ١٠٩.
(٣) سورة الأعراف، الآية ٨٧.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، وأخرجه مسلم.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب تقصير الصلاة، وأخرجه أحمد.
(٦) أنظر البيتين في شرح عقد الجمان: ص١٥.

الحوض)[١]، وكقولك:(آنا ضربت زيدا)، وكقوله ﷺ:**(انتم خير آهل الأرض)**[٢]، وقولك:(آنت ضربت عمرا)، وهذا معناه علي ما جاء في شرح سعد:(إن إحضار المسند إليه– الاسم العلم– في ذهن السامع ب(آنا،وآنت)، وان كان ابتداء إلا انه ليس باسم مختص به؛ لان (آنا) موضوعه لكل متكلم، و (أنت) موضوعه لكل مخاطب.)[٣]

وقل مثل هذا في اسم الإشارة، كقوله ﷺ يوم أُحد: **(هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب.)**[٤]، كقوله: **(هذه خديجة أتتك بإناء فيه طعام.)**[٥].

وهذه الأحاديث من نحو قولك: (هذا ضرب زيداً)، وقد علق على ذلك الشمس الانبابي بقوله : (فإن (هذا)، وإن احضر المسند إليه في ذهن السامع ابتداء إلا أنه ليس باسم مختص به؛ لان (ذا) موضوعة لكل مشار إليه.)[٦].

ومثل هذا أيضاً تراه في الاسم الموصول المذكور ابتداء، في نحو قوله ﷺ : **(الذي يشرب في إناء الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم.)**[٧]، وحديث جابر، قال: **(الذي قتل خبيباً هو أبو سِروَعة.)**[٨].

وهذه الأحاديث، كقولك: (الذي يكرم زيداً شجاع)، وعلى ذلك يعلق شرح السعد بقوله: (فإن (الذي)، وإن احضر المسند إليه في ذهن السامع ابتداء إلا أنه ليس باسم مختص به؛ لأن (الذي) موضوعه لكل مفرد مذكر.)[٩].

وترى هذا أيضاً في المعرّف بلام العهد، كقوله ﷺ : **(ليس الشديد بالصرعى إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب.)**[١٠]، وهذا كقول الشمس الانبابي معلقاً على قوله تعالى: (وليس الذكر كالأنثى)، فإن (الذكر)، وإن احضر المسند إليه في ذهن السامع ابتداء إلا أنه ليس باسم مختص به؛ لأن المعرّف بلام العهد موضوع لكل

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، وأخرجه مسلم.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، وأخرجه مسلم.
(٣) حاشية الدسوقي على شرح السعد: ج١ ص٢٩٥.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، وأخرجه مسلم.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، وأخرجه مسلم.
(٦) التجريد في علم المعاني: ج٢ ص٤٤.
(٧) أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، وأخرجه مسلم.
(٨) أخرجه البخاري في كتاب المغازي.
(٩) حاشية الدسوقي على شرح السعد: ج١ ص٢٩٥.
(١٠) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، وأخرجه مسلم.

فرد، وخرج المعرّف بلام الحقيقة، والمعرف بلام العهد الذهني، فإنهما في حكم النكرة.)[1]

[1] تقرير الانبابي على السعد: ج٢ ص٤٢.

المبحث الثاني

الأسرار البلاغية للتعريف بالألقاب والكنى

يحتوي المبحث على ثلاثة مطالب:

١. مفهوم اللقب.

٢. مفهوم الكناية بالعلمية.

٣. دلالة الكناية على العلمية.

الأسرار البلاغية للتعريف بالألقاب والكنى

إن كل من اللقب والكنية يؤدي أمرين معاً، أما الأول، فهو الدلالة على مسمى معين، والآخر هو الدلالة على المدح أو الذم غير أن اللقب يدل عليهما بلفظ صريح مقصود، وأما الكناية فتدل عليهما من طريق ضمني فيه التعريض.

فاعتبار الإشعار بالمدح أو الذم إنما يكون بعد وضع اللفظ الدال على ذات المسمى، وهو الاسم العلَم، قال في عروس الأفراح: (وبين الكنية واللقب اللذين هما قسمان من العلم عموم، وخصوص من وجه، فإن قلت كيف يشعر العلم اللقب بشيء ومعناه غير مراد، فإن الأعلام لا تدل على معناه الذي كانت موضوعة له قبل العلمية؛ قلت يشهر باعتبار استحضار معناه، واستحضار أنه ربما كان حاملاً على التسمية؛ وإن لم يكن معناه مراداً، وفي هذا انشد قوله:

* أنا الذي سمتني أمي حيدرة *

لأن موضوعه قبل العلمية الاسد، و أما الكناية فيعني أن يكنى عن الإهانة، أو غيرها، والعلَم صالح لذلك، والفرق بينه وبين الأول، أن الأول لم يقصد معناه، إنما قصد التسمية واشعر، وفي الثاني كنى به عن معناه، وفيه تنازع في تسميته الآن علَماً.)[1].

وفي هذا سنورد شرحاً مفصلاً عن مفهومي اللقب والكناية مدعومة بالأدلة والشواهد من الحديث النبوي، و آراء النحاة و البلاغيين.

1- مفهوم اللقب

اللقب من أقسام العلم، فهو مرادف للنبز في معناه كما يذكر النحاة، قال في شرح المفصل: (وأما اللقب، فهو النبز، كقولهم: قفة، وبطة لقبين، فقفة لقب، وبطة لقب.)[2]

---

[1] عروس الأفراح: ج١ ص٣٠١.
[2] شرح المفصل: ج١ ص٩٤.

ومن هذا أيضاً، قال في الكشاف: (أن النبز بمعنى النبر، وهو رفع الصوت، والنبز قشر النخلة الأعلى)[1]، فليس المراد من اللقب مجرد الدلالة على ذات المسمى المعين؛ لان هذه الدلالة قد تم الوصول إليها عن طريق الاسم، وعليه فإن الإعلام الواقعة على الأشخاص قد يكون لكل شخص منها لقباً يخصه دون غيره، ولا يشاركه فيه سواه.

ثم أن الدلالة على ذات المسمى المعين تشترك فيها أقسام العلم الثلاثة– الاسم، واللقب، والكناية– لكن ليس هذا ما نقصده، وإنما نريد الأسلوب البلاغي الذي هو من أهم الدلالات التي تكمن وراء التعبير باللقب .

وهنا يذكر البلاغيون أهم الأساليب البلاغية، من ذلك ما جاء في شرح السعد: (أن اللقب ما اشعر بمدح أو ذم، فلا يكون إلا صالحاً للتعظيم، أو الإهانة.)[2]

وقال في مواهب الفتاح: (أي يعرف المسند إليه بالعلمية ليفيد تعظيماً؛ لإشعاره به؛ لكونه من الألقاب الدالة على ذلك؛ أو ليفيد إهانة، لإشعاره بها، كما إذا قيل في التعظيم: هذا على حضر، وفي الإهانة: هذا انف الناقة حضر.)[3].

ومن أمثلة ذلك من الأحاديث النبوية تأمل قوله ﷺ: (متجاهلاً مثول وحشي أمامه؛ لأنه قاتل حمزة، قال: (**أ أنت وحشي؟، ثم قال: فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني؟.**)[4]، وتأمل في ذلك دلالة الاستفهام الإنكاري بالعلمية والضمير في قوله: أ أنت وحشي؟

وهذا الحديث ترى فيه إشعاراً بالإهانة وذماً لوحشي؛ لأنه قتل حمزة.

ومنه أيضاً تأمل دلالة الإشعار بالتعظيم و المدح في قوله ﷺ لابنته فاطمة: **(فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني.)**[5]

---

(١) الكشاف: ج١ ص١٥.
(٢) تقرير الانبابي على السعد: ج٢ ص٤٧.
(٣) مواهب الفتاح: ج١ ص٢٩٨.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، وأخرجه أحمد.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، وأخرجه مسلم.

ومنه أيضاً حديث البراء بن عازب، قال : قال رسول الله ﷺ يوم قريظة لحسان بن ثابت: **(اهج المشركين، فإن جبريل معك.)**[١].

ومنه حديث عائشة الذي أنشدت فيه قول حسان بن ثابت:[٢]

فإن أبي و والده وعرضي *** لعرض محمد منكم وقاء

وقوله ﷺ في الأنصار: **(لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لاخترت شعب الأنصار.)**[٣].

ففي تلك الأحاديث، وغيرها ترى أن الأعلام المذكرة فيها، قد أفادت التعظيم، أو الإهانة؛ لأنها منقولة عن معان شريفة، أو خسيسة، أي لاشتهار مسماها بصفة محمودة أو مذمومة: (وقد يقصد باللقب المدح إذا كان مناسباً للمقام، كالمدح في الألقاب التي تشعر بذلك، نحو: جاء نصر، وحضر صلاح الدين، والذم والإهانة، نحو جاء صخر، وذهب تأبط شراً.)[٤].

ومنه قول الخنساء:

وإن صخراً لمولانا وسيدنا *** وإن صخراً إذا نشتو لنحار[٥]

وبهذا ندرك أن اللقب يدل على الصفات المحمودة أو المذمومة باللفظ الصريح مع دلالته على المسمى المشخص، وهذا هو الفارق المهم بينه، وبين الاسم.

وهنالك فارق بينه و بين الكنية يكمن في التصريح المكشوف الذي يتميز به اللقب، والتعريض الذي تتميز به الكناية على ما سنوضحه لا حقاً في مفهوم الكناية.

٣- مفهوم الكناية بالعلمية

تشترك الكناية مع الاسم واللقب في أنها تدل على ذات المسمى المعين، وتلتقي مع اللقب في دلالتها على الإشعار بالمدح، والذم ولكن من طريق التعريض لا من طريق التصريح المكشوف كما في اللقب.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، وأخرجه مسلم.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، وأخرجه مسلم.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، وأخرجه مسلم.
(٤) جواهر البلاغة: ص١٢٨.
(٥) هو أمدح بيت قالته العرب على ما حكاه أبو هلال العسكري عن الرواة في كتابه: ديوان المعاني: ج١ ص٤١.

وفي ذلك يذهب البلاغيون والنحاة إلى أن: (الكنية لأم تكن علماً في الأصل، وإنما كانت عادتهم أن يدعوا الإنسان باسمه، وإذا ولد له ولد دعى باسم ولده توقيراً له؛ وتفخيماً لشأنه فيقال له: أبو فلان، وأم فلان، ولذلك استقبحوا أن يكنى الإنسان نفسه، وقد يكنون الوليد، فيقولون: أبو فلان على سبيل التفاؤل بالسلامة؛ وبلوغ سن الايلاد.)[١]

ومن الأمثلة التي وردت في الحديث النبوي في كنية النبي ﷺ، حديث انس قال: كان النبي ﷺ في السوق، فقال: (**سموا باسمي، ولا تكنوا بكنيتي.**)[٢]

وقد كانت قريش تكني النبي ﷺ بابن أبي كبشة، كما دعوه مذمما، وفيه يقول ﷺ: (**ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟ يشتمون مذمماً، ويلعنون مذمماً، وأنا محمد.**)[٣].

و هناك الكثير من الكنى و الألقاب في الحديث النبوي، سواء كانت للصحابة، أو الكفار و المشركين، و في ذلك يقول ابن أبي الإصبع: (و في السنة النبوية من الكناية ما لا يكاد يحصى)[٤]، و قد ذكر على ذلك بعض الأمثلة من الشعر و النثر، و من هذا أيضاً قول ابن مالك: (و كنوا بفلان و فلانة عن زيد، و هند، و بأبي فلان، و أم فلان عن نحو: أبي بكر، و أم سلمة، و بالفلان و الفلانة عن نحو: لاحق و سكاب.)[٥]

و كان النبي ﷺ يكنى بالنخلة عن المسلم دلالة على قوتها و شموخها و ثباتها، و خيرها الوفير، و من ذلك قوله ﷺ: (**إن من الشجر شجرة تكون مثل المسلم، و هي النخلة**)[٦].

و هذا خلافاً لبعض العرب الذين كانوا يكنون بالنخلة عن المرأة: كقول الشاعر:

---

(١) شرح المفصل: ج١ ص٩٤.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، وأخرجه مسلم.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، وأخرجه النسائي.
(٤) تحرير التحبير: لابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: حفني محمد شرف، (ط القاهرة: ١٣٨٣هـ)، ج٢ ص١٤٤.
(٥) التسهيل: ص٣٢.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، وأخرجه مسلم.

ألا يا نخلة من ذات عــرق *** عليك و رحمة الله الســـــلام
سألت الناس عنك فخبروني *** هناءً من ذاك يكرهه الكــرام
و ليس بما أحل الله بـــــأس*** إذا هو لم يخالطه الحـــــــرام

و ترى في قول الشاعر أيضاً الكتابة بالهناء عن الرفث، على حد قول ابن أبي الإصبع: (فهذا الشاعر كنى بالنخلة عن المرأة، و بالهناء عن الرفث، فأما الهناء فمن عادة العرب الكناية بها عن مثل ذلك)[١]، و في هذا أيضاً يقول ابن مالك: (و بهــن وهنة أوهنت عن اسم جنس غير علم، و بهنيت عن جامعت، و نحوه)[٢].

فالكتابة بالنخلة عن المسلم في الحديث النبوي، أو كما في أبيات الشاهد فيهــا الأشعار بالمدح أو التعظيم، و الكناية بالهناءة أيضاً في أبيات الشاهد فيهــا الأشــعار بالذم أو الإهانة على حد قول البلاغيين، ففي عروس الأفراح: (إن الكنية إن أشعرت بضعة أو رفعة فهي من الألقاب، و إلا فلا إشعار لها بشيء من ذلك)، كقول الشاعر:

أكنيه حين أناديه لأكرمه *** و لا ألقبه و السوأة اللقب[٣]

٣- دلالة الكناية على العلمية

لقد ذكر البلاغيون أن الكناية تدل على معنى زائد على العلمية، فهي تفــارق اللقب في دلالتها على المدح و الذم عن طريق التعريف: (لأن المتكلم حين يكنى عن شخص فيقول عنه أبو علي مثلاً، أو أم هاني، و لا يصرح بالاسم أو اللقــب، فإنمــا يرمي من وراء ذلك إلى تعظيمه أو تحقيره بعدم ذكر اســمه تعظيمــاً و تقديســاً أن يجري اللسان به، أو تحقيراً و ذراية، و أنه لا يستحق الذكر، و قد يجيء التعظيم، أو التحقير ضمنياً أيضاً، و لكن من ناحية أن المضاف يكتسبه من المضاف إليه مثل أبو الفوارس، و أبو لهب، و أبو جهل، فقد فهم المدح أو الذم ضمنياً كشف عنه المضاف إليه)[٤].

---

(١) تحرير التحبير: ج٢ ص١٤٥.
(٢) التسهيل: ص٣٢.
(٣) عروس الأفراح: ج١ ص٣٠١.
(٤) التجريد في علم المعاني: ج٢ ص٥٠.

و مثل هذا تراه في قوله ﷺ: **(اللهم عليك بالملأ من قريش أبا جهل بن هشام، و عتبة بن ربيعة، و شيبة بن ربيعة ..)**[١]، و قوله ﷺ: **(نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي بالليل)**[٢]، و قوله ﷺ: **(هل أنت مريحي من ذي الخلصة)**[٣].

فإذا تأملت الإعلام الواردة في الأحاديث السابقة، و هي أبو جهل، و عبد الله، و ذو الخلصة، أدركت ما وراءها من تعظيم أو إهانة، قال في شرح السعد:(فأبو لهب باعتبار الوضع العلمي مستعمل في الشخص المعين، قال في شرح المفتاح لم يطلق الاسم إلا على الشخص المسمى بأبي لهب، و كذا أبي جهل مثلاً مستعمل في الشخص المعين الملحوظ معه أنه ملابس الجهل، و ليس هناك شيء آخر يكنى عنه)[٤].

و التعبير بالكناية المقصود هنا الكناية التي تناسب مقام العلمية من غير اشتراط شروط الكناية المخصوصة المعلومة، و التي هي أن يطلق اللفظ و يراد به لازم معناه، و قد مثل البلاغيون على ذلك باسم أبي لهب، و هي كناية أطلقت على عبد العزى ابن عبد المطلب عم النبي ﷺ في قوله تعالى: (تبت يدا أبي لهب و تب)[٥]، و في هذا قال في مواهب الفتاح: (لأن أبا لهب باعتبار أصل الوضع يشعر بملابسة لهب النار كما يقال أبو الشر، و أبو الخير، و أخو الحرب، لملابس هذه الأشياء فإطلاقه إطلاقاً علمياً يمكن معه الشعور بملابسة النار المخصوصة مع القرائن، و هو أنه جهنمي)[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، وأخرجه مسلم.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، وأخرجه مسلم.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، وأخرجه مسلم.
(٤) تقرير الانبابي على السعد: ج٢ ص٤٩.
(٥) سورة المسد، الآية ١.
(٦) مواهب الفتاح: ج١ ص٢٩٨.

و أشباه هذا كثير في الحديث النبوي لا يكاد يعد و لا يحصى، و من الشعر تأمل قول النابغة:

نبئت أن أبا قابوس اوعدني *** و لا قرار على زأر من الأسد[1]

و الشاهد فيه: أبو قابوس، و هو كنية النعمان بن المنذر ملك الحيرة المشهور.

(١) البيت للنابغة الذبياني في قصيدة مشهورة تعتبر من أفضل ما وقع من اعتذار في قصائده، وقد ذكره ابن رشيق في كتابه: العمدة، (ط٥ دار الجيل، بيروت: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م) ج٢ ص١٧٧.

المبحث الثالث

صور من أساليب التعبير بالعلمية

يحتوي المبحث على أربعة مطالب:

١- دلالة العدول من علَم إلى علَم.

٢- أهمية التقديم في الأعلام.

٣- دلالة العلَم على القصر الاختصاص.

٤- أهمية العلم في جملة الشرط.

صور من أساليب التعبير بالعلمية

ونتناول من هذه الصورة أبرزها في الدلالة على العلمية، ويأتي في مطالب نذكرها على حسب أهميتها بالترتيب التإلى:

١- دلالة العدول من علَم إلى علَم

وفي هذا تأمل لطافة السر البلاغي في قوله تعالى: (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم)[١]، قال الزركشي: (ألا ترى كيف عدل عن اسم يعقوب إلى الاسم الآخر إسرائيل الذي هو لفظ عبراني، ويعني عبد الله، وذلك لما يقتضيه الاسم من العبودية لله تعالى.)[٢].

ومثل هذا تراه كثيراً في الحديث النبوي، من ذلك قوله ﷺ: (**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي.**)[٣].

كما ترى العدول من علم إلى آخر واضحاً في قوله ﷺ: (**الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.**)[٤].

وفيه تأمل إثارة التعبير بلفظ الكريم مع تكراره ترى فيه غاية التبرك والتعظيم والاحترام لهؤلاء الأنبياء الأعلام الكرام، ويذكر البلاغيون أن العلم إذا ذكر مراراً دل على التبرك والتفاؤل والتلذذ، قال في مواهب الفتاح: (كقولنا: الله الهادي، ومحمد هو الشفيع، عند قول الجاهل هل الله الهادي؟، أو هل محمد هو الشفيع؟، أو نحو ذلك.)[٥].

ومنه قول الشاعر :

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا *** ليلاى منكن أم ليلى من البشر[٦]

فالشاعر لم يذكر ليلى مرة ثانية إلا لقصد التلذذ كما جاء في قول أبي الطيب المتنبي:

---

(١) سورة البقرة، الآية ٤٥.
(٢) البرهان في علوم القرآن: الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط٢ دار التراث، القاهرة:د.ت) ج١ ص١٦٠،١٦١.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، وأخرجه مسلم.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، وأخرجه الترمذي.
(٥) مواهب الفتاح: ج١ ص٣٠١.
(٦) في البيت من أنواع البديع- تجاهل العارف- فهو يعلم أن ليلى من البشر، ولكنه تجاهل ذلك مبالغة في التعلق بها والوله في حبها.

اسامياً لم تزده معرفة *** وإنما لذة ذكرناها[١]

(وكان مقتضى السياق أن يقول: أم هي من البشر؛ لأن المقام للضمير؛ لتقدم المرجع، ولكنه أورده علماً ليتلذذ بذكر محبوبته.)[٢]

ومثل هذا تراه في قوله ﷺ: (**أكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله.**)[٣]، فدلالة التكرار في (نبي الله) الواردة في الحديث واضحة، وهي أنه لم يكرر ذلك إلا لأجل التبرك و الاستلذاذ بذكره هؤلاء الأنبياء الأعلام الكرام، ثم تأمل دلالة العدول من أسمائهم الحقيقية إلى الكناية عنهم بـ(نبي الله)، و كان مقتضى السياق الذي تدل عليه قرائن الأحوال أن يقول: اكرم الناس يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

وقد جاء معنى هذا في شرح السعد، فقال: (يصح أن يراد التبرك باعتبار دلالة العلم على المعنى بمجرد ذكر العلَم على المعنى، وأن يراد التبرك به بمجرد ذكر العلم؛ لأن التبرك حاصل تحقيقاً لا أنه متوهم، نحو: الله الهادي، أي عند ذكر الله تعالى، ونحو: محمد الشفيع، أي عند ذكر المصطفى ﷺ.)[٤].

ثم تأمل في الأحاديث الآتية؛ لترى دلالة العدول في العلمية أي الانتقال من علم إلى آخر سواءً أكان هذا العدول في الأسماء أو الألقاب أو الكنى، من ذلك مثلاً تراه ﷺ قد عدل من ذكر اسم المدينة إلى طابة في قوله: (**هذه طابة، وهذا أحُد جبل يحبنا ونحبه.**)[٥].

كما عدل ﷺ عن ذكر اسم علي بن أبي طالب إلى الكناية عنه بأبي تراب في قوله: (**قم أبا تراب، قم أبا تراب**)[٦]، كما يمكن تأمل دلالة التكرار في (أبي تراب) على نحو ما ذكرنا سابقاً.

---

(١) البيت في ديوان أبي الطيب المتنبئ بشرح العكبري: ج٤ ص٢٧٥.
(٢) المعاني في ضوء أساليب القرآن: عبد الفتاح لاشين، (ط٣ دار المعارف، القاهرة: ١٩٧٨م) ص٢٣٩.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، وأخرجه مسلم.
(٤) حاشية الدسوقي على شرح السعد: ج١ ص٣٠١.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، وأخرجه مسلم.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، وأخرجه مسلم.

ومن ألطف الأسرار البلاغية في الحديث النبوي، ما جاء في الرسالة التي بعث بها النبي ﷺ إلى هرقل[١]، قال: (**من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى.**)[٢]

ألا تراه كيف عدل عن قيصر إلى اسمه العلم هرقل، وعدل عن (ملك الروم) إلى (عظيم الروم)، وفي هذا تأمل قول البدر العيني: (يستفاد من قوله: (إلى عظيم الروم) ملاطفة المكتوب إليه، وتعظيمه لما لم يقل إلى ملك الروم؟ قلت؛ لأنه معزول عن الحكم بحكم دين الإسلام، ولا سلطة لأحد إلا من قبل رسول الله ﷺ فإن قلت: إذا كان الأمر كذلك، فلم لم يقل إلى هرقل فقط؟ قلت: ليكون فيه نوع من الملاطفة، فقال: (عظيم الروم)، أي الذي تعظمه الروم، وقد أمر الله تعالى بتليين القول لمن يدعى إلى الإسلام.)[٣]، لقوله تعالى: (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة)[٤].

٣- أهمية التقديم في الأعلام

يقدم العلم المسند إليه أو المسند؛ لغرض معنوي بلاغي لا يتأتى فهمه إلا من خلال سياق الجملة وقرائن الأحوال، وإنما جئت بتقديم العلم فقط دون تأخيره: لندرك أهميته وخطره؛ (لأنه باب طويل عريض، يشتمل على أسرار دقيقة.)[٥].

وقد حكى عبد القاهر قول سيبويه، وهو يذكر الفاعل والمفعول وهما لا يكونان إلا اسمين: (كأنهم يقدمون الذي بيانه أهمّ لهم، وهم ببيانه أعنَى، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم.)[٦].

---

(١) هِرَقل- بكسر الهاء وفتح الراء على المشهور، زعم أهل اللغة أنه عجمي تكلمت به العرب، وهو اسم علم له غير منصرف للعلمية والعجمية، ولقبه قيصر.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، وأخرجه مسلم.
(٣) عمدة القارئ : ج١ ص ٩٩.
(٤) سورة النحل، الآية ١٢٥.
(٥) المثل السائر: ج٢ ص٣٥.
(٦) دلائل الإعجاز: ص١٢٨.

وهذا كلام جملي في فائدة التقديم، ولكن لا بد من شرح ما يهم تقديمه من الأسماء الأعلام، وما لا يهم، وفي هذا قال عبد القاهر: (فإذا قدمت الاسم، فقلت: زيد قد فعل، اقتضى أن يكون القصد إلى الفاعل.)[١].

وأما الأمثلة على هذا في الحديث النبوي، فلا تكاد تحصى من ذلك تأمل قوله ﷺ: (**المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء.**)[٢]، وقوله: (**الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه.**)[٣]، وقوله: (**الميت يعذب ففي قبره بما نيح عليه.**)[٤]، وقوله: (**الناس يصعقون يوم القيامة**)[٥].

فالأسماء التي قدمت ابتداءً في والأحاديث السابقة،وهي ن المؤمن،والكافر،والملائكة،والميت،والناس،وقد يكون الغرض منها تخصيص ذلك الفعل بذلك الأسم الفاعل،وقد يكون الغرض منها تأكيد أو تقوية ذلك الفعل بذلك الاسم كما يقول الفخر الرازي:(والدليل على ما قلناه، أنك لما ذكرت الاسم المحدث عنه، فالاسم لا يؤتى به معرى من العوامل إلا لحديث قد تنوي إسناده إليه وإذا كان كذلك، فإذا قلت : عبد الله فقد أشعرت بأنك تريد الحديث عنه، فيحصل شوق إلى معرفة ذلك، فأذ أفدته ذلك قبله الذهن قبول العاشق لمعشوقه،فيكون ذلك أبلغ في التحقيق،ونفي الشبهة .)[٦]

ومثل هذا تراه في قوله ﷺ:(**لله تسعة وتسعون اسماً .**)[٧]

تأمل إفادة التخصيص في لفظ الجلالة : (فالله علم على الجلالة،وهو مسند من حقه التأخير،ولكنه قدم على المسند إليه لقصد التخصيص.)[٨]، وهذا كقوله تعالى:

(لله الأمر من قبل ومن بعد.)[١]، فمعنى هذا أن الأمر لله وحده، لا لا أحد غيره، وعلى هذا فالحديث معناه أن أسماء الله الحسنى له وحده، لا يشاركه فيها أحد غيره.

---

(١) دلائل الإعجاز: ص١٢٨.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، وأخرجه مسلم.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، وأخرجه مسلم.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، وأخرجه مسلم.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، وأخرجه مسلم.
(٦) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: ص٣٠٨.
(٧) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، وأخرجه مسلم.
(٨) جواهر البلاغة: ص١٢٣.

ومثل هذا أيضاً تراه في قوله تعالى: (لله ملك السموات والأرض)، أي: أن ملك السموات مقصور على الاتصاف بالله)[٢]، كما تراه في قوله ﷺ: **(لله افرح بتوبة عبده..)**[٣]، وقوله: **(لله ما أخذ، ولله ما أعطى كل بأجل.)**[٤].

ثم تأمل لطافة السر البلاغي في قوله ﷺ: **(اسلم وغفار وشيء من مزينة وجهينة..)**[٥]، حيث ترى وراء تقديم أسماء هذه القبائل على بعضها سراً بلاغياً دقيقاً، وهو التخصيص بالفضل و الشرف، فاسلم قدمت على غيرها؛ لأنها خصصت بفضل دعاء النبي ﷺ لها بقوله: **(اسلم سالمها الله..)**[٦]، فكانت لها هذه المرتبة والمنزلة العظيمة عند الله ورسوله، وغفار قدمت أيضاً؛ لأنها خصصت بفضل الدعاء أيضاً في قوله ﷺ: **(غفار غفر الله لها..)**[٧]، فكانت لها هي الأخرى مرتبة ومنزلة خاصة عند الله و رسوله، وفي هذا يقول البدر العيني: (وإنما خصت هاتان القبيلتان بالدعاء؛ لأن غفار اسلموا قديماً، واسلم سالموا النبي ﷺ، وفيه الدعاء بما يشتق من الاسم، كما يقال لأحمد: احمد الله عاقبتك، ولعلي: أعلاك الله، وهو من جناس الاشتقاق.)[٨].

٣- دلالة العلم على القصر والاختصاص

القصر والاختصاص مترادفان، وقد يقال: التخصيص والحصر، والقصر يتم بين طرفين لابد منهما، أحدهما مقصور، والآخر مقصور عليه، والذي يعنيني فيهما أن يكونا علمين، أو أحدهما اسماً أو لقباً أو كنية، فالمقصور هو المختص بالعلمية، وكذلك المقصور عليه الذي هو موضوع الاختصاص ودائرته، قال في شرح الإيضاح: (القصر حقيقي وغير حقيقي، فالقصر الحقيقي بمعنى عدم مجاوزة

---

(١) سورة الروم، الآية ٤.
(٢) علوم البلاغة: أحمد مصطفى المراغي – (ط٢ – دار الكتب العلمية- بيروت: سنة ١٩٨٦م) ص١٠٥.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، وأخرجه مسلم.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب القدر، وأخرجه مسلم.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب المناقب. وأخرجه مسلم.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، وأخرجه مسلم.
(٧) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، وأخرجه مسلم.
(٨) عمدة القارئ: ج٧ ص٢٧.

المقصور المقصور عليه إلى غيره أصلاً، وغير حقيقي بمعنى عدم مجاوزة المقصور المقصور عليه إلى شيء آخر، وإن أمكن أن يتجاوزه إلى غيره.)[١].

والقصر من الأساليب التي تجمع جملتين متنافرتين في جملة واحدة، فمثلاً يقول تعالى: (و ما محمد إلا رسول)[٢]، فهذه الجملة تحتوي على جملتين متنافرتين هما (النفي والإثبات)[٣]، أما جملة الإثبات، فهي: (أن محمد رسول)، وجملة النفي هي: (أن غير محمد ليس برسول)، وهذا ما ذهب إليه السكاكي في قوله: (فمعناه محمد مقصور على الرسالة لا يتجاوزها إلى البعد عن الهلاك.)[٤].

وعلى هذا المنوال تأمل قوله ﷺ: (**لا حمد إلا لله ولرسوله**)[٥]، وهذا معناه على ما ذكره السكاكي سابقاً، أن الحمد مقصور على الله ورسوله لا يتجاوزهما إلى غيرهما، و لا يشاركهما فيه سواهما.

وقل مثل هذا في قوله ﷺ: (**لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات.**)[٦]، وقوله: (**إنما عبد المطلب وبنو هاشم شيء واحد**)[٧]، وقوله: (**إنما المدينة كالكير تنفي خبثها..**)[٨]، و أشباه هذا كثير في الصحيح.

وللقصر والاختصاص طرق مشهورة أبرزها: طريق القصر بـ(ما، وإلا)، وطريق القصر بـ(إنما)، وفي هذا يذهب البلاغيون إلى أن: (إنما متضمنة معنى (ما، وإلا)؛ لقول المفسرين في قوله تعالى : (إنما حرم عليكم الميتة والدم..)، معناه: ما حرم عليكم إلا الميتة..)[٩].

---

(١) شرح الإيضاح: محمد عبد المنعم خفاجي، (ط٢ مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة: د.ت) ج٣ ص٧.
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٤٤.
(٣) اسماه عبد القاهر الخبر النفي والإثبات، أو الاختصاص في دلائل الإعجاز: ص٣٣٢، وكذا ذهب الخطيب القزويني في الإيضاح: ج٣ ص٦.
(٤) مفتاح العلوم: ص٢٨٩.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب المساقاة، وأخرجه مسلم.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، وأخرجه مسلم.
(٧) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، وأخرجه النسائي، وأبو داود، وابن ماجة.
(٨) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، وأخرجه مسلم.
(٩) دلائل الإعجاز: ص٣٢٨.

ويقال في طرفي القصر: (أن المقصور عليه يلي حرف الاستثناء (إلا)، وأما في (إنما)، فيؤخر المقصور عليه، تقول: إنما زيد قائم.)[١]، تلاحظ هنا أن زيد علم مقصور، بمعنى أن هذه الجملة يمكنك أن تقول فيها (ما زيد إلا قائم)؛ لأنها متضمنة معناها.

ومثل هذا يمكن القول في قوله ﷺ: (**إنما سمى الخضر أنه جلس على فروة بيضاء..**)[٢]، وهذا معناه: (ما سمى الخضر إلا لأنه جلس على فروة بيضاء..)، ومثله قوله ﷺ: (**إنما سعى النبي ﷺ بالبيت..**)[٣]، وقياساً على ما ذهب إليه البلاغيون يجوز أن تقول في معناه: (ما سعي النبي ﷺ إلا بالبيت)، وفي هذا ردٌ على من يدّعي أنه ﷺ سعى بغير الكعبة، كالأصنام مثلاً.

وفي هذا أيضاً تأمل قول الشاعر:[٤]

إنما مصعب شهاب من اللـ*** ـه تجلّت عن وجهه الظلماء

تأمل إيقاعه (مصعب)، وهو علم مقصور بعد (إنما)، وبمقتضى السياق يجوز لك أن تقول فيه: (ما مصعب إلا شهاب)، (وقوله تجلت بمعنى تكشفت، وهذا من بالغ المدح.)[٥]

كما علق الإمام عبد القاهر على هذا البيت بقوله: (ادعى في كون الممدوح (العلم) بهذه الصفة أنه أمر ظاهر معلوم للجميع على عادة الشعراء إذا مدحوا أن يدعوا في الأوصاف التي يذكرون بها الممدوحين أنها ثابتة لهم، وإنهم قد شهروا بها، وإنهم لم يصفوا إلا بالمعلوم الظاهر الذي لا يوقعه أحد.)[٦]

---

(١) شرح الإيضاح: ج٣ ص٤٥.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، وأخرجه الترمذي.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي،وأخرجه مسلم.
(٤) البيت ذكره عبد القاهر في دلائل الإعجاز:ص٣٣١، وذكره القزويني في التلخيص: ص١٤٦.
(٥) بغية الإيضاح: ج٢ ص٢١.
(٦) دلائل الإعجاز: ص٣٣١.

٤- أهمية العلم في جملة الشرط

إن الجملة الشرطية في الحقيقة هي جملتان، أما الأولى فهي جملة الشرط، والثانية جملة جواب الشرط وجزاؤه، والذي يهمني من هذا أن أبيّن ما يختص منها بموضوع البلاغة، وبخاصة دلالة العلمية في جملة الشرط، وهذا بناءً على ما ذهب إليه البلاغيون بأن الجملة الشرطية قد تكون من باب الخبر، كقوله ﷺ: (**إِنْ قتل زيد فجعفر، و إن قتل جعفر فعبد الله..**)[١]، وقد تكون من باب الإنشاء، كقولك: (إن جاءك زيد فأكرمه)؛ (والذي يوصف بالخبر و الإنشاء هو الشرط والجواب معاً، أما جملة الشرط وحدها، فليس كذلك؛ لأنها لا تفيد فائدة تامة، ولا تحتمل صدقاً ولا كذباً.)[٢].

وليست جميع أدوات الشرط تكمن وراءها أسرار بلاغية دقيقة إلا أداتين، هما: (إِنْ، و إذا)، والذي يعنيني هنا هو وقوع العلم بعدهما سواءً أكان اسماً أو لقباً أو كنية، ومن البلاغيين من يذكر بأنهما: (يشتركان في الدلالة على تعليق حصول الجزاء على حصول الشرط، تمتاز كل منهما بما يلي:

١- تمتاز (إنْ) بدلالتها على عدم جزم المتكلم بوقوع الشرط في الزمن المستقبل.

٢- تمتاز (إذا) باستعمالها في كل ما يجزم المتكلم بوقوعه في الزمن المستقبل.)[٣]

أما استعمال (إنْ) في الحديث النبوي لم يرد إلا نادراً؛ وذلك لأنها تستعمل في القول المشكوك فيه، وليس كذلك الحديث النبوي؛ لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى، وفي هذا تأمل قوله ﷺ: (إنْ قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله..)[٤]، فقد توقع النبي ﷺ أن يستشهد هؤلاء النفر من أصحابه، ولم يجزم بذلك، فلو أراد

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي.
(٢) البلاغة فنونها وأفنانها: ص٣٣٧.
(٣) علوم البلاغة: ص١٣٤.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب المغازي.

الجزم، وأنهم لا محالة يقتلون لاستعمل (إذا)؛ لأن التعبير بـ (إذا) يحقق وقوع القتل جزماً.

وقد جاء التعبير بـ (إذا) مع العلمية في جملة الشرط في الحديث النبوي كثيراً، من ذلك تأمل قوله ﷺ: (**إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده.**)[١]، تراه قد جزم بما هو محقق وقوعه قطعاً، فعبّر عن ذلك بـ(إذا) الشرطية فأوقع بعدها قيصر وهو لقب على ملوك الروم، فجزم بتحقق هلاك قطعاً، ثم عبّر بها ثانية، فأوقع بعدها كسرى، وهو لقب على ملوك الفرس، فجزم بهلاكه لا محالة أيضاً، ولو أنه عبّر عن ذلك بـ(إن) لكان أمر إهلاكهم مشكوك فيه، وهذا معناه في قول البدر العيني: (لا قيصر بعده يحكم الشام، ولا كسرى بعده يحكم العراق دلالة على انقضاء حكمهما في تلك البلدان.)[٢]

وقياساً على هذا تأمل قوله ﷺ: (**إذا احب الله عبداً نادى جبريل..**)[٣]، ومثله حديث نافع، قال: (**كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه.**)[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، وأخرجه النسائي، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجة.
(٢) عمدة القارئ: ج١ ص٧٩.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، وأخرجه مسلم.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن.

الفصل الثالث

الأسرار البلاغية للتعبير بالأسماء المبهمة

ويحتوي علي مبحثين:

الأول: أسرار التعبير بالاسم الموصول

الثاني: أسرار التعبير باسم الإشارة

المبحث الأول

أسرار التعبير بالاسم الموصول

ويحتوي علي المطالب الآتية:

١- التخصيص بجملة الصلة.

٢- دواعي الإبهام في التعبير بالموصول.

٣- تقرير الغرض المسوق له الكلام.

٤- العدول عن التصريح بالاسم الظاهر.

٥- الإيماء إلى وجه بناء الخبر.

١- التخصيص بجملة الصلة

إن المقام الصالح للتعريف بالموصول:(هو ان يصح احضار الشيء بواسطة جملة معلومة الانتساب إلى مشار إليه بحسب الذهن، لان وضع الموصول علي ان يطلقه المتكلم علي ما يعتقد ان المخاطب يعرفه بكونه محكوما عليه بحكم الحاصل له، فلذا كانت الموصولات معارف بخلاف النكرة الموصوفة المختصة بواحد، فان تخصصها ليس بحسب الوضع.) [١]

ففى قوله ﷺ: (**عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندى لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب**) [٢] تعبير معناه عجبت من هؤلاء النسوة المعهودات والمعروفات لديك بكونهن موجودات معك [٣] والخطاب لعمر بن الخطاب وهو يعرف ان هؤلاء النسوة من قريش وهذا هو مضمون جملة الصلة ، أي المقام الصالح لاسم الموصول (اللاتي) الوارد في الحديث .

يعني ان الاسم الموصول يكون وضعه متخصصاً بمضمون الصلة ويكون معرفة بها علي ما يذكر البلاغيون فقد جاء في النظم [٤] :

او فقد علم سامع غير الصلة *** كان ما يهدي إليك يعملة

او كنظم الاخر[٥] :

ايماء او توجه السامع له *** او فقد علم سامع غير الصلة

وهذا معناه ان صلة الموصول هي الوسيلة الوحيدة للمعرفة قال في الايضاح : (لعدم علم المخاطب بالاحوال المختصة به سوي الصلة كقولك : إلى كان معنا امس رجل عالم .) [٦]

---

[١] فيض الفتاح : عبد الرحمن الشربيني – (ط- مطبعة مدرسة والدة عباس الأول- القاهرة: ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م)،ج٢ ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

[٢] أخرجه البخاري في كتاب الادب واخرجه مسلم .

[٣] والحديث فيه ان عمر بن الخطاب استاذن في الدخول علي رسول الله ، وعنده نسوة من قريش يسالنه ويستكثرنه عالية اصواتهن علي صوته فلما استاذن عمر تبادرن الحجاب ، فاذن له النبي ﷺ ، فدخل والنبي يضحك فقال : اضحك الله سنك يا رسول الله بابي انت وامي فقال الحديث ....

[٤] شرح عقود الجمان : ص ١٦

[٥] شرح الجواهر المكنون : ص ٥٦

[٦] الايضاح : ج ١ ص ٣٠٢

او كمثال الناظم : (التي اهداها إليك فلان يعملة)[١]

وفي مثل هذا تامل قوله ﷺ في قصة موسى عليه السلام مع الخضر: **(... فكان من شانهما الذي قصّ الله في كتابه)**[٢]

فهو ﷺ ومخاطبه يعلمان بجملة الصلة، أي بمضون قصة موسى مع الخضر من خلال ما قصه عليه القران الكريم أي ان النبي ﷺ لا يعلم عن شانهما شيئاً الا مضمون هذه الصلة .

يعني انه ﷺ وجد في جملة الصلة ما يمكنه من الحديث عنهما لأنه لا ينطق عن الهوى .

وجملة الصلة منتشرة في الحديث الصحيح انتشارا واسعاً وقد تنوع مضمونها بين الجملة الاسمية والفعلية .

وفيما يلي شواهد من بعض أحاديثه ﷺ:

(.... يا أهل الخيمة ما هذا الذي ياتينا من قبلكم ...)[٣]

(... اين الذي سال عن العمرة ....)[٤]

(... اتاني رجلان فجلس احدهما عند رجلي ، والاخر عند راسي ، فقال الذي عند رجلي للذي عند راسي : ما بال الرجل ؟ ...)[٥]

ولعل جملة الصلة قد كانت اكثر ايضاحاً في (الذي) خصوصاً ، ولذلك تري هذا الاسم (الذي) اكثر انتشاراً وترداداً في الحديث الصحيح ، لان لاقتران جملة الصلة مع (الذي) معاني دقيقة يحرص المتكلم علي ابرازها وتوضيحها .

وتامل في هذا قول الامام عبد القاهر ، وهو يذكر حكم الجملة بعد (الذي) اذا أنت وصفت به شيئاً : (انك لا تصل (الذي) الا بجملة من الكلام قد سبق من

---

(١) اليعملة : هي الناقة القوية الحمولة .
(٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، و أخرجه مسلم.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة و أخرجه مسلم .
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الحج، و أخرجه مسلم .
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، و أخرجه مسلم .

السامع علم بها ، وأمر قد عرفه له ، نحو ان تري عنده رجلاً ينشده شعراً ، فتقول له من غد : ما فعل الرجل الذي كان عندك بالامس ينشدك الشعر ؟)[١]

٣- دواعي الإبهام في التعبير بالاسم الموصول

لقد ذكر النحاة وتبعهم البلاغيون ان جملة الصلة يشترط فيها ان تكون معهودة ومعلومة للسامع ، قال في شرح السعد : (وقد يعدل عن هذا الاصل إلى الإبهام لاجل تلك النكتة ، أي تعظيم المسند إليه وتهويله كذا قبل ، وفيه ان الذي ذكره النحاة ان الصلة يشترط فيها ان تكون معهودة الا في مقام التعظيم والتهويل)[٢]

ويمثلون علي ذلك بهذه الآية : (فغشيهم من اليم ما غشيهم)[٣]،أي غشيهم من اليم امور عظيمة مبهم امرها .

قال في تقرير الشمس الانبابي : (فان في هذا من الإبهام الكائن في ما غشيهم من التفخيم والتهويل ما لا يخفي من الايماء إلى ان تفصيله تقصر عنه العبارة)[٤]

والحديث النبوي يورد نفس الاسلوب الذي ينتهجه القرآن ، فمن ذلك مثلاً :

تجد ان الموصول في قوله ﷺ: (... **لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي** ...)[٥]،فيه إبهام أدى إلى التفخيم والتهويل من شدة العطش الذي أصاب الكلب حتى انه: (يأكل الثري من العطش) ، أي من شدة العطش وهوله .

ولو أردت تفصيلاً اكثر لما إفادة الموصول هنا ، فقل (ان العطش بلغ بي امر عظيماً مبهم أمره) إذ لو قلت هذا ما أفدت ما افادة الاسم الموصول من تفخيم وتهويل لشان العطش الذي أصاب الرجل والكلب معاً .

ونلمس وراء هذا الحديث معني لطيفاً وهو الحث علي الرفق بالحيوان مهما دنا شانه.

---

(١) دلائل الإعجاز: ص٢٠٠.
(٢) حاشية الدسوقي علي شرح السعد : ج ١ ص ٣٠٦ .
(٣) سورة طه الآية ٧٨.
(٤) التجريد في علم المعاني ج ٢ ص ٥٩.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب المساقاة، وأخرجه مسلم .

وعلي هذا الاسلوب تأمل ما أورده ابن الأثير في المثل السائر من مقارنة لطيفة المعنى دقيقة المسلك بين الآيتين ، الأولى قوله تعالى: (فغشيهم من اليم ماغشيهم)[١]، والثانية قوله تعالى: (والمؤتفكة اهوى فغشاها ماغشى)[٢]

قال : (فانه قال في تلك الآية : فغشيهم من اليم ما غشيهم فذكر اليم وهو البحر فصار الذي غشيهم إنما هو منه خاصة وقال في هذه الاية : فغشاها ما غشي ، فابهم الامر الذي غشاها به ، وجعله عاماً ، وذلك ابلغ ، لان السامع يذهب وهمه فيه كل مذهب)[٣]

وفي مثل هذا تأمل الإبهام الذي أفاده الموصول في قوله ﷺ : (.. **فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة ...**)[٤]

فالموصول في الحديث : (الذي عند الله من الرحمة) أفاد ان ما عند الله تعالى من الرحمة شئ عظيم مبهم أمره لا يكتنهه النعت ، ولا يحيط به الوصف ، وذلك لكثرته .

ثم قال (ص) في بقية الحديث : (.... ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب ...) أي ان الذي عند الله من العذاب شئ عظيم مبهم أمره ، لا يمكن وصفه ، لشدته وعنفه وهوله .

ونذكر هنا ما ورده عبد القاهر عن (الذي) ومجيئها في الخبر المبهم ، فقد اسماه الخبر الموهوم ، قال في ذلك : (وليس شئ اغلب علي هذا الضرب الموهوم من (الذي) ، فانه يجئ كثير علي انك تقدر شيئاً في وهمك ، ثم تعبر عنه ب (الذي) ومثال ذلك قوله :[٥]

أخوك الذي ان تدعه لملمة *** يحبك وان تغضب إلى السيف يغضب[٦]

---

(١) سورة طه، الآية ٧٨.
(٢) سورة النجم، الآية ٥٤.
(٣) المثل السائر : ج ٢ ص ٢٦ .
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق و أخرجه مسلم .
(٥) دلائل الإعجاز : ص ١٨٤.
(٦) هو لأبى حوط ، حجية بن المضرب السكوني ، وانظره في دلائل الإعجاز :ص ١٨٤ .

ومما يجري علي هذا النهج نورد من أحاديثه ﷺ ما يلي :

(... **اذا لم تستحي فاصنع ما شئت** ...)[١]

(... **هذا الذي تزعمين ما تزعمين** ...)[٢]

(... **هل أنت الا اصبع وميت وفي سبيل الله ما لقيت** ...)[٣]

(... **انتم الذين قلتم كذا وكذا** ...)[٤]

والكلام علي هذه الاحاديث كالكلام علي الاحاديث التي قبلها ، فالموصولات التي فيها هي علي الترتيب : (فاصنع ما شئت) و (تزعمين ما تزعمين) و (في سبيل الله ما لقيت) و (الذين قلتم كذا وكذا) أي ان وراءها ما لا يخفى عليك من إفادة التهويل والتفخيم والتعظيم والتكثير .

و أما ما جاء من ذلك شعراً ، فكقول القائل في وصف الخمر :

مضي بها ما مضي من عقل شاربها *** وفي الزجاجة باق يطلب الباقي[٥]

والموصول هنا (ما معني) وقد أفاد به تفخيم شان الخمر ، وتهويل ما تفعله بعقول الذين يشربونها ، لان من يدمن علي شربها فلن يدعها الا بعد ان تهلك عقله هذا اذا تركت بقية من عقله .

ومثله بيت الحماسية :

صبا ما صبا حتي علا الشيب راسه *** فلما علاه قال للباطل ابعدا[٦]

قال في المثل السائر : (فقوله : (صبا ما صبا) ، من الإبهام الذي لو قدرت ما قدرت في تفسيره لم تجد له من فضيلة البيان ما تجد له مع الابهام)[٧]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الادب واخرجه ابو داود .
(٢) أخرجه البخاري في كتاب اللباس واخرجه مسلم .
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الادب واخرجه مسلم .
(٤) أخرجه البخاري في كتاب النكاح واخرجه مسلم .
(٥) البيت انشده في الايضاح : ج ١ ص ٣٠٦
(٦) البيت لدريد بن الصمة ، قاله في الايضاح : ج ١ ص ٣٠٦
(٧) المثل السائر : ج ٢ ص ٢٧

وعليه ايضاً ورد قول البحتري :

بعيد مقيل الصدر لا يدرك التي *** يحاولها منه الاريب المخادع[١]

فقوله (التي يحاولها) من الإبهام المقدم ذكره في الاحاديث السابقة .

٣- تقرير الغرض المسوق له الكلام

ان زيادة تقرير الغرض الذي سيق الكلام من اجله هي واحدة من دواعي التوكيد التي فصل النحاة ، و البلاغيون ، والذي يعنيني هنا من زيادة التقرير هو تحقيق المعنـــي عند المتكلم ، لاجل توطين نفس المخاطب، أي: (لتقرير المعنى في نفس المخاطـــب وتثبيته ، و إن كانت خالية من كل اثر للانكار او الشك)[٢].

كما في قوله ﷺ: **(لا تكذبوا عليّ فإنه مَن كـــذب علـــيّ فلـــيلج النـــار..)**[٣]، فالموصول في قوله: (من كذب عليّ) وقع في سياق الشرط ، وذلك لتقريـــر خصـــلة الكذب والتغليظ من شانها علي رسول الله ﷺ.

والحديث يفيد التحذير من الكذب على رسول الله ﷺ، فقوله: (من كذب عليّ، اسلوب شرط يفيد العموم أي كل من كذب على رسول الله ﷺ بأي أنواع الكذب ، سواء كان عليه أوله ، فانه يلج النار .)[٤].

ومما جاء علي هذا الاسلوب في القرآن الكريم ، قوله تعالى : (و راودته التي هو في بيتها عن نفسه)[٥]، فقوله : (التي هو في بيتها) موصول متعلق براودته .

قال في شرح السعد : (فالغرض المسوق له الكلام نزاهة يوسف وطهـــارة ذيلـــه ، والمذكور أدل عليه من امرأة العزيز او زليخا ، لأنه اذا كان في بيتها ، وتمكن مـــن نيل المراد منها ، ولم يفعل كان غاية في النزاهة ، وقبل هو تقرير للمراودة لما فيـــه من فرط الاختلاط و الإلفة)[٦]

---

(١) البيت من قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان واولها قوله :
المت وهل المامها لك نافع *** وزارت خيالاً والعيون هواجع

(٢) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري : محمد حسين أبو موسى- (ط٢- مكتبة وهبة- القاهرة: ١٩٨٨م)، ص ٣٤٢.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب العلم، وأخرجه مسلم.

(٤) من بلاغة الحديث النبوي : ج ١ ص ٦٣ .

(٥) سورة يوسف ، الآية ٢٣ .

(٦) مختصر التفتازاني : ج ٢ ص ٥٨.

وتري مثل هذا في قوله ﷺ : (**تجد من شرار الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه**)[١].

وذا الوجهين ، أي صاحب الوجهين ، إنما كان شر الناس ، لان حاله حال المنافق ، والتعبير بالموصول في قوله (الذي ياتي هؤلاء بوجه ، وهولاء بوجه) يفيد العموم .

(وفي الاسلوب تفصيل بعد أجمال ، (ذا الوجهين ياتي هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه) آخر ، وهذا ادعي إلى تشويق السامع لمعرفة الأجمال)[٢]

وعلي هذا ايضاً تأمل قولهﷺ:(**... وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق ...**)[٣]

والأصل في حكم القتل النهي والتحريم . و أما التعبير بالموصول في قوله : (التي حرم الله الا بالحق) ، ففيه قوة ورصانة وتأكيداً ، لان إزهاق الروح جريمة ضد الإنسانية كلها .

(و الاسلوب فيه نسق قراني جري علي لسانه ﷺ يقول تعالى : (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق)[٤]،(وقوله : (حرم الله) إعادة لذكر التحريم علي سبيل التوكيد)[٥].

وعلي هذا فان أسلوب التقرير والتوكيد هو من اكثر الأساليب وروداً في الحديث النبوي ، فمن ذلك تأمل دلالة الموصولات الآتية علي هذا الأسلوب في نماذج الأحاديث النبوية التالية :

(**... أنت آدم الذي أخرجت ذريتك من الجنة ... أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وكلامه ...**)[٦]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، و أخرجه مسلم .
(٢) من بلاغة الحديث النبوي ج ٣ ص ٧٧.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، وأخرجه مسلم.
(٤) سورة الإسراء ، الآية ٣٣.
(٥) من بلاغة الحديث النبوي : ج ٣ ص ٨.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، و أخرجه مسلم .

(... اشهد انك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ ...) [١]

(... إنما المفلس الذي يفلس يوم القيامة ...) [٢]

(... وهذه الدواب التي تقع في النار ...) [٣]

(... هي السبع المثاني والقران الذي اوتيته) [٤]

واما ما ورد من هذا في الشعر فكثير، من ذلك قول أبي تمام:

دعيني علي أخلاقي الصم للتي *** هي الوفر او سرب ترن نواد به [٥]

إذ الموصول في قوله : (للتي هي الوفر) ، و (وقد ساعد اسم الموصول علي الربط الطبيعي بين الأخلاق والوفر والندب ، وكان الوفر والندب هما مضمون هذه الاخلاق ، النجاح الساحق ، او الفشل الماحق ، فجاءت (التي) في مكانها المناسب الذي يتطلبها) [٦] .

وقريب منه في بيان هذا الغرض قول أبي العلاء :

اعباد المسيح يخاف صحبي *** ونحن عبيد من خلق المسيحا [٧]

(فان في قوله : من خلق المسيحا ، تقرير للغرض الذي سيق الكلام من اجله ، وهذا الغرض بالطبع ، هو حث قومه علي عدم الخوف) [٨]

ومنه ايضاً قول الفرزدق :

أتحسبي بين المدينة والتي *** إليها رقاب الناس يهوي منيبها .

فان الموصول في قوله : (والتي إليها) يقصد به مكة المكرمة .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، و أخرجه مسلم .
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، و أخرجه مسلم .
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق و أخرجه مسلم .
(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القران و أخرجه النسائي وأبو داود وابن ماجة
(٥) يريد : كان اخلاقه صم علي سبيل الاستعارة وقوله : (للتي هي الوفر) أي للرحلة التي تؤذيني أما الوفر من المال يقول: دعيني ارتحل، فأما أن أتمول، واما ان يقوم علي سرب نساء يندبن ، والسرب الجماعة من النساء والوحش والطير
(٦) بلاغة الكلمة والجملة والجمل : منير سلطان – (ط- منشأة المعارف- الإسكندرية: د.ت) ص ٧٧.
(٧) البيت في شرح السيد على المطول: عبد الرحمن الشربيني – (ط١- مطبعة مدرسة والدة عباس الأول- القاهرة: ١٣٢٣هـ)ج ٢ ص ٢٦٧ .
(٨) البلاغة فنونها وافنانها : ص ٢٣٧

قال الامام السيوطي : (وعدل عن ذكر مكة زيادة لإنكار مشيراً إلى ان هذا المكـــان لا يصلح الا للانابة والخضوع ، ولا للتجبر والعدوان)[١]

٤- العدول عن التصريح بالاسم الظاهر

وقد يعدل المتكلم عن التصريح بالاسم الظاهر ، لاستهجان ذكر الاسم: (أي استقباح التصريح بالاسم الدال علي ذات المسند إليه ، أما لاشعاره بمعني تقع النفرة منه ، لاستقذاره عرفاً ، نحو : البول والفساء ناقض للوضوء ، فتعدل عن ذلك لاستهجانه ، كقولك : الذي يخرج من السبيلين ناقض، واما لنفرة في اجتماع حروفه ، وقوله بالاسم مراده به العلم بأقسامه الثلاثة، فهو من إطلاق الخاص وإرادة العام.)[٢]

وقال في شرح السيد علي المطول:(والعدول عن التصريح باب من البلاغة)[٣]

وفي مثل هذا انظر إلى قوله ﷺ: (.. **لا تقبل صلاة من احدث حتي يتوضأ..**)[٤]

فالموصول هو قوله : (من احدث) ، حيث عبر النبي ﷺ به عن الخارج مـــن السبيلين ، وهو البول والغائط وغيرهما ، وهو قذر ينفر اللسان عن النطق به ، وتأبى الأذن سماعه ، ولذا لجانا إلى التعريف بالصلة تحاشياً للنطق به ، وتلافياً لإســـماعه المخاطب ، ودليل هذا كما في بقية الحديث : (... قال رجل من حضـــرموت : مـــا الحدث يا أبا هريرة، قال: (فساء أو ضراط) على هذا النهج تأمل حديث أبُـــي بـــن كعب انه قال : رسول الله اذا جامع الرجل المرأة فلم ينزل ؟ قال : (**يغسل ما مـــس المرأة منه ثم يتوضأ ويصلي ...**)[٥].

فالموصول : (ما مس المرأة) عبر به عن آلة الرجل وهي الذكر او القضيب ، لان ذلك مما يستهجن ذكره ، فهو لم يقل : (يغسل ذكره او مـــذاكره ثـــم يتوضـــأ ويصلي ....) ، بل عدل عن التصريح بذلك ولجأ إلى التعبير بجملة الصلة .

---

(١) شرح عقود الجمان ص : ١٦
(٢) حاشية الدسوقي علي شرح السعد : ج ١ ص ٣٠٤.
(٣) فيض الفتاح : ج ٢ ص ٢٦٧.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء ، و أخرجه مسلم.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الغسل و أخرجه مسلم.

قال في عروس الأفراح : (ان يكون اسمه مستهجناً فيطوي ذكره لهجنة تنزه عنها لسانك ، او سمع المخاطب كما اذا أردت ان تقول : أبو جهل فعل كذا ، فتـــاتي بصفة من صفاته بدل اسمه وتجعلها صلة) [١]

ونحو قوله : (جاء الذي لقيك أمس ، تريد رجلاً اسمه الكلب)[٢]،وانظر إلى قول حسان رضي الله عنه في تبرئة نفسه مما نسب إليه من حديث الافك :

فان الذي قيـــل ليـــــس بلائط *** ولكنه قول امري بي ماحل

وقوله في بيت اخر :

فان كنت قد قلت الذي زعمتمو *** فلا رفعت سوطي إلى اناملي

(فقد استهجن ان يصرح بحادثة الافك، وان يذكر اتهام عائشة رضـــي الله عنها، فعبر بالاسم الموصول (الذي)، وقد مكنته جملة الصلة من ان يشـــير الـــى معني لطيف دقيق فتامل :(قد زعمتمو) و (قد قيل)، فهو مجرد زعم، وهـــو قـــول ساقط غير منسوب الى عاقل يستحق ان يذكر) [٣]

(ومما عدل فيه عن التصريح بالاسم، لاستهجانه قول الشاعر :

قلت لـــترب عنـــدها جالســـة *** في قصرهـــا: هذا الذى اراد مـــن

قلت فتى يشكو الغرام عاشق *** قالت : لمن، قالت : لمن، قالت لمن

والتكرار في ذلك قبيح يخل بفصاحته وبلاغته) [٤]

ثم ان التعبير بالاسم الموصول يخفي تحته اسم المذنب، كقوله ﷺ فـــي رجل بعثه لجمع اموال الزكاة : (.... **ما بال العامل نبعثه، فيأتي يقول : هـــذا لـــك وهذا لي ...**) [٥]

---

(١) عروس الأفراح : ج ١ ص ٣٠٤
(٢) شرح الجوهر المكنون : ص ٥٥
(٣) علم المعانى : بسيوني عبد الفتاح فيود- (ط١ – مطبعة السعادة – القاهرة: ١٩٨٨م) ،ج ١ ص ١١٩.
(٤) بغية الايضاح : ج ١ ص ٨٦
(٥) أخرجه البخاري في كتاب ا لاحكام، و أخرجه مسلم

فقد عدل النبي ﷺ عن التصريح باسم هذا العامل، وعبر عنه بالموصولية، فقال : (ما بال العامل)، لان في التعبير بها اخفاء لاسم المذنب، وفي ذلك من الرجاء في هدايته ما ليس في افشاء اسمه وفضحيته .

وقد جاء على مثل هذا الاسلوب احاديث عدة منها :

(... ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم ...)[١]

(... ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء اصنعه ...)[٢]

(ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليس في كتاب الله ...)[٣]

والتعبير بالموصولية في قوله : (ما بال اقوام) في الاحاديث السابقة كالتعبير في الحديث الذي قبلها .

ومما يجري على هذا النهج في القرآن الكريم قوله تعالى : (ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم)[٤]

فالموصول في قوله : (من يشترى لهو الحديث) : اما الموصول في قوله تعالى : ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدي ولا كتاب منير)[٥]

فهو : (من يجادل في الله) .

فهذه وامثالها من ذلك النمط المشار إليه في احاديثه السابقة ﷺ .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاذان، و أخرجه مسلم .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، و أخرجه مسلم .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، وأخرجه مسلم.

(٤) سورة لقمان، الآية ٦ .

(٥) سورة الحج، الآية ٨ .

٥- الإيماء إلى وجه بناء الخبر

ومعني هذا ان يذكر المتكلم شيئاً في اول حديثه يستطيع ان يدرك الفطن ما سيجئ بعده ، كقول الناظم : [١]

او الإشارة إلى وجه البنا *** لخبر وقد يكون ذاهنا

وهذه معناه ان الإيماء او الاشارة إلى نوع الخبر قد تكون : (مدحاً او ذماً ، او عقاب او غير ذلك فيتنبه الفطن من فاتحة الكلام إلى خاتمته ، ويدرك ما تؤمي إليه من المقاصد) [٢]

انظر مثلاً إلى قوله ﷺ : (... الذي تفوته صلاة العصر كانما وتر أهله وماله ...) [٣]

انظر إلى الصلة في الحديث ، وهي قوله : (تفوته صلاة العصر) الا تدرك انك ستفهم منها فحوي الخبر الذي لم ياتي بعد ذلك ، وهو ان من تفوته صلاة العصر خاصة : (كانما وتر أي انتزع منه اهلة وماله ...) [٤] ، ولذا جاء الخبر دالاً علي هذا .

ومثله قوله ﷺ: (... **والذي ينتظر الصلاة حتي يصليها مع الامام اعظم اجراً** ...) [٥]

فان انتظار الصلاة الذي دلت عليه جملة الصلة : ينتظر الصلاة حتي يصليها مع الامام) ، قد أشارت إلى وجه بناء الخبر ، وأنها من جنس الثواب :

(اعظم اجراً) .

وتري نفس هذا الأسلوب في القران الكريم ، كقولة تعالى : (وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم واخرين) [٦]

---

(١) شرح عقود الجمان : ص١٦
(٢) علوم البلاغة : ص ١١٧
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الاذان ، و أخرجه مسلم
(٤) فتح الباري : ج ٢ ص ٣٠
(٥) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة
(٦) سورة غافر ، الآية ٦٠

ومن ذلك قال في شرح المطول : (فان فيه ايماء إلى ان الخبر المبني عليه امر من جنس العقاب والاذلال ، بخلاف ما اذا ذكرت اسماؤهم الاعلام) [١]

وقال في مواهب الفتاح : (ففي مضمون الصلة الذي هو الاستكبار عن عبادة الرب إيماء إلى أن الخبر المبني علي الموصول وصلته امر من جنس الاذلال والعقوبة ، وهو قوله تعالى : (سيدخلون جهنم ذاخرين) ، أي صاغرين ، فالمراد بالوجه كما تقدم طريق الخبر ونوعه الذي ياتي عليه .) [٢]

وكقوله تعالى : (والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابداً) [٣]

(ففي مدلول الصلة وهو الايمان والعمل الصالح ما يشير إلى ان الجزاء المترتب عليه من نوع الثواب) [٤]

ومنه ايضاً قوله تعالى : (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهباً ولو افتدي به ، اولئك لهم عذاب أليم) [٥]

ومن امثلة الاحاديث الصحيحة علي هذا الأسلوب ما يلي :

(... الذي يشرب في اناء الفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم ...)[٦]

(... ان الذين يصنعون هذه الصور يعذبون ...) [٧]

(... الذي يخنق نفسه يخنقها في النار ، والذي يطعنها يطعنها في النار...)[٨]

فاذا تاملت الموصولات وصلتها في الاحاديث السابقة ، وهي : (الذي يشرب في اناء الفضة) ، و(الذين يصنعون) ، و (الذي يخنق نفسه) ، و (الذي يطعنها) ، فانك تجد في كل واحدة منها وجه لبناء الخبر .

---

(١) فيض الفتاح : ج ٢ ص ٢٦٩ .
(٢) مواهب الفتاح : ج ١ ص ٣٠٨ .
(٣) سورة النساء الآية ١٢٢.
(٤) المعاني في ضوء أساليب القران : ص ٢٤٢ .
(٥) سورة آل عمران الآية ٩١ .
(٦) أخرجه البخاري في كتاب الاشربة، و أخرجه مسلم .
(٧) أخرجه البخاري في كتاب اللباس ، و أخرجه مسلم .
(٨) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز و أخرجه مسلم .

أي اشارة إلى معرفة الخبر ، قال في شرح المختصر : (يعني تاتي بالموصول والصلة للاشارة إلى ان بناء الخبر عليه من وجه واي طريق من الثــواب والعقــاب والمدح والذم وغير ذلك) [١]

ومن هذا الأسلوب شعراً قول الفرزدق : [٢]

إن الذي سمك السماء بني لنا *** بيتاً دعائمه اعز و أطول

قال في التجريد : (ففي قوله : إن الذي سمك السماء ، ايماء إلــى ان الخبــر المبني عليه امر من جنس الرفعة والبناء عند من له ذوق سليم) [٣]

---

(١) مختصر التفتازاني : ج ١ ص ٣٠٨ .

(٢) هو لهمام بن غالب المعروف بالفرزدق يفتخر ببيته في تميم علي جرير؛ لانه كان من ذوي الشرف فيهم ، وليس المراد بالبيت الكعبة ، كما ذكر الدسوقي في حاشيته علي المختصر : ج ١ ص ٣٠٩ وانظر في ذلك بغية الايضاح : ج ١ ص ٨٨ .

(٣) التجريد في علم المعاني : ج ٢ ص ٦٩، و أنظره في فيض الفتاح : ج ٢ ص ٢٧٣ .

المبحث الثانى

أسرار التعبير باسم الإشارة

ويحتوى على المطالب الآتية:

١- كمال العناية في التمييز بالإشارة .

٢- الإظهار في مقام الإضمار .

٣- تأكيد استحقاق المبتدأ للخبر .

٤- إفادة التعظيم باسم الإشارة .

٥- إفادة التحقير والإهانة باسم الإشارة .

١- كمال العناية في التمييز بالإشارة

وقد يرمز اسم الاشارة الى تصوير المعانى حتى تكون كانها مرئية، فيشير إليها ؛ وذلك لاختصاصها بحكم بديع، قال فى التجريد : (والمميز اكمل تمييز انما هو الذات ؛ وهذا يقتضى انه اعرف من سائر المعارف من حيث ان فيه اشارة حسية مفسرة باشارة الجوارح .)[١]

وهذا كما فى قول الناظم :[٢]

واسم الاشارة لكى يميزا *** اكمل تمييز كهذا من غزا

وهذا معناه كما قال فى الايضاح : (لصحة احضاره فى ذهن السامع بوساطة الاشارة حسا .)[٣]

اى بان يكون المشار إليه مبصرا كما جاء فى تقرير الانبابى ان كمال العناية بالتمييز انما : (هو التمييز بالقلب والعين، فانه لا تمييز اكمل منه، ولا يحصل ذلك الا باسم الاشارة .)[٤]

وعلى هذا تامل دلالة الاشارة فى قوله ﷺ : (... **لن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله** ...)[٥]

تجد ان الاشارة فى قوله : (هذه الامة) افادت تمييز امة محمد ﷺ اكمل تمييز كانها حاضرة فى ذهن السامع محسوسة ومشاهدة، وبعد هذا التمييز جاءت الاشارة الاخرى التى تفيد تفرد هذه الامة فى ثباتها على الحق الى ان تقوم الساعة ثم ان هذا يفيد تمكن هذه الامة فى نفوس المؤمنين فضل تمكن .

ومن افادة اسم الاشارة لكمال التمييز قوله ﷺ يوم احد : (... **هذا جبريل آخذ براس فرسه عليه اداة الحرب** ...)[٦]

---

(١) التجريد في علم المعاني : ج٢ ص٧٤.
(٢) شرح عقود الجمان ك ص١٧.
(٣) الإيضاح : ج١ ص٣١٤.
(٤) تقرير الانبابى على السعد : ج٢ ص٧٣.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب العلم، وأخرجه مسلم
(٦) أخرجه البخاري في كتاب المغازى، و أخرجه مسلم

فالإشارة في قوله : (هذا جبريل) جعلت جبريل عليه السلام حاضرا فى الاذهان مرئيا امام الاعين .

ومثل هذا تراه فى قوله ﷺ (... **هذه خديجة اتتك باناء فيه طعام** ...)[١] تجد الاشارة فى قوله : (هذه خديجة)، قد ميزت السيدة خديجة وحددتها وجعلتها ماثلة امام الاعين .

وإفادة الإشارة لكمال العناية بالتمييز تجدها كثيرا فى الحديث النبوى، وترى لها هذا المذاق الطيب الذى تناولنا جزءا يسيرا منه، كما يمكنك ان تجد نفس هذا المذاق بتاملك لما يلى من الاحاديث النبوية :

(... **هذه يد عثمان** ...)[٢]

(... **هذه القبلة** ...)[٣]

(... **سدوا عنى كل خوخة فى هذا المسجد غير خوخة ابى بكر** ...)[٤]

(... **هذا الانسان، وهذا اجله محيط به** ...)[٥]

وهذا الاسلوب يرد ايضا فى القرآن الكريم كثيرا، نذكر فى ذلك ما اشار إليه الزمخشرى فى قوله تعالى : (هذا فراق بينى وبينك)[٦]: (فان قلت هذا اشارة الى ماذا ؟ قلت : قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام : (ان سالتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى)[٧]، فاشار إليه وجعله مبتدا، واخبر عنه كما تقول : هذا اخوك، فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ .)[٨]

وذهب الشمس الانبابى في التجريد الى ان : (استعمال اسم الاشارة فى كلامه تعالى سواء كان الى المبصر او غيره مجاز لتنزه تعالى عن الاشارة بالجوارح)[٩]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، وأخرجه مسلم.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، و أخرجه الترمذى.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، و أخرجه احمد .
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، و أخرجه احمد.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، و أخرجه الترمذى وابن ماجة .
(٦) سورة الكهف الآية ٧٦ .
(٧) سورة الكهف الآية ٧٨ .
(٨) الكشاف: ج٢ ص٥٧٨.
(٩) التجريد في علم المعاني: ج٢ ص٧٤.

وهذا تراه في قوله ﷺ : (... **إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته ...**)[١]

فرؤية الله عز وجل يوم القيامة لا شك فيها : وقد تم استحضار رؤية المولى عز وجل دون كم أو كيف، واشار الى ذلك بقوله : (هذا القمر) فالرسول ﷺ بهذه الاشارة يتحدى ان يكون له عز وجل ضريب او نظير، فهو سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

اما ما جاء فى الاسلوب شعرا، فكقول ابن الرومى يمدح ابى الصقر الشيبانى :

هذا ابو الصقر فردا فى محاسنه *** من نسل شيبان بين الضال والسلم[٢]

قال فى مواهب الفتاح : (هذا اشارة الى تمييز ابى الصقر اكمل تمييز؛ ليكون مدحه فى الاذهان كالنار على علم، وظهور نعته عند الناس كظهور البدر بلا غيم ولا خسوف)[٣]

ومنه قول مادح حاتم الطائي:[٤]

واذا تامل شخص ضيف مقبل *** متسربل ســـربال لـــيل اغبر

اوما الى الكوماء : هذا طارق *** نحرتنى الاعداء ان لم تنحرى

وفى عروس الافراح : (قوله : تآكل فيه نقض ادبى والصواب ان يقول: تخيل او توهم، ولك ان تقول كون اكمل التمييز يحصل باسم الاشارة دون غيره ظاهر ان قلنا انه اعرف المعارف، وإلا ففيه نظر.)[٥]

٢- الإظهار في مقام الإضمار

ان هذا الاسلوب يعتبر صورة من صور تخريج الكلام علي خلاف مقتضي الظاهر علي ما يذكره البلاغيون ، فاسم الاشارة هنا من وضع المظهر موضع المضمر .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، وأخرجه مسلم.

(٢) قوله: (بين الضال والسلم) كناية عن عزهم؛ لان الضال والسلم هي أشجار البادية يفتخرون بها، وهي مجد العرب وعزهم، وانظره في بغية الإيضاح: ج١ ص٩٠.

(٣) مواهب الفتاح: ج١ ص٣١٤.

(٤) قيل: أن البيتين لرجل يمدح حاتم، وقيل: إنهما لحسان بن ثابت، وقيل: إنهما لإبن المولى محمد بن عبد الله بن مسلم، وقوله: (اوما) تخفيف (اومأ) بمعنى أشار، والكوما هي الناقة الضخمة، وأنظره في بغية الإيضاح: ج١ ص٩٠.

(٥) عروس الأفراح: ج١ ص٣١٤.

أي اذا كان المظهر اسم اشارة ، فانه يمكن الانتقال به بوضع المضمر في موضعه هذا اذا كان المقام محتملاً لذلك .

والزمخشري رحمه الله يذكران هذا الاسلوب يستعمل للتفنن في الكلام ، اذا هو انتقال من اسلوب إلى اسلوب ، ويذهب إلى ان وراء التعبير بذلك انما هو تطرية لنشاط السامع وايقاظاً للاصغاء إليه .

وعلي مثل هذا يذهب ابن الاثير إلى القول : (ان الانتقال في الكلام من اسلوب إلى اسلوب اذا لم يكن الا تطرية لنشاط السامع ، وايقاظاً للاصغاء إليه ، فان ذلك دليل علي ان السامع يمل من اسلوب واحد فينتقل إلى غيره، ليجد نشاطاً للاستماع)[١]

وقد وردت في السنة النبوية علي هذا الاسلوب احاديث كثيرة نشير هنا إلى ابرزها .

ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : وجد عمر حلة استبرق تباع في السوق ، فاتي بها رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ابتع هذه الحلة فتجمل بها للعيد وللوفود،فقال رسول الله ﷺ: (**انما يلبس هذه من لا خلاق له ...**)[٢]

اذ لو قال : (انما يلبسها من لا خلاق له) ، لذهبت فائدة الاشارة ، كما فيها من كمال العناية والتمييز ما لا يخفي عليك ولذلك عدل عن ان يقول : (انما يلبسها) وقال: (انما يلبس هذه) موكدا ذلك باسلوب القصر عن طريق القصر ب (انما).

وعلي منوال هذا تامل قوله ﷺ : (**... رايتني دخلت الجنة ، فاذا انا بالرميضاء امراة ابي طلحة ، وسمعت خشفة فقلت : من هذا ؟ فقال : هذا بلال ..**)[٣]

فقوله : (هذا بلال) يحتمل وضع الاشارة في موضع المضمر اذ ان مقتضي الظاهر ان يقول (هو بلال) ولكنه عدل عن ذلك ، لاجل تمييز سيدنا بلال اكمل تمييز اضافة إلى تقريره عن طريق الاستفهام .

---

(١) المثل السائر : ج ٢ ص ٣،٤ .
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، وأخرجه مسلم .
(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، وأخرجه مسلم .

وقريب من هذا حديث البراء رضي الله عنه قال : اهـديت للنبـي ﷺ حلـة حرير فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال : (**اتعجبون من لين هـذه ؟ ....)**[١]

اذ لو قال : (اتعجبون من لينها) لجاز له ذلك في مقام الاضمار ، ولكنه اراد ان يميز تلك الحلة اكمل تمييز عن طريق الاشارة إليها ، وذلك لما راي من تعجـب اصحابة في شان تلك الحلة .

وفي ذلك ايضاً تامل قوله ﷺ في اسامة بن زيد رضي الله عنـه وقـد طعـن بعض الناس في امارته : (**... وايم الله ان كان لخليقاً للامارة وان هذا لمـن احـب الناس إلى بعده)**[٢]

فقوله : (وان هذا لمن احب الناس إلى بعده) يحتمل وضـع الاشـارة فـي موضع المضمر ، اذ لو قال : (وانه لمن احب الناس إلى بعده)، لحاز لـه ذلـك ، ولكنه ﷺ عدل عن مقام الاضمار إلى مقام الاظهار بالاشارة (هذا) وذلك لمـا فـي اسم الاشارة من كمال العناية والتمييز كما ان في الكلام فضل تمكـن اخـر ، وهـو اسلوب التوكيد ب (ان واللام) .

ولك ان تري مثل ذلك في حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ، ان ناساً نزلوا علي حكم سعد بن معاذ، فارسل إليه فجاء علي حمار ، فلما بلـغ قريبـاً مـن المسجد ، قال النبي ﷺ : (**قوامو إلى خيركم او سيدكم**) ، فقال : (**يـا سـعد ان هؤلاء نزلوا علي حكمك ...)**[٣]

فلو قال : (انهم نزلوا علي حكمك) في موضع قوله : (هولاء نزلوا علـي حكمك) ، لجاز له ذلك في مقام الاضمار لكون هولاء الناس معلوم امرهم ، ولكـن النبي ﷺ عدل عن ذلك واراد تمييز هولاء الناس اكمل تمييز فاستعمل اسم الإشـارة (هولاء) فجعله مظهرا في مقام الاضمار.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار وأخرجه مسلم .
(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، وأخرجه مسلم .
(٣) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، وأخرجه مسلم .

واما مما جاء في ذلك شعراً ، فكقول الراوندي :

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه *** وجاهل جاهــل تلقاه مرزوقاً

هذا الذي ترك الاوهام حائرة *** وصير العالم النحرير زنديقاً

فقوله : (هذا) في البيت الثاني : اشارة إلى حكم سابق غير محس وهو كون العاقل محروماً ، والجاهل مرزوقاً فكان القياس الاضمار ، نحو (هما) فعدل إلـــى اسم الاشارة لكمال العناية بتمييزه ، ليفهم السامعين ان هذا التمييز هو الذي له الحكم العجيب وهو جعل الاوهام حائرة والعالم النحرير زنديقا، فالحكم البديع هو الذي اثبت للمسند إليه المعبر عنه باسم الاشارة .) [1]

(١) فصول من علوم البلاغة : محمد الجنيدي جمعة حسنين – (ط٣- دار الطباعة المحمدية بالأزهر- القاهرة: ١٩٧٠م) ص ١٠١ ، ١٠٢.

٣- تأكيد استحقاق المبتدأ للخبر

وقد يفيد اسم الإشارة توكيد استحقاق المبتدأ للخبر : (وذلك اذا تقدمه تعديد صفات للمبتدأ كل صفة منها ترشحه لاستحقاق هذا الخبر ، وهذا المعني واضح في كتب المتاخرين ، بل قد اخذ بلفظه ومعناه من كتاب الكشاف) [١]

ومعني هذا :(ان يسبق ذكر اسم الاشارة اوصاف ، ثم يذكر بعد اسم الاشارة ماثر فيوتي باسم الإشارة تنبيهاً علي انه جدير بالمزايا التي اخبربها عنه) [٢]

خذ مثلا قوله تعالى: (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يومنون بما انزل إليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون اولئك علي هدي من ربهم واولئك هم المفلحون) [٣]

قال في مواهب الفتاح: (فقد عقب المشار إليه ، وهو مصدوق المتقين باوصاف هي: الايمان بالغيب ، واقام الصلاة والإنفاق والايمان بما انزل والايمان بالاخرة ، ثم عرف المسند إليه باسم الإشارة وهو (اولئك) للمشار إلى مصدوق الذين تنبيهاً علي ان المشار إليه كان جديراً بما يرد بعد اسم الإشارة من الحكم الذي هو الهدي عاجلاً والفلاح وهو البقاء الابدي في النعيم اجلا من اجل تلك الاوصاف)[٤]

وعلي نهج تلك الايات تامل قوله ﷺ مخاطباً معاذ: (**يا معاذ ، قلت : لبيك وسعديك ، ثم قال : هل تدري ما حق الله علي العباد ؟ قلت : لا ، قال : حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ثم سار ساعة، فقال: يا معاذ، قلت: لبيك وسعديك ، قال : هل تدري ما حق العباد علي الله اذا فعلوا ذلك ان لا يعذبهم**)[٥]

فانت تري في هذا الحديث انه قد جئ باسم الاشارة (ذ لك) وقد ذكرت قبله اوصاف لعباد الله الذين أدّوا حقوق الله تعالى ، ثم ذكر بعده انهم لا يعذبون ، فجئ

---

(١) البلاغة القرانية في تفسير الزمخشري : ص ٢٥٧ .
(٢) البلاغة فنونها وافنانها : ص ٢٣٣ .
(٣) سورة البقرة الاية ١، ٥ .
(٤) مواهب الفتاح : ج ١ ص ٣١٩،٣٢٠ .
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان و أخرجه مسلم .

باسم الإشارة هنا تنبيهاً علي ان المشار إليهم الذين اجتمعت لهم تلك الأوصاف جديرون او احقاء بان تثبت لهم النجاة من عذاب الله تعالى .

ودليل هذا الاسلوب يمكنك ان تراه واضحاً في حاشية الانبابي علي شرح مختصر السعد ، حيث يقول: (قالوا صح ان يقول او التنبيه عند الاشارة إلى موصوف علي ان المشار إليه جدير بما اسند لاسم الاشارة من اجل كونه موصوفاً)[١]

ومثال آخر علي ذلك انظر حديث عائشة رضي الله عنها ،قالت: كان اليهود يسلمون علي النبي ﷺ يقولون : السأم عليك ، فقالت : عليكم السأم واللعنة ، فقال النبي ﷺ : (**مهلاً يا عائشة ان الله يحب الرفق في الامر كله**) ، فقالت : يا نبي الله او لم تسمع ما يقولون ؟ قال: (**اولم تسمعي اني ارد ذلك عليهم فاقول: وعليكم**)[٢]

إذ الاشارة في قوله : (ارد ذلك عليهم) افادت ما اشرنا إليه في الحديث السابق .

وبهذا عليك ان تتامل نفس الاسلوب اذا دققت النظر في الاحاديث الاتية :

(... من تصبح سبع ثمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر...)[٣]

(... اللهم ايما مومن سبيته فاجعل ذلك له قربة إليك يوم القيامة ...) [٤]

(... لا يدخلن هؤلاء عليكن ...) [٥]

ومما جاء علي هذا الاسلوب شعراً قول حاتم الطائي :

ولله صعلوكاً يساور همه *** و يمضي علي الاحداث والدهر مقدماً

اذا ما راي يوماً مكارم اعرضت *** تيمم كبراهن ثمت صمماً

ويغشي اذا ما كان يوم كريهة *** صدور المعالي وهو مختضب دماً

اذا الحرب ابدت ناجذيها وشمرت *** وولي هدان القوم اقبل معلماً

---

(١) التجريد في علم المعاني : ج ٢ ص ٨٢

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات و أخرجه مسلم

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الطب و أخرجه مسلم

(٤) أخرجه البخاري في كتاب االدعوات أخرجه مسلم

(٥) أخرجه البخاري في كتاب اللباس و أخرجه مسلم والترمذي وابوداود وابن ماجه وفي هذا الحديث جئ باسم الاشارة (هؤلاء) تنبيهاً علي ان المشار إليهم وهم المخنثين من الرجال يستحقون ان يمنعوا من الدخول علي النساء والحديث فيه نهي الرجال الذين لهم هذه الاوصاف من الدخول علي النساء .

فذلـــك ان يهلك فحســـــني ثناؤه *** وان عاش لم يقعد ضعيفاً مذممـــاً

قال في بغية الإيضاح : (فعد له كما تري خصالاً فاضلة من المضـــاء علـــى الأحداث مقدماً ، والصبر على الم الجوع ، وتيمم كبري المكرمات ، والتاهب للحرب بادواتها ، ثم عقب ذلك بقوله (فذلك) فافاد انه جدير باتصافه بما ذكر بعده) [١]

(وقول حاتم في مدح هذا الصعلوك ينقلنا لقول شيخ الصعاليك عروة بن الورد يمدح صعلوكاً اخر وهو مما نحن بصدده كذلك : [٢]

لحا الله صعلوكاً اذا جنّ ليـــله *** مصافي المشاش الفا كل مجزر

ينام ثقيلاً ثم يصبح قاعـــــداً *** يحث الحصي عن جنبه المتعفر

يعين نساء الحي ما يستعنـــه *** فيضحي طليحاً كالبعير المحسر

ولكن صعلوكاً صفيحة وجهه *** كضوء سراج القابس المتنـــور

مطلاً علي اعدائه يزجـــرونه*** بساحتهم زجر المنيح المشـــهر

وان بعدوا لا يامنون اقترابـــه*** تشوق اهل الغائب المنتظـــــر

فذلك ان يلـــق المنية يلقـــــها *** حميداً وان يستغن يوماً فاجـــدر

---

(١) بغية الايضاح : ج ١ ص ٩٣

(٢) البلاغة فنونها وافنانها : ص ٢٣٤

٤- إفادة التعظيم باسم الإشارة

ان اسم الاشارة يتكلم عن الغائب بينما لا يكون إلا لمشار إليه حاضر، او كالحاضر في الذهن، وذلك:(اذا تعين طريقاً لاحضار المشار إليه في ذهن السامع بان يكون حاضرا محسوسا، ولا يعرف المتكلم والسامع اسمه الخاص، ولامعيناً اخر، كقولك: اتبع هذا؟ مشيرا إلى شيء لا تعرف له اسما ولا وصفا.)[١]

أما إذا لم يتعين طريقا لذلك فيكون مجازا، قال في شرح التقرير علي مختصر السعد : (فاذا قلت : سمعت هذا الصوت، او شممت هذا الريح، او ذقت هذا الطعم كان مجازا.)[٢]

وكون اسم الإشارة حاضرا صار كالمشاهد، فهو منزلة القريب، وكونه غائبا صار كالبعيد؛(أي علي سبيل المجاز؛ لان اصل اسم الإشارة ان يشار بها إلى محسوس مشاهد)[٣]

وهذا يعرف بتنزيل المعقول منزلة المحسوس؛ اى بادعاء ظهور المعقول ظهور المحسوس، فاصبح كانه يشار إليه، وذلك فما ياتي لدواعي التعظيم والتفخيم، كقول الناظم:[٤]

وبإشارة لكشف الحال *** من قرب او بعد او استجهال

او غاية التميز والتعظيم *** والحط والتنبيه والتفخيم

كما انه قد يشير إلى معني التحقير والتصغير وسنري ذلك لاحقا؛وعلي هذا فان السياق هو الذي يكشف عن هذه الاشارات ويبرزها.

---

(١) جواهر البلاغة: ص١٢٩.
(٢) التجريد في علم المعاني: ج٢ ص٨١.
(٣) حاشية الدسوقي على شرح السعد: ج١ ص٣١٨.
(٤) شرح الجوهر المكنون: ص٥٧.

فمن دلالة اسم الإشارة علي التعظيم قوله تعالى: (انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة)؛ ويقول الزمخشري: (وأشار إليها إشارة تعظيم وتقريب دالا علي انها موطن نبيه ومهبط وحيه)[١]، وعلي هذا النهج جاء قوله ﷺوقد قدم من تبوك، واشرف علي المدينة:(**هذه طابة**)[٢]

وفي رواية قال وقد بدأ له احد: (**هذا جبل يحبنا ونحبه**)[٣]

وفي رواية أخرى: (**هذا جبيل يحبنا ونحبه**)[٤]

وفيه تمليح وتعظيم لجبل أحد، ومعناه: (هذا جبل أو جبيل يحبنا أهله ونحبهم)؛ وذلك على سبيل الاستعارة.

ومثله أيضاً ما ذهب إليه الزمخشري في قوله تعالى: (فذاكن الذي لمتنني فيه)[٥]، قال: (ولم يقل فهذا، وهو حاضر رفعاً لمنزلته في الحسن واستحقاق أن يجب ويفتتن به، وربئاً بحاله، واستبعاداً لمحله.)[٦]

وهذا تراه أيضاً في ما ذهب إليه السكاكي في قوله تعالى: (ذلك الكتاب لا ريب فيه)[٧]، قال في المفتاح: (أما البلاغيون فقد التمسوا لإيثار آية البقرة التعبير بـ(ذلك) دون غيرها نكتة أخرى هي تعظيم شأن الكتاب المشار إليه بأن اتخذت الدلالة على البعد الحسي ذريعة إلى الدلالة على بعد منزلته، ورفعة محله.)[٨]

كما جرى الحديث النبوي على نهج القرآن ونسقه في إفادة التعظيم، وسنرى هذا في بعض الأمثلة:

فمن ذلك قوله ﷺ في يوم الجمعة: (**لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا**)[٩]

فاسم الإشارة (هذا) فيه تعظيم ليوم الجمعة عن قرب.

---

(١) الكشاف: ج٣ ص٣٠٦.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل المدينة، وأخرجه مسلم.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، وأخرجه مسلم.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، وأخرجه مسلم.
(٥) سورة يوسف، الآية٣٢.
(٦) الكشاف: ج٢ ص٣٦٤.
(٧) سورة البقرة، الآية ٢.
(٨) المفتاح: ص١٠٤.
(٩) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، وأخرجه مسلم.

ومنه قوله ﷺ في عيد يوم النحر: (**إن أول ما نبدأ في يومنا هذا أن نصلي، ثم نرجع فننحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا**)[١]

ففي قوله: (في يومنا هذا) تعظيم له بالقرب، وفي قوله: (فمن فعل ذلك) تعظيم له بالبعد كما في آية البقرة السابقة.

ومنه قوله ﷺ في قتلى أحد: (أنا شهيد على هؤلاء)، وفي رواية: (**أيّ هؤلاء اكثر أخذاً للقرآن؟...**)[٢]

ومنه قوله ﷺ: (**... أتاني الليلة آت من ربي، وهو بالعقيق أن صل في هذا الوادي المبارك، وقل عمرة وحجة...**)[٣]

ومنه قوله ﷺ في الحسن بن علي: (**أبني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين.**)[٤]

وأما ما جاء في هذا الأسلوب من الشعر، فكقول الفرزدق يفخر بآبائه، ومشيراً إلى علو مكانتهم، ورفعة شأنهم مستعملاً اسم الإشارة:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم *** إذا جمعتنا يا جرير المجامع[٥]

ومعنى هذا كما في شرح السيد على المطول: (أولئك الذين سمعت حالهم من الشرف والجلال آبائي الذين ينتهي إليهم نسبي، فجئني بآباء لك مشابهون لهم، أي بمثل آبائي في رفعة القدر، وعلو المنزلة.)[٦]

وكقول الآخر:

أولئك قوم أن بنوا احسنوا البنا *** وان عاهدوا أو فوا وإن عقدوا شدوا[٧]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العيدين، وأخرجه مسلم.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، وأخرجه الترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجة.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، وأخرجه أبو داود وابن ماجة.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، وأخرجه الترمذي والنسائي وأبو داود.
(٥) البيت من شواهد المفتاح: ص١٨٤.
(٦) فيض الفتاح: ج٢ ص٢٧٨.
(٧) البيت لجرول بن أوس المعروف بالحطيئة.

(فقد أفادت الإشارة (أولئك) تعظيم المشار إليهم، وبعد مكانتهم، وعلو مجدهم، ولكن يؤخذ على الشاعر استخدامه (إن) دون (إذا)، فقلل بهذا بناء المجـــد و العهـــد والعقد، ولو استخدم (إذا)؛ لكان ابلغ و أوفى للمدح.)[1]

(١) علم المعاني: ج١ ص١٢٨.

٥- إفادة التحقير والإهانة باسم الإشارة

إن اسم الإشارة كما يستعمل لقصد التعظيم والتفخيم فهو يستعمل أيضاً لقصد التحقير و الإهانة، فتارة يكون باستعمال اسم الإشارة القريب، وتارة يكون بالبعيد، والواقع أن السياق هو الذي يقرر ذلك، وهذا الذي ذكرناه جاء في قول الناظم:[١]

أو لبيان حاله من قرب *** أو بعد أو تحقيره بالقرب

أي أن الإشارة أفادت حال المشار إليه من قرب أو بعد؛ وذلك لمطابقتها لمقتضى الحال لغرض يقصده البليغ على ما جاء في حاشية الدسوقي على شرح المختصر: (أي انه يؤتى بالمسند إليه اسم إشارة قصداً لتحقير معناه؛ بسبب دلالته على القرب، ووجه ذلك أن القرب من لوازمه الحقارة، يقال: هذا أمر قريب، أي هيّن سهل التناول، وما كان كذلك يلزمه أن يكون حقيراً.)[٢]،ثم يتابع صاحب حاشية الدسوقي قوله عن التحقير بالبعد فيقول: (أي يؤتى بالمسند إليه اسم إشارة أيضاً قصداً لتحقير معناه، بسبب الدلالة على البعد نظراً إلى أن البعيد شأنه عدم الالتفات إليه، لعدم مخالطته للنفس.)[٣]

وقد أتى على ذلك بآيات من القرآن الكريم هي من شواهد البلاغيين.

من ذلك تأمل قوله تعالى حكاية عن أبي جهل مشيراً إلى النبي ﷺ قاصداً إهانته: (وإذا رآك الذين كفروا أن يتخذونك إلا هزواً أهذا الذي يذكر الهتكم؟)[٤]

ومعنى الآية كما قال في شرح التقرير: (ففي الإتيان باسم الإشارة الموضوع للقريب ما يشير إلى أن هذا الشخص القريب منا، والذي نعلم من أمره ما نعلم لا تقبل منه دعوى الرسالة، ولا يليق به أن يذكر آلهتنا بسوء)[٥].ومثله قوله تعالى: (وإذا رأوك أن يتخذونك إلا هزوا، أهذا الذي بعث الله رسولاً)[٦]، فالآية تحمل نفس

---

(١) شرح عقود الجمان: ص١٧.
(٢) حاشية الدسوقي على شرح السعد: ج١ ص٣١٦.
(٣) حاشية الدسوقي على شرح السعد: ج١ ص٣١٧.
(٤) سورة الأنبياء، الآية ٣٦.
(٥) تقرير الأنبابي على السعد: ج٢ ص٨٠.
(٦) سورة الفرقان، الآية ٤١.

المعنى السابق.

وعلى هذا النسق القرآني جاء قوله ﷺ لمسيلمة الكذاب الذي طلب من النبي ﷺ أن يجعل له أمر الأمة بعد وفاته، وكان النبي ﷺ يحمل في يده قضيب: (**لو سألتني هذا القضيب ما أعطيتكه...**)[١]

وفي رواية أخرى، قال النبي ﷺ: (**لو سألتني هذه القطعة ما اعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله.**)[٢]

فالإشارة في قوله: (هذا القضيب)، أو (هذه القطعة)؛ لأجل تحقير مسيلمة الكذاب بالقرب، أي استحقاراً واستخفافاً واسترذالاً واستهانة بما طلبه مسيلمة، و إعلاناً عن رفضه لما طلبه، وأنه لا يليق به أن يذكر ذلك.

وعلى هذا المنوال تأمل قول الزمخشري، وهو يشير إلى دلالة اسم الإشارة على التحقير والإهانة من خلال قوله تعالى: (ماذا أراد الله بهذا مثلاً)[٣]، (يقول استرذال واستحقار، كما قالت عائشة رضي الله عنها في عبد الله بن عمرو بن العاص: يا عجباً لابن عمرو هذا.)[٤]

ولقول السيدة عائشة معنى آخر، ولكنه يحمل معنى الاستخفاف بما ذهب إليه ابن عمرو، أي أنها: (تريد بهذا تخطئته في فتواه بنقض النساء ذوائبهنّ في الاغتسال.)[٥]

ومن أمثلة تحقير المشار إليه بالبعد قوله ﷺ، وقد استهان واستخف بأمر الدجال: (**هو أهون على الله من ذلك.**)[٦]

وفي استعماله لاسم الإشارة (ذلك) ما لا يخفي عليك من تحقير وإهانة لخوارق العادات التي يأتي بها الدجال، فهي لا تساوي شيئاً بجانب قدرة الله تعالى.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، وأخرجه مسلم.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، وأخرجه مسلم.
(٣) سورة البقرة، الآية ٢٦.
(٤) الكشاف: ج١ ص٨٨.
(٥) بغية الإيضاح: ج١ ص٩٢.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، وأخرجه مسلم.

وقريب من هذا قوله ﷺ في رجل نام ليله حتى اصبح: (**ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه**)[١]، فقد دلت الإشارة بـ(ذلك) على حرمانه من ساحة القرب، وشرف الحضور؛ لأن الشيطان قد تمكن من نفسه، فعقد على ناصيته فأضاع عليه صلاة الصبح.

وعلى هذا أيضاً تأمل لطافة السر البلاغي في حديثه ﷺ الذي جمع فيه دلالة الإشارة على التعظيم والتحقير معاً وهو يحكي عن المفاضلة في الزواج بين الغني والفقير: (**مرّ رجل على رسول الله ﷺ، فقال: ما تقولون في هذا؟، قالوا: حرئ أن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، وإن قال أن يسمع له قال: ثم سكت، فمرّ رجل من فقراء المسلمين، فقال: ما تقولون في هذا؟، قالوا: حرئ إن خطب ألا ينكح وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال ألا يسمع له، فقال رسول الله ﷺ: هذا خير من ملء الأرض مثل هذا**)[٢]

فقد كانت إجابتهم على قوله في الإشارة الأولى: (ما تقولون في هذا؟) أنهم يعظمونه ويقدرونه لغناه وكانت أجابتهم على قوله في الإشارة الثانية: (ما تقولون في هذا) انهم يحقرونه ويستهينون به لفقره.

فالحديث: (فيه حث على عدم الاستهانة بالفقراء والمستورين، فرب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره، وهو خير من ملء الأرض من الأثرياء.)[٣]

ومما جاء في هذا الأسلوب من الشعر، فكقول الشاعر:[٤]

تقول وقد دقت نحرها بيمينها *** أبعلي هذا بالرحا المتقاعس[٥]

فقلت لها: لا تعجبي وتبيني *** بلائي إذا التفّت عليّ الفوارس

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، وأخرجه مسلم.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، وأخرجه ابن ماجة.

(٣) من بلاغة الحديث النبوي: ج٣ ص٩٦.

(٤) هو الهزلول بن كعب العنبري، ويقال له الذهلول أيضاً، وقيل لغيره، وكانت امرأته رأته يطحن بالرحا لأضيافه فأنكرت عليه ذلك، وأنظر بغية الإيضاح: ج١ ص٩٢.

(٥) والمتقاس الذي يدخل ظهره ويخرج صدره ضد الأحدب، والشاهد فيه: أن اسم الإشارة مسند لا مسند إليه، وأنظر بغية الإيضاح: ج١ ص٩٢.

(ففي إشارتها إليه بالقريب (هذا) معاني الاستخفاف والتحقير ودنو المنزلـــة، ولذا ردّ عليها مبيناً منزلته في ميدان القتال وبلاءه عند الموقف الصعب.)[1]

[1] علم المعاني: ج١ ص١٢٦.

الفصل الرابع

أسرار التعبير بـ (أل) و الإضافة

ويحتوي على المباحث الآتية:

١- دواعي التعبير بـــ (أل) العهدية.
٢- دواعي التعبير بـــ (أل) الجنسية.
٣- تكرار الاسم مرتين معرفاً بـــ (أل).
٤- دواعي التعبير بالإضافة.

المبحث الأول

دواعي التعبير بـ (أل) العهدية

ويحتوي على المطالب الآتية:

١- الإشارة إلى معهود صريح.

٢- الإشارة إلى معهود كنائي.

٣- الدلالة على العلم والحضور.

١- الإشارة إلى معهود صريح

المعهود الصريح هو ما تقدم فيه ذكر للمعرف بـــ(أل) صراحة: (فالعهد المفاد باللام يكون لتقديم المشار إليه صريحاً.)[١]

أي أن يشار به إلى معهود، قال في الإيضاح: (للإشارة إلى معهود بينك وبين مخاطب كما إذا قال لك قائل: جاءني رجل، فتقول: ما فعل الرجل؟)[٢]

ومما جاء في النظم:[٣]

ثم بـــ(أل) إشارة لما عهد *** أو لحقيقة وربما ترد

إذن اللام في الرجل تسمى لام العهـــد الخـــارجي الصـــريحي، أو لام العهـــد الذكرى؛ لتقدم ذكره، فرجل الأولى نكرة، والثانية معرفة كاملة المعهودية.

ومنه قوله تعالى: (كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول)[٤]

فرسول الأولى نكرة، والثانية معرفة؛ ومثله قوله تعالى: (كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري)[٥]

وتأمل في ذلك عبارات (مصباح المصباح) و (زجاجة الزجاجـــة) تـــرى مـــا أشرنا إليه فيما سبق.

وعلى هذا النهج وردت أحاديث كثيرة تشير إلى ذلك مثل قوله ﷺ: (**إن رجلاً رأى كلباً يأكل الثرى من العطش فأخذ الرجل خفه فجعل يغرف له به حتى أرواه**).[٦]

وكقوله ﷺ: (**لا يزال العبد في صلاة ما كان في المسجد ينتظر الصلاة مـــالم يحدث**)[٧]

وقوله ﷺ: (**إن أحدكم في صلاة مادامت الصلاة تحبسه**)[٨]

---

(١) مواهب الفتاح: ج١ ص٣٢٠.
(٢) الايضاح: ج١ ص٣٢٠.
(٣) شرح عقود الجمان: ص١٨.
(٤) سورة المزمل، الآية ١٦.
(٥) سورة النور، الآية ٣٥.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، وأخرجه مسلم.
(٧) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، وأخرجه مسلم.
(٨) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، وأخرجه مسلم.

وقوله ﷺ: **(إذا وضع عشاء أحدكم واقيمت الصلاة فابدؤا بالعشاء)**[١]

وقوله ﷺ:**(فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه)**[٢]

فأنت ترى في كل كلمة من الكلمات الواردة في الأحاديث السابقة: (رجل – صلاة – عشاء – ضلع)، واشباهها قد ذكرت مرتين أولاً هما بغير (أل)، فبقيت على تنكيرها.

أما في المرة الثانية فمقرونة بـ(أل) العهدية التي وظيفتها الربط بين النكرتين ربطاً معنوياً؛ يجعل معنى الثانية فرداً محدوداً محصوراً فيما دخلت عليه وحده، والذي معناه ومدلوله هو النكرة السابقة ذاتها.

وهذا التحديد، والحصر هو الذي جعل الثانية معرفة؛ لأنها صارت معهودة عهداً ذكرياً، أي معلومة المراد والدلالة؛ بسبب ذكر لفظها في الكلام السابق ذكراً أدى إلى تعيين الغرض وتحديده بعد ذلك، وإن المراد في الثانية فرد معين هو السابق.

هذا ما ذهب إليه الزركشي عند ما تحدث عن تكرار الاسم مرتين، فقال: (إن كان الاسم الأول نكرة، والاسم الثاني معرفة، فالاسم الثاني هو الاسم الأول حملاً على العهد.)[٣]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الآذان، وأخرجه مسلم.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، وأخرجه مسلم.
(٣) البرهان: ج٢ ص٩٩.

٢- الإشارة إلى معهود كنائي

المعهود الكنائي هو ما تقدم فيه ذكر للمعرف بـ(أل) ضمناً لا صراحة، قال في التجريد: (والمراد بالكناية ما يقابل الصريح لا المعنى المصطلح عليه)[١].

أي عند البلاغيين، وإنما يقصد المعنى عند اللغويين، وفي حاشية الدسوقي على شرح السعد: (إن المراد الكناية بالمعنى للغوي وهو الخفاء.)[٢]

فالعهد المفاد باللام هنا يكون لتقديم المشار إليه تلويحاً، وتعرف اللام في هذا العهد بلام العهد الكنائي: (وهي ما يتقدم ذكرها كناية، أي مبهماً تعينه القرائن.)[٣]

والبلاغيون يمثلون لهذا النوع من العهد بنحو قوله تعالى: (رب أني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى)[٤].

وقد فسر ذلك صاحب المختصر على شرح السعد بقوله: (أي ليس الذكر الذي طلبت امرأة عمران كالأنثى التي وهبت لها، فالأنثى أشارة إلى ما سبق ذكره صريحاً في قوله تعال: (قالت رب أني وضعتها أنثى)، لكنه ليس بمسند إليه، والذكر إشارة إلى ماسبق ذكره في كناية قوله تعالى: (رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً)، فإن لفظ (ما)، وإن كان يعم الذكور والإناث لكن التحرير، وهو أن يعتق الولد لخدمة بيت المقدس إنما كان للذكور دون الإناث، وهو مسند إليه، وقد يستغني عن ذكره لتقدم علم المخاطب به، نحو: خرج الأمير، إذا لم يكن في البلد إلا أمير واحد.)[٥]

كما يورد الحديث النبوي على هذا أمثلة متعددة فمن ذلك تأمل قوله ﷺ: **(أني أعطي رجالاً حديث عهدهم بكفر، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال، وترجعون إلى رحالكم برسول الله ﷺ)**[٦]

---

(١) التجريد في علم المعاني: ج٢ ص٨٦.
(٢) حاشية الدسوقي على شرح السعد: ج١ ص٣٢٢.
(٣) علوم البلاغة: ص١١٨.
(٤) سورة آل عمران: الآية ٣٦،٣٧.
(٥) مختصر التفتازاني: ج٢ ص٨٩.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس، وأخرجه مسلم.

فقد وردت كلمة الناس مرة واحدة، ووردت معرفة كذلك مع أنه لم يسبق لهـا ذكر صريح من قبل، ولكنك إذا نظرت في الحديث مرة أخرى تجد أنه وإن لم يـذكر الناس صراحة لكنه ذكر بما يدل عليهم، فإن قوله ﷺ: (أني أعطـي رجـالاً حـديث عهدهم بكفر) دل على أن هؤلاء الرجال هم الناس.

وقريب من هذا قوله ﷺ: **(لا نورث ما تركنا صدقة إنما يأكل آل محمد فـي هذا المال)**[1]

فالمال ورد معرفة، ولم يسبق له ذكر صراحة، إنما هو كناية عـن الصـدقة المذكورة في الحديث.

ومثله قوله ﷺ :**(هما من طعام الجن وإنه أتاني وفد جن نصبيين ونعم الجن فسألوني الزاد فدعوت الله لهم)**[2]

فالزاد ورد معرفة ولم يسبق له ذكر صراحة أيضاً، وإنما هو كناية عن الطعام الذي سبق ذكره في الحديث وأشباه هذا في الحديث النبوي كثير.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، وأخرجه مسلم.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، وأخرجه النسائي، وأبو داود، وابن ماجة.

٣- الدلالة على العلم والحضور

وتأتي (أل) العهدية لتفيد النكرة علماً سابقاً، ومعرفة قديمة في عهد مضى قبل النطق، فتصبح بذلك معلومة ومشهورة وحاضرة أمام المخاطب.

بمعنى أن لام العهد هنا تجعل مدلول النكرة معلوماً للمخاطبين؛ وسبب هذا العلم أحد أمرين:

أحدهما حضوره بذاته؛ وثانيهما تقديم معرفته، قال في شرح المطول: (وقد يستغني عن تقدم ذكره لعلم المخاطب به، أي بالمعهود الخارجي لشهرته وتقريره في الأذهان بالقرائن، نحو: خرج الأمير، إذا لم يكن في البلد إلا أمير واحد، أي مشهور.)[١]

وعلى هذا فإن لام العهد هنا تعرف بلام العهد العلمي أو لام العهد الحضوري، وهي على خلاف سابقتيها: (لأن المعرف بها لم يسبق له ذكر البتة لا صراحة ولا كناية، ولكنك تدرك المقصود من نطق المتكلم.)[٢]

وذلك كما في قوله تعالى: (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة)[٣]، (فاللام في الشجرة للعهد الخارجي العلمي حيث لم يتقدم لمدخولها ذكر لا صريحاً ولا كنائياً.)[٤]

أو كنحو قوله تعالى: (إذهما في الغار)، (أي الشجرة والغار المعهودين لك، كما تشير إلى حاضر، وتقول: هذا الخطيب تكلم فاحسن الكلام)[٥].

أو كقوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم)، (أو بمعرفة السامع له، نحو: هل انعقد المجلس؟)[٦].

---

(١) خلاصة المعاني: ص١٥٢.
(٢) البلاغة فنونها وأفنانها: ص٢٤٠.
(٣) سورة الفتح: الآية ١٨.
(٤) علم المعاني: ج١ ص١٣١.
(٥) علوم البلاغة: ص١١٨.
(٦) جواهر البلاغة: ص١٣٣.

وامثلة ذلك في الحديث النبوي قوله ﷺ في الحيض: (**فإن ذلك شيء كتبه الله على بنات آدم، فأفعلي ما يفعل الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت حتى تطهري**)[١].

فلا شك أن (الحاج) معهود، وكذل (البيت) مقصود به بيت الله الحرام، فاذا تأملت ذلك، فإنك ترى أن (أل) هي التي توجه الذهن إلى المطلوب في هذا الحديث.

ومثله أيضاً قوله ﷺ: (**إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة**)[٢]، فـ(أل) التي في (القبلة) هي التي أشارت إلى قبلة معهودة وحاضرة في ذهن جميع المتخاطبين تلك هي القبلة التي يقصدها المسلمون في وقت الصلاة.

وعلى ذلك يمكن أن تتعرف على دلالة لام العهد العلمي أو الحضوري في الأحاديث النبوية التالية:

كقوله ﷺ: (**إذا سمعتم النداء، فقولوا مثل ما يقول المؤذن**)[٣]

وقوله: (**إن عفريتاً من الجن تفلت عليّ البارحة ليقطع عليّ الصلاة**)[٤]

وحديث ابن عباس قال: ضمني رسول الله ﷺ، وقال: (**اللهم علمه الكتاب**)[٥]

ومما لاشك فيه أنك ترى لام العهد الحضوري في قوله: (النداء، والمؤذن، والبارحة، والكتاب) وأشباهها كثير في الحديث النبوي.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحيض، وأخرجه مسلم.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، وأخرجه مسلم.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الآذان، وأخرجه مسلم.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، وأخرجه مسلم.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب العلم، وأخرجه مسلم.

المبحث الثاني

دواعي التعبير بـ(أل) الجنسية

ويحتوي على المطالب الآتية:

١- الإشارة إلى الجنس دون النظر للأفراد.

٢- الإشارة إلى فرد مبهم.

٣- الإشارة إلى المبالغة في الخبر.

٤- الإشارة إلى الاستغراق في الجنس.

١- الإشارة إلى الجنس دون النظر للأفراد

إن الجنس هنا يراد منه حقيقته القائمة في الذهن، ومادته التي تكون منها في العقل بغير نظر إلى ما ينطبق عليه من أفراد قليلة أو كثيرة.

أي: (أن يراد نفس الحقيقة، كقولك: الرجل خير من المرأة أي حقيقة الرجل من حيث هي هي، فلا يدل هذا حينئذ على وحدة، ولا تعدد.)[١].

ومنه قول الزركشي: (المراد بالحقيقة ثبوت الحقيقة الكلية الموجودة في الخارج، لا الشاملة لأفراد الجنس، نحو: الرجل خير من المرأة، ولا يريدون امرأة بعينها، وإنما المراد: هذا الجنس خير من ذلك الجنس من حيث هو، وإن كان يتفق في بعض أفراد النساء من هو خير من بعض أفراد الرجال؛ بسبب عوارض.)[٢]

أما اللام المفادة بالحقيقة هنا دون النظر إلى الأفراد، فهي لام الحقيقة، وقد تسمى لام الجنس أيضاً: (وهي ما يشار بها إلى الحقيقة بقطع النظر عن عمومها وخصوصها، وتسمى لام الجنس، كقولهم: اهلك الناس الدينار والدرهم وشربت الماء.)[٣]

ومثل هذا جاء كثيراً في نظم القرآن الكريم، كقوله تعالى: (وجعلنا من الماء كل شيء حي)[٤]، قال في المفتاح : (أي جعلنا مبدأ كل شيء حي هذا الجنس الذي هو جنس الماء.)[٥]

ومثل هذا تراه في قوله ﷺ لامرأة تحيض في ثوبها، كيف تصنع، فقال: **(تحتّه ثم تقرضه بالماء وتنضحه.)**[٦]

ومنه قوله ﷺ: **(إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله.)**[٧]

---

(١) عروس الأفراح: ج١ ص٣٢٣، ٣٢٤.
(٢) البرهان:ج٤ ص٨٨.
(٣) علوم البلاغة: ص١١٩.
(٤) سورة الأنبياء، الآية ٣٠.
(٥) المفتاح: ص١٨٥.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، وأخرجه مسلم.
(٧) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، وأخرجه مسلم.

وقوله ﷺ: **(إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً)**[١]

وقوله: **(لا يصلي أحدكم في الثوب الواحد ليس على عاتقه شيء.)**[٢]

وقوله: **(إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها.)**[٣]

وقوله: **(فمن لم يجد النعلين فليلبس الخفين.)**[٤]

فإذا تأملت في العبارات الواردة في الأحاديث السابقة وهي: (الماء، والشمس، والقمر، والكلب، والثوب، والشجرة) وأشباهها كثير أستطعت أن تدرك مدلول اللام الداخلة عليها من حيث الحقيقة والجنسية دون النظر إلى أفرادها وتعددها، أو عمومها وخصوصها على قرار ما ذهب إليه البلاغيون.

وعلى مثل هذا من الشعر تأمل مقام التعريف بالجنسية في قول أبي العلاء المعري:

والخل كالماء يبدى لي ضمائره *** مع الصفاء ويخفيها مع الكدر[٥]

والخل هو الصديق، أي: (وليس الحكم هنا على خل معهود، وإنما هو على جنس الخل.)[٦]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، وأخرجه مسلم.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، وأخرجه مسلم.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، وأخرجه مسلم.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، وأخرجه مسلم.

(٥) البيت من شواهد البلاغيين، وأنظر المفتاح: ص١٨٥، والإيضاح: ص٣٢٣.

(٦) بغية الإيضاح: ج١ ص٩٤.

٢- الإشارة إلى فرد مبهم

إن لام الجنس المفادة بهذا الغرض لا يقصد بها نفس الحقيقة كما جاء في سابقه، وإنما يقصد بها فرد غير معين من أفراد الجنس.

أي: (للإشارة إلى الحقيقة في ضمن فرد مبهم، إذا قامت القرينة على ذلك.)[١]

كقولك: (أدخل السوق)، وليس بينك وبين مخاطبك سوق معهودة: (بل من حيث الوجود لا من حيث وجودها – أي اللام– في ضمن جميع الأفراد بل بعضها، أي إطلاق المعرف بلام الحقيقة على فرد ما، أي: مبهم من أفراد تلك الحقيقة.)[٢]

وقد جاء هذا في قول الناظم:[٣]

أو احد لعهـــــده في الذهن *** نحو ادخل السوق ولا عهد عني

كالنكرة معنى، ولا أفراد تعم *** حقيقة كعالم الغيب قـــــدم

(وهذا المعرف بلام الحقيقة الآتي لواحد من الأفراد كالنكرة في المعنى، أي بعد إعتبار القرينة، وإن كان في اللفظ يجري عليه أحكام المعارف من حيث وقوعه مبتدأ نحو: السوق قائمة؛ ووصفاً للمعرفة نحو: زيد اللئيم؛ وموصوفاً بها نحو: أدخل السوق القائمة، وغير ذلك)[٤]

ومثله من القرآن الكريم قوله تعالى: (وأخاف أن يأكله الذئب)[٥]

(فليس المراد بالذئب ذئباً معيناً، ولا حقيقة الجنس من حيث هي، بل المراد به فرد مبهم من أفراد هذا الجنس؛ ولذلك كان في حكم النكرة)[٦]،وهذا هو معنى قول الناظم: (كالنكرة معنى)، ومثل هذا أيضاً يرد في الحديث النبوي من ذلك:

قوله ﷺ: **(إذا دعي أحدكم إلى الوليمة فليأته)**[٧]

---

(١) **جواهر البلاغة: ص١٣٣.**

(٢) **شرح المطول: على حواشي شرح تلخيص المفتاح، تأليف: عبد الرحمن الشربيني- (ط١ مطبعة مدرسة والدة عباس الأول- القاهرة: سنة: ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م)، ج٢ ص٢٩٥.**

(٣) **شرح عقود الجمان: ص١٨.**

(٤) **شرح الجوهر المكنون: ص٥٩.**

(٥) **سورة يوسف، الآية ١٣.**

(٦) **مواهب الفتاح: ج١ ص٣٢٦.**

(٧) **أخرجه البخاري في كتاب النكاح، وأخرجه مسلم.**

فإن (أل) في الوليمة لا تدل على الجنس والحقيقة، إذ لا يعقل ذلك، كما أنها لا تدل على وليمة معينة، وإنما تدل على وليمة ما من ولائم الأعراس.

ومن هذا القبيل أيضاً قوله ﷺ:(**البزاق في المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها**)[١]

فـ(أل) التي في المسجد لا تعني مسجداً معيناً، وإنما تعني أي مسجد فرد من أفراد المساجد التي تقام فيها الصلاة.

ومثل هذا تراه كذلك في قوله ﷺ: (**إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة.**)[٢].

فالنبي ﷺ لا يعني بيتاً معيناً، وإنما أي بيت فرد من البيوت المعدة للسكن ثبت له هذا الوصف.

وعلى هذا يمكن أن ترى دلالة اللام على الفرد المبهم في كثير من الأحاديث النبوية التي تأتي على هذا النمط، فمن ذ لك تأمل العبارات في الأحاديث الآتية:

قوله ﷺ: (**إذا انفق الرجل على أهله يحتسبها، فهو له صدقة.**)[٣]

وقوله ﷺ: (**ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح، أو يترك.**)[٤]

وقوله : (**أني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يكبه الله في النار.**)[٥]

وقوله: (أن الشهر يكون تسعة وعشرين يوم)[٦]

والكلام على (أل) الجنسية الواردة في (الرجل، والشهر) في هذه الأحاديث كالكلام على الأحاديث التي قبلها، أي من ذلك النمط المشار إليه سابقاً.

وأما ما جاء من ذلك شعراً فكقول الشاعر:

ولقد أمر على اللئيم يسبني *** فمضيت ثمت قلت: لا يعنيني[٧]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، وأخرجه أحمد.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، وأخرجه مسلم.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، وأخرجه مسلم.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، وأخرجه مسلم.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، وأخرجه مسلم.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، وأخرجه مسلم.
(٧) البيت لعمير بن جابر الحنفي، وهو من شواهد البلاغيين، وأنظر المفتاح: ص١٨٥، وشروح التلخيص: ج١ ص٣٢٥.

(والشاهد في لام اللئيم؛ لأن المراد منه واحد غير معين)[١]

ومثله قول الآخر:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته *** وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا[٢]

(والشاهد في لفظي الكريم واللئيم في البيت، المراد بالأول فرد من أفراد حقيقة الكرام، وبالثاني فرد من أفراد حقيقة اللئام.)[٣]

(١) بغية الإيضاح: ج١ ص٩٥.
(٢) البيت لأبي الطيب المتنبي في ديوانه: ج١ ص٢٨٨.
(٣) علم المعاني: ج١ ص١٣٣.

٣- الإشارة إلى المبالغة في الخبر

وإلى جانب الجنس الذي يستفاد من التعريف بـ(أل) الجنسية، فإن هناك صور أخرى أبرزها أنها تضفي على المعنى لوناً من المجاز والمبالغة، كالكمال في الصفة، أو معنى العهد، أو معنى القصر والتخصيص.

يقول عبد القاهر: (واعلم أنك تجد الألف واللام في الخبر على معنى الجنس، ثم ترى له في ذلك وجوهاً أحدها أن تقصر جنس المعنى على المخبر عنه؛ لقصدك المبالغة، وذلك قولك: زيد هو الجواد، وعمرو هو الشجاع؛ تريد أنه الكامل إلا أنك تخرج الكلام في صورة توهم أن الجود، أو الشجاعة لم توجد إلا فيه؛ وذلك لانك لم تعتد بما كان من غيره؛ لقصوره عن أن يبلغ الكمال.)[١]

يعني أن لام الجنس هنا تفيد الاحاطة والشمول، وذلك على سبيل المجاز والمبالغة، لا على سبيل الحقيقة، نحو: أنت الرجل علماً؛ تريد أنت كل الرجال مجتمعين من ناحية العلم.

أو على نحو قول الزركشي: (زيد الرجل، أي الكامل في الرجولية، وجعل سيبويه صفات الله تعالى كلها من ذلك.)[٢]، كقولك هو الغفور الودود.

(أو إدعاء للتنبيه على كمال ذلك الجنس في المسند إليه، نحو: محمد العالم، أي الكامل في العلم، أو كماله في المسند، نحو: الكرم التقوى، أي لا كرم إلا هي.)[٣]

وهذا يرد كثيراً في الحديث النبوي، من ذلك مثلاً تأمل الأحاديث الآتية:

قال ﷺ: **(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.)**[٤]

قال في عمدة القارئ: (قوله: المسلم من سلم إلى آخره يدل على الحصر؛ لوقوع؛ جزئي الجملة معرفتين، ولكن هذا من قبيل قولهم: زيد الرجل، أي زيد الكامل في الرجولية، فيكون التقدير: المسلم الكامل من سلم إلى آخره، وقال القاضي عياض

---

(١) دلائل الإعجاز: ص١٧٩.
(٢) البرهان: ج٤ ص٨٨.
(٣) جواهر البلاغة: ص١٣٥.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، وأخرجه مسلم.

وغيره: المراد الكامل الاسلام، والجامع لخصاله مالم يؤذ مسلماً بقول ولا فعل، وهذا من جامع كلامه عليه الصلاة و السلام، وفصيحة كما يقال: المال الابل، والناس العرب، على التفضيل لا على الحصر.)[١]

ومثلها أيضاً قوله ﷺ **(والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه.)**[٢]

أي كما جاء في عمدة القارئ: (المهاجر الممدوح هو الذي جمع إلى هجران وطنه هجر ما حرم الله تعالى عليه)[٣]

ومنه كذلك قوله ﷺ: في أهل الكتاب: (**أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً)**[٤]

والشاهد في الحديث هنا: (العبد الصالح والرجل الصالح)

يقول البدر العيني: (هذا الحصر يفيد حصر المبتدأ على الخبر، ويفيد حصر الخبر على المبتدأ، وهو نظير قولك: الضاحك الكاتب؛ فإن معناه حصر الضاحك على الكاتب، وحصر الكاتب على الضاحك.)[٥]

وقس على هذا ما ورد في الأحاديث الآتية:

قوله ﷺ: (**سبحان الله إن المسلم لا ينجس.)**[٦]

وقوله: (**آية المنافق ثلاث إذا حدّث كذب ...)**[٧]

وقوله: (**سبحان الله إن المؤمن لا ينجس)**[٨]

فقوله: (المسلم، والمنافق، والمؤمن) التي وردت في الأحاديث السابقة من هذا القبيل الذي أشرنا إليه آنفاً.

---

(١) عمدة القارئ: ج١ ص١٣٢.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، وأخرجه مسلم.
(٣) عمدة القارئ: ج١ ص١٣٢.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، وأخرجه مسلم.
(٥) عمدة القارئ: ج١ ص١٥٢.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب الغسل، وأخرجه مسلم.
(٧) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، وأخرجه مسلم.
(٨) أخرجه البخاري في كتاب الغسل، وأخرجه مسلم.

وأما ما جاء من ذلك شعراً، فكقول الشاعر:

هو الواهب المئة المصطفاة *** إما مخاضاً، وإما عشارا[١]

يقول عبد القاهر: (ألا ترى أن المعنى في بيت الأعشى أنه لا يهب هذه الهبة إلا الممدوح، أي هو الكامل في هذه الصفة)[٢]

وعلى قراره تأمل قول الآخر:

هو الرجل المشروك في جل ماله *** ولكنه بالمجد والحمد مفرد[٣]

---

(١) البيت للأعشى ميمون بن قيس من شواهد دلائل الإعجاز: ص١٨٠.

(٢) دلائل الإعجاز: ص١٨٠.

(٣) البيت لابن الرومي في دلائل الإعجاز: ص١٨٣.

٤- الإشارة إلى الاستغراق في الجنس

أما لام الجنس المفادة بهذا الغرض فتعرف بلام الاستغراق، وقد سميت بذلك، لاستيعابها جميع الأفراد.

(وتعرف بأنها التي إذا نزعت حسن أن يخلفها كل، وتفيد معناها الذي وضعت له حقيقة، ويلزم من ذلك الدلالة على شمول الأفراد، وهي الاستغراقية.)[١]

أي أن لام الاستغراق هي التي تفيد الإحاطة والشمول إحاطة حقيقية لا مجازفيها ولا مبالغة، ولكن عند قيام القرينة الدالة على ذلك.

(أي بأن تقوم قرينة على أنه ليس القصد الحقيقة من حيث هي، ولا بعض الأفراد دون بعض، فتكون اللام لاستغراق جميع الأفراد، ولهذا تسمى لام الاستغراق.)[٢]

وحكم ما تدخل عليه (أل) من هذا النوع أن يكون لفظه معرفة؛ تجري عليه أحكام المعرفة، فيكون مبتدأ، ويكون نعتاً للمعرفة، ويكون صاحب حال، وغير ذلك مما يغلب عليه أن يكون معرفة لا نكرة، ولكن يكون معناه معنى النكرة المسبوقة بكلمة (كل)، فيشمل كل فرد من أفراد مدلولها، فلا يتغير المعنى، نحو: (النهر عذب)، أي: كل نهر عذب، ونحو: (النبات حي)، أي: كل نبات حي.

ومثل هذا تراه في أحاديث نبوية كثيرة منها:

قوله ﷺ: (**خمس صلوات في اليوم والليلة**)[٣]

فقوله: (في اليوم والليلة) على تقدير: في كل يوم، وفي كل ليلة.

ومثله قوله ﷺ: (**في الجمعة ساعة**)[٤]، أي في كل جمعة ساعة يجاب فيها الدعاء.

ومنه قوله ﷺ:(**مثل البخيل والمنفق، كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد**)[٥]

---

(١) البرهان: ج٤ ص٧٩.
(٢) بغية الإيضاح: ج١ ص٩٦.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، وأخرجه مسلم.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، وأخرجه مسلم.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، وأخرجه مسلم.

أي مثل كل بخيل، وكل منفق.

وقريب من هذا قوله ﷺ: (**الملائكة يتعاقبون، ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر، وصلاة العصر**)[١]

أي ملائكة بكل ليل، وملائكة بكل نهار، ويجتمعون في صلاة كل فجر، وفي صلاة كل عصر.

وقل مثل ذلك قوله ﷺ: (**إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة يكتبون الأول فالأول.**)[٢]

أقسام الاستغراق:

يقسم البلاغيون الاستغراق إلى قسمين، كقول صاحب الإيضاح:(والاستغراق ضربان حقيقي، كقوله تعالى: (عالم الغيب والشهادة)[٣]، أي كل غيب، وكل شهادة، وعرفي، كقولنا: جمع الأمير الصاغة ، إذا جمع صاغة بلده، أو أطراف مملكته فحسب، لا صاغة الدنيا.)[٤]

وقد جاء هذا التقسيم في قول الناظم:[٥]

وكونه في النحو علم *** لكن الاستغراق فيه ينقسم

إلى حقيقي وعرفي وفي *** فرد من الجمع أعم فاقتفي

القسم الأول الاستغراق الحقيقي:

ويفاد الاستغراق الحقيقي بلام الاستغراق الحقيقي في ضمن جميع الافراد التي يتناولها اللفظ بحسب اللغة: (إنما اقتصر على اللغة؛ لانها الاصل.)[٦]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، وأخرجه مسلم.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، وأخرجه مسلم.
(٣) سورة التوبة، الآية ٩٤.
(٤) الإيضاح: ج١ ص٣٣١.
(٥) شرح الجوهر المكنون: ص٥٨.
(٦) التجريد في علم المعاني: ج٢ ص١٠٤.

ودليل الاستغراق والشمول: (أما بمعونة قرينة حالية، نحو: عالم الغيب والشهادة، أي كل غائب وشاهد، أو بمعونة قرينة لفظية، نحو: أن الإنسان لفي خسر، أي كل إنسان بدليل الاستثناء بعده.)[١]

وبمعنى آخر أن الاستغراق الحقيقي: (يظهر أثره في صحة الاستثناء منه، مع كونه بلفظ المفرد)[٢]، كنحو قوله تعالى: (إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا)[٣]

(فاللام في الإنسان للاستغراق الحقيقي لجميع أفراد جنسه؛ ولذا استثنى الذين أمنوا، فهم ليسوا في خسران)[٤]

وفي هذا أيضاً ما ذهب إليه الزركشي بقوله: (أن المفرد المحلي بالالف و اللام لا يعم، ولنا الاستثناء في قوله تعالى: (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء)[٥]، إذ الألف واللام في الطفل من هذا القبيل بدليل قوله: الذين لم يظهروا، بصيغة الجمع، والدليل على ذلك ما حكاه الزركشي في قوله: يقال فلان يركب الخيل، ويلبس البرود، وماله إلا فرس واحد، وبرد فرد.)[٦]

وهذا التعبير تجده كثيراً في الحديث النبوي، فمن ذلك مثلاً تأمل دلالة لام الاستغراق الحقيقي في الأحاديث الآتية:

قوله ﷺ: **(لا تبعيوا الذهب بالذهب إلا سواء بسواء، والفضة بالفضة إلا سواء بسواء)**[٧]

وقوله ﷺ: **(ولا تبيعوا الورق بالورق إلا مثلاً بمثل)**[٨]

وقوله ﷺ: **(والبر بالبر رباً إلا هاءَ و هاءَ، والتمر بالتمر رباً إلا هاءَ وهاءَ، والشعير بالشعير رباً إلا هاء وهاءَ)**[٩]

---

(١) جواهر البلاغة: ص١٣٣.
(٢) البرهان: ج٤ ص٨٩.
(٣) سورة العصر، الآية ٢،٣.
(٤) علم المعاني: ج١ ص١٣٣.
(٥) سورة النور، الآية ٣١.
(٦) الكشاف: ج١ ص٣٢٠.
(٧) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، وأخرجه مسلم.
(٨) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، وأخرجه مسلم.
(٩) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، وأخرجه مسلم.

فـ(أل) التي وردت في: (الذهب، والفضة، والورق، والبر، والتمر، والشعير) في الأحاديث السابقة للاستغراق تشمل جميع الأفراد بدليل الاستثناء.

ففي الحديث الأول الاستثناء: (إلا سواء بسواء)، وفي الحديث الثاني الاستثناء: (إلا مثل بمثل)، وفي الحديث الثالث الاستثناء: (إلا هاءَ وهاءَ).

و(أل) هذه هي التي يصلح أن يوضع مكانها كلمة (كل): (وهذا ليس معناه أن –أل– وكل– سواء من حيث المعنى فأل تشمل جميع الأفراد من حيث الواقع.)[١]

القسم الثاني الاستغراق العرفي:

وهو ما يدل على جميع الأفراد، ولكن لا من حيث الحقيقة، وإنما من حيث العرف.

(أي الإشارة إلى كل الأفراد مقيداً، نحو: جمع الأمير التجار و ألقى عليهم نصائحه، أي جمع الأمير تجار مملكته، لا تجار العالم أجمع، ويسمى هذا استغراقاً عرفياً.)[١]

وفي المختصر على شرح السعد أن الاستغراق العرفي : (هو أن يراد كل فرد مما يتناوله اللفظ بحسب متفاهم العرف.)[٢]

كقولك: (جمع الملك الوزراء، فإن المقصود وزراء مملكته لا وزراء العالم أجمع.)[٣]

ومن هنا ندرك أن الاستغراق العرفي: (هو الذي يتناول كل فرد بحسب العرف العام، أما العرف الخاص، كعرف الشرع فيدخل الاستغراق بحسبه في الاستغراق الحقيقي.)[٤]

ومن أمثلة الاستغراق العرفي في الحديث النبوي تأمل أقواله ﷺ في الأحاديث الآتية:

---

(١) **البلاغة فنونها وأفنانها: ص٢٤٣.**
(١) **جواهر البلاغة: ص١٣٤.**
(٢) **مختصر التفتازاني: ج٢ ص١٠٤.**
(٣) **علوم البلاغة: ص١٢٠.**
(٤) **بغية الإيضاح: ج١ ص٩٦،٩٧.**

قوله ﷺ: **(خير الناس قرني، ثم الذي يلونهم ...)**[1]

فـ(أل) في الناس للاستغراق العرفي، فالنبي ﷺ قصد بالناس في الحديث أصحابه، أي أن خير الناس أصحابه بحسب العرف وما جرت به العادة، فهو لا يقصد كل الناس حقيقة.

ومنه قوله ﷺ: **(من يوقظ صواحب الحجرات يريد أزواجه)**[2]

فـ(أل) في الحجرات مقصود بها حجرات أزواجه لا مطلق الحجرات التي في كل الدنيا، والدليل على ذلك قوله في الحديث: (يريد أزواجه).

وعلى هذا تستطيع أن تدرك دلالة لام الاستغراق العرفي في كلمة (الأشياخ) الواردة في الحديث الآتي:

(أتى رسول الله ﷺ بقدح فشرب، وعن يمينه غلام أحدث القوم و الأشياخ عن يساره، قال: يا غلام، أتأذن لي أن أعطي الأشياخ؟، فقال: ما كنت لأوثر بنصيبي منك أحداً يا رسول الله، فأعطاه إياه)[3]

مما لا شك فيه أن (أل) في الأشياخ لا يقصد بها أشياخ الدنيا جميعاً، وإنما أراد بها الأشياخ الذين بحضرته في ذلك الوقت بحسب العرف الذي جرت به العادة.

---

[1] **أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، وأخرجه مسلم.**
[2] **أخرجه البخاري في كتاب الفتن، وأخرجه الترمذي.**
[3] **أخرجه البخاري في كتاب المساقاة، وأخرجه مسلم.**

المبحث الثالث

تكرار الاسم مرتين معرفاً بـ(أل)

تكرار الاسم مرتين معرفاً بـ(أل)

كثيراً ما يأتي في الحديث النبوي تكرار الاسم أكثر من مرة، وغالباً ما يكون الاسم مكرراً مرتين، ومعرفاً بالألف واللام، كقوله ﷺ: (**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه.**)[١]

وكقوله ﷺ: (**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً.**)[٢]، وكقوله ﷺ: (**إذا وضع العشاء، و أقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء.**)[٣]، وقوله ﷺ: (**لا يجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها.**)[٤]

فالألفاظ مثل: (المسلم، والمؤمن، والمرأة، والعشاء) كل لفظ منها جاء مكرراً مرتين، ومعرفاً بالألف واللام، وعلى هذا: (إن كان الاسمان المكرران معرفتين، فالاسم الثاني هو الاسم الأول غالباً دلالة على المعهود؛ لأن – أل– التعريف– في الثاني للعهد، أي: تحيل على الاسم الأول المذكور من قبل، فهو معهود في الذكر.)[٥]

وننقل هنا قول الإمام الزركشي في قوله تعالى: (فأن مع العسر يسرا إن مع العسر يسراً)[٦]، يقول: (قال التنوخي: إنما كان مع العسر واحد؛ لأن اللام طبيعة لا ثاني لها ، بمعنى أن الجنس هي، والكلّي لا يوصف بوحده ولا تعدد)[٧]

وجاء في الصحيح في تفسير قوله تعالى: (إن مع العسر يسراً) قال ابن عيينة: (**أي مع ذلك العسر يسراً آخر، كقوله: هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين؛ ولن يغلب عسر يسرين.**)[٨]

والمقصود: (إن العسر الثاني هو العسر الأول، وإن اليسر الثاني هو غير اليسر الأول، والآية تقدم البشرى لأصحاب الابتلاء والضراء، والمحنة والضيق

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإكراه، وأخرجه مسلم.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغصب، وأخرجه مسلم.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، وأخرجه مسلم.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، وأخرجه مسلم.
(٥) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني: صلاح عبد الفتاح الخالدي (ط١ دار عمار للنشر والتوزيع – عمَّان: سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ص٢٣٨.
(٦) سورة الانشراح، الآية ٥،٦.
(٧) البرهان: ج٤ ص٩٤.
(٨) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، وأخرجه مسلم.

والعسر بزوال ما بهم من ذلك، وحلول اليسر مكانه، وتملأ قلوبهم أملاً بذلك، فنسبة العسر إلى اليسر هي نسبة واحد إلى إثنين، فلينتظروا اليسر بأمل عريض، ولهذا ورد القول المأثور: لن يغلب عسر يسرين)[١]

وفي القرآن الكريم أمثلة كثيرة على هذه القاعدة منها قوله تعالى: (وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذٍ فقد رحمته)[٢]

وقوله تعالى: (فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين خالص)[٣]

وقوله تعالى: (وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون)[٤]

(وقد يكون الاسم في المرة الثانية معرفة بالإضافة، وليس بـ(أل) التعريف، ومع ذلك تنطبق عليه القاعدة، ويكون المراد به الاسم الأول.)[٥]

ومما ورد في هذا من الأحاديث النبوية ما يلي:

قوله ﷺ: (**تلك الروضة روضة الإسلام، وذلك العمود عمود الإسلام، وتلك العروة عروة الوثقى.**)[٦]

وقوله ﷺ: (**يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار**)[٧]

وقوله ﷺ: (**إن أهل الجنة ليتراءون الغرف في الجنة كما تتراءون الكوكب في السماء**)[٨]

وقوله ﷺ: (**يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفع، فيدخلون الجنة، فيسميهم أهل الجنة الجهنميين**)[٩]

---

(١) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني: ص٢٣٩.
(٢) سورة غافر، الآية ٩.
(٣) سورة الزمر، الآية ٢،٣.
(٤) سورة الصافات، الآية ١٥٨.
(٥) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني: ص٢٣٩.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب التعبير، وأخرجه مسلم.
(٧) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، وأخرجه مسلم.
(٨) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، وأخرجه مسلم.
(٩) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، وأخرجه مسلم.

وقد ورد مثل هذا في القرآن الكريم، كقوله تعالى: (اهدنا الصراط المســتقيم، صراط الذين أنعمت عليهم.)[١]

وكقوله تعالى: (لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فاطلع إلى إله موسى)[٢] ، (فترى في هذه الآيات أن الاسم المعرّف الثاني هو اسم المعرّف الأول.)[٣]

---

[١] سورة الفاتحة، الآية ٦،٧.

[٢] سورة غافر، الآية ٣٦،٣٧.

[٣] من أسرار التعبير في القرآن: عبد الفتاح لاشين – (ط دار المريخ للنشر- الرياض: سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ص٣٧.

المبحث الرابع

دواعي التعبير بالإضافة

ويحتوي على المطالب الآتية:

١- إرادة الإيجاز والاختصار.
٢- إفادة التعظيم والتشريف.
٣- إفادة التحقير والتوبيخ.
٤- إرادة الاستعطاف والحث على الشفقة.

١- إرادة الإيجاز والاختصار

الإضافة هي إسناد كلمة إلى غيرها؛ لزيادة في المعنى تفيد التعريف والتخصيص، والكلمة التي تفيد هذا الحكم تسمى (مضاف إليه).

أما الكلمة الأساسية التي تقيدت بنسبة كلمة أخرى إليها فتسمى (مضافاً)، وفي مواهب الفتاح : (أن مرتبة المضاف هي مرتبة ما أضيف إليه.)[١]

ويراد بالإضافة غالباً الإختصار إذا لم يكن للمتكلم طريق سواها أصلاً: (لانه ليس للمتكلم إلى إحضاره في ذهن السامع طريق اخصر منها)[٢]

والبلاغيون يمثلون له بقول الشاعر:

هواي مع الركب اليمانين مصعدا *** جنيب وجثماني بمكة موثق[٣]

والشاهد فيه قوله: (هواي، وهذا أخصر من الذي اهواه، أو الذي يميل إليه قلبي.)[٤]

وعلى منواله قوله: (جاء غلامي، فإنه اخصر من قولك: جاء الغلام الذي لي.)[٥]

وهذا تراه في قوله ﷺ: (**يا أبا هريرة هذا غلامك**)[٦]، وهذا معناه أنه لو جاء به معرفاً باللام، أو بالموصول، أو بالإشارة، أو الضمير، ونحوها ما كان ليأتي بأخصر طريق للإحضار في ذهن السامع، وإن كان مفيداً لغرض المتكلم.

وقد ذهب إلى ذلك صاحب المفتاح بقوله: (أنك تقول: غلام زيد، إن لم يكن عندك منه شيء سواه، أو عند سامعك، أو طريق سواها اخصر، والمقام مقام اختصار.)[٧]

---

(١) مواهب الفتاح: ج١ ص٣٤٤.
(٢) مختصر التفتازاني: ج٢ ص١٢٧.
(٣) هو لجعفر بن علية الحارثي، وكان مسجوناً بمكة في جناية فزارته محبوبته مع ركب من قومها، فلما رحلت قال فيها ذلك، أنظرالمفتاح: ص١٨٦، والإيضاح: ج١ ص٣٤٤.
(٤) التجريد في علم المعاني: ج٢ ص١٢٧.
(٥) جواهر البلاغة: ص١٣٥.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، وأخرجه أحمد.
(٧) المفتاح: ص١٨٦.

ومعنى كلام صاحب المفتاح أن الاختصار في الاضافة ينبغي أن يكون مقيداً، أي أن يكون المقام مقتضياً لذلك، وهو ما جاء في قول صاحب عروس الأفراح: (وينبغي أن يقيد- أي المسند إليه المراد إختصاره بالإضافة- بما إذا كان المقام مقام إختصار كما صنع في المفتاح.)[١]

ومن أمثلة ذلك في الحديث النبوي ما يلي:

قوله ﷺ: **(إذا أرسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم الله فكل مما امسكن عليك)**[٢]

وقوله ﷺ: **(شاتك شاة لحم)**[٣]

فقوله: (كلابك، وشاتك) اخصر من قوله: الكلاب أو الشاة التي تملكها، أو التي لي، إذ لو عرّفها بغير الإضافة ما جاءت باخصر طريق للإحضار في ذهن السامع، وإن أفادت غرض المتكلم.

ثم تأمل في ذلك أيضاً لطافة السر البلاغي في قوله ﷺ: **(لولا أن اشق على أمتي لأمرتهم بالسواك)**[٤]

فتعريف كلمة (أمة) بإسنادها إلى ياء المتكلم جعلها أمة معهودة من السهل أن تنسب إلى صاحبها، وأن ينسب هو إليها، فقد تحولت إلى أمة مميزة له، ولا يمكن أن تحل محلها كلمة (الأمة)؛ لأنها في هذه الحال ستصير أمة شائعة بين الأمم السابقة، أما أن تكون الكلمة (أمتي)، فتكون أمته هو ﷺ دون غيره من الناس، وهنا تكمن الخصوصية ومثل هذا في الحديث النبوي كثير، ولا يكاد يحصى.

وقد يكون مع إرادة الاختصار غرض آخر، وهو أن يتعذر التفصيل كما في المفتاح: (أو لأن في إضافته حصول مطلوب آخر، مثل أن تغني عن التفصيل المتعذر، أو الأولى تركه بجهة من الجهات.)[٥]

---

(١) عروس الأفراح: ج١ ص٣٤٥.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، وأخرجه مسلم.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأضاحي، وأخرجه مسلم.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب التمني، وأخرجه مسلم.
(٥) المفتاح: ص١٨٦.

ومعنى قول المفتاح: (أن يكون التعريف بالإضافة مغنياً عن تفصيل يتعذر، أو عن تفصيل تركه ارجح لاعتبار ما، فمن الأول، قولك: أهل مصر كرام، إذ يتعذر عليك ذكرهم والإحاطة بهم.)[١]

وهذا كقوله ﷺ: (**لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم.**)[٢]

(فإن الإضافة هنا مع دلالتها على الإيجاز والاختصار أغنتنا عن تفصيل متعذر، فإنه يتعذر علينا أن نعدهم، فنقول: عمر، عثمان، خالد، أبوبكر، وطلحة، وعلي...الخ.)[٣]

ومثله قول الشاعر:

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم *** أسود لها في غيل خفان أشبل[٤]

والشاهد فيه: (قوله: بنو مطر؛ لإغناء الإضافة عن تفصيل متعذر)[٥]

ومنه قوله ﷺ في حاطب بن أبي بلتعة : (**أو ليس من أهل بدر؟..**)[٦]

فأنه ﷺ يتعذر عليه الإحاطة بأهل بدر جميعاً في هذا المقام، أي مقام الاختصار، والاستغناء عن التفصيل ومثل هذا في الحديث كثير لا يحصى.

ومثله قول حسان بن ثابت:

أولاد جفنة حول قبر أبيهم *** قبر ابن مارية الكريم المفضل[٧]

قال صاحب عروس الأفراح: (فإنه لو عددهم لطال.)[٨]

---

(١) علم المعاني: ج١ ص١٣٤.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، وأخرجه مسلم.
(٣) البلاغة فنونها وأفنانها: ص٢٤٥.
(٤) البيت لمروان بن أبي حفصة؛ وبنو مطر هم قوم الشاعر، أو قوم الممدوح، وأنظر المفتاح: ص١٨٦.
(٥) بغية الإيضاح: ج١ ص١٠٠.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، وأخرجه مسلم.
(٧) أولاد جفنة هم من الغساسنة الذين مدحهم الشاعر بالشام، وأنظره في المفتاح: ص١٨٦.
(٨) عروس الأفراح: ج١ ص٣٤٦، وشرح عقود الجمان: ص١٩.

٢- إفادة التعظيم والتشريف

وقد تأتي الإضافة مراداً بها أفادت التعظيم والتفخيم، وهذا إنما يكون للمضاف، أو المضاف إليه.

وفي المفتاح: (كما تقول: عبدي حضر، فتعظم شأنك إن لك عبداً، وكما تقول: عبد الخليفة حضر، فتعظم شأن العبد، أو كما تقول: عبد الخليفة عند فلان، فتعظم شأن فلان.)[١]

وهذا تراه في قوله: (**قولوا اللهم صلي على محمد عبدك ورسولك..**)[٢]

وفي قوله ﷺ: (**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني..**)[٣]

فالإضافة في قوله: (عبدك، ورسولك، وعبدي) هي تشريف ما بعده من تشريف، وتعظيم ما بعده من تعظيم.

ولذا حق للشاعر أن يقول مفتخراً بعبوديته لله الخالق تبارك وتعالى:

ومما زادني شرفاً وتيهاً *** وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك: يا عبادي *** وإن جعلت احمد لي نبيا

وفي هذا أيضاً جاء قوله ﷺ: (**يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت..**)[٤]

وترى هذا في نظم القرآن الكريم كثيراً، كقوله تعالى: (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً)[٥]

وقوله تعالى: (وأنه لما قام عبد الله يدعوه)[٦]

وقوله تعالى: (قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً)[٧]

---

(١) المفتاح: ص١٨٧.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، وأخرجه النسائي، وابن ماجة.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، وأخرجه مسلم.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، وأخرجه مسلم.
(٥) سورة الفرقان، الآية ٦٢.
(٦)سورة الجن، الآية ١٩.
(٧) سورة مريم، الآية ٣٠.

حيث ترى هنا في تلك الآيات أن الإضافة إلى الله عز وجل تزيد العبد تشريفاً وتعظيماً.

وننقل هنا قول الزمخشري في قوله تعالى: (تلك آيات القرآن وكتاب مبين)، يقول: (وإضافة الآيات إلى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم؛ لأن المضاف إلى العظيم يعظم بالإضافة إليه.)[١]

كما يشير الزمخشري إلى الإضافة في قوله تعالى: (ناقة الله)، فيقول في الكشاف: (فإنها إنما أضيفت إلى اسم الله تعظيماً وتفخيماً لشأنها، وأنها جاءت من عنده لكونها من غير فحل، وطروقه آية من آياته.)[٢]

وعلى مثل هذا يقال في قوله ﷺ: **(قال الله عز و جل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي..)**[٣]

فإضافة الخلق إلى الله عز و جل في قوله: (كخلقي) على سبيل التشريف و التعظيم، و هذا من قوله تعالى: (و لقد كرمنا بني آدم و حملناهم في البر و البحر).

و تأمل في هذا الإضافات الواردة في قوله ﷺ: **(ما بين بيتي و منبري روضة من رياض الجنة و منبري على حوضي)**[٤]

أي تعظيماً و تشريفاً و فخامة لبيته و منبره ﷺ، و مثل هذه الإضافات تجدها كثيراً في الحديث النبوي بحيث لا تكاد تعد و لا تحصى.

---

(١) **الكشاف: ج٣ ص٣٧٣.**

(٢) **الكشاف: ج٢ ص٥٩.**

(٣) **أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، وأخرجه مسلم.**

(٤) **أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، وأخرجه مسلم.**

٣- إفادة التحقير والتوبيخ

وقد يقصد بالإضافة تحقير شأن المضاف، أو المضاف إليه على ما جاء في المختصر: (لتضمنها – أي الإضافة – تحقيراً للمضاف، نحو: ولد الحجام حاضر، أو المضاف إليه، نحو: ضارب زيد حاضر، أو غيرهما، نحو: ولد الحجام جليس زيد)[١]

والمعنى أي تحقير شأن الولد لأبيه، أي نسبته إلى أبيه الحجام.

وفي ذلك تأمل تحقير شأن العبد بإضافته إلى الدينار، أو الدرهم، أو الخميصة في قوله ﷺ: **(تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة..)**[٢]

كما لا يخفى عليك الإضافة في أهل الشقاوة توبيخاً لهم على أعمالهم الشنيعة التي يفعلونها في حقوق أنفسهم في قوله ﷺ: **(وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة..)**[٣]

ثم انظر ما توحي به الإضافة في قوله ﷺ: **(كان برجل جراح فقتل نفسه، فقال الله : بدرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة.)**[٤]

إذ لا يخفى عليك أن إضافة العبد إليه سبحانه وتعالى توبيخاً للعبد على ما قام به من فعل محرم تجاه نفسه.

وقريب من هذا قوله عن المدينة: **(من أحدث فيها، أو آوى فيها محدثاً فعليه لعنة الله..)**[٥]

فإضافة اللعنة إليه عز وجل على سبيل التوبيخ والتحقير للذي يقوم بعمل مخالف للشرع في مدينته ﷺ.

وهذا الأسلوب تراه أيضاً في القرآن الكريم، كالذي تنبه إليه الزمخشري في قوله تعالى: (ثم يوم القيامة يخزيهم، ويقول أين شركائي.)

---

(١) مختصر التفتازاني : ج٢ ص١٢٨.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، وأخرجه الترمذي، وابن ماجة.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، وأخرجه مسلم.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، وأخرجه مسلم.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة، وأخرجه مسلم.

يقول: (شركائي على الإضافة إلى نفسه حكاية؛ لإضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم.)[١]

ومثله ما ذهب إليه في قوله تعالى: (ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم)، يقول: (وإضافة الشركاء إليه على زعمهم توبيخاً لهم.)[٢]

وقد اجتمع التحقير والتعظيم في قوله ﷺ: (**والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ، وبنت عدو الله أبداً.**)[٣]

فالإضافة في قوله: (بنت رسول الله ﷺ) فيها تشريف وتعظيم للسيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وأما الإضافة في قوله: (بنت عدو الله)، فقد أفادت تحقير بنت أبى جهل.

والحديث فيه دلالة على عدم المكافأة بين البنتين، أي أن السيدة فاطمة رضي الله عنها لا تقاس بأي امرأة ما، ودليله قوله ﷺ: (**فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني**)[٤]

كما جاء الجمع بين التحقير والتعظيم في قول الشاعر:

أبوك حباب سارق الضيف برده *** وجدي يا حجاج فارس شمّرا

(فالإضافة في :سارق الضيف، أفادت تحقير أبى المخاطب حباب، وفي: فارس شمّرا، أفادت تعظيم جد الشاعر.)[٥]

---

(١) الكشاف: ج٢ ص٤٦٩.

(٢) الكشاف: ج٢ ص٥٦٨.

(٣) وفي الحديث أن علي بن أبي طالب خطب أبنة أبي جهل فذكر الحديث بتمامه، وقد أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس، وأخرجه مسلم.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، وأخرجه مسلم.

(٥) علم المعاني: ج١ ص١٣٥.

٤- إرادة الاستعطاف والحث على الشفقة

وقد توحي الكلمة المضافة إلى ما يثير في النفس كوامن العطف والوجدان، فيوقظ الفطرة، ويحث على الرحمة والشفقة، وقد كان الزمخشري هو أول من تنبه إلى هذا المعنى الدقيق.

فتراه مثلاً في قوله تعالى: (لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده)[١]، يقول: (فإن قلت: كيف قيل بولدها؟ قلت: لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف إليها الولد استعطافاً لها عليه، وإنه ليس بأجنبي منها، فمن حقها أن تشفق عليه، وكذلك الوالد.)[٢]

وعلى هذا النهج جاء قوله ﷺ: (**ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه..**)[٣]

فقد أضيف الولد إلى أبواه استعطافاً لهما، وحثاً على الإشفاق عليه، فمن حقهما تنمية الفطرة فيه، وتربيته على الدين القويم.

ومثله قوله ﷺ: (**اعتقيها فإنها من ولد إسماعيل**)[٤]، وهذا من قولهﷺ للسيدة عائشة في سبيّه من بني تميم حيث أضاف تلك السبيّة في سبيّة من بني تميم حيث أضاف تلك السبيّة إلى إسماعيل عليه السلام استعطافاً وشفقة.

وترى مثل هذا في قوله ﷺ لزيد بن حارثة: (**أنت أخونا ومولانا**)[٥]

والإضافة في قوله: (أخونا ومولانا) استعطافاً له وشفقة عليه؛ لان زيداً كان يدعى زيد بن محمد، أي بالتبني الذي نهى الله عنه في كتابه العزيز.

وقريب من هذا تراه في قول الزمخشري في قوله تعالى: (قال يا ابن أمي إن القوم استضعفوني)، يقول: (قيل كان أخاه لأبيه وأمه، فان صح فإنما أضافه إلى الأم إشارة إلى انهما من بطن واحدة، وذلك ادعى إلى العطف والرحمة، واعظم للحق

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٣٣.
(٢) الكشاف: ج١ ص٣٧١.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، وأخرجه مسلم.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب العتق، وأخرجه مسلم.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، وأخرجه مسلم.

الواجب؛ و لأنها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها؛ لأنها التي قاست فيه المخاوف، والشدائد فذكره بحقها)[١]

وعليه يمكن التعرف على ما توحي به الإضافة في الأحاديث النبوية الآتية:

قال ﷺ في رده على سؤال أم سلمة رضي الله عنها، قالت يا رسول الله أو تحتلم المرأة؟ قال: **(نعم تَرِبَتْ يمينك فبم يشبهها ولدها؟)**[٢]

وقوله ﷺ: **(والمرأة راعية في بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم)**[٣]

وقوله ﷺ:**(ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار)**[٤]

فالإضافة في قوله: (ولدها، وبعلها، وولده) الواردة في الأحاديث السابقة مما لا يخفى عليك، فهي مما ذكرناه في الأحاديث التي قبلها مستشهدين على ذلك بما ورد في كتاب الكشاف للزمخشري.

---

(١) **الكشاف: ج٢ ص١٢٧.**
(٢) **أخرجه البخاري في كتاب العلم، وأخرجه مسلم.**
(٣) **أخرجه البخاري في كتاب العتق، وأخرجه مسلم.**
(٤) **أخرجه البخاري في كتاب العلم، وأخرجه مسلم.**

الفصل الخامس

أسرار التعبير في مقام التنكير

ويحتوي على المباحث الآتية:

١- خصوصية السياق في مقام التنكير.
٢- إفادة العموم والشمول.
٣- القصد إلى الإفراد (الإبهام).
٤- إفادة النوعية والتخصيص.
٥- القصد إلى التعظيم.
٦- إفادة التكثير أو التقليل.
٧- القصد إلى التحقير.
٨- تكرار الاسم مرتين بالتنكير.

المبحث الأول

خصوصية السياق في مقام التنكير

خصوصية السياق في مقام التنكير

يذكر البلاغيون أن المعاني التي تفيدها النكرة ليست من طبيعتها: (ولكنهم يقولون مع هذا أن هذه المعاني تكمن في النكرة، والسياق هو الذي يخرجها ويكشفها، والاعتماد على السياق وحده في إفادة هذه المعاني إلغاء لقيمة أحوال اللفظ، وعلاقتها بالسياق.)[١]

ومن الواضح أن السياق له خطره في الكشف عن خصائص الألفاظ والتركيب، ومجيء لفظ في حديثه ﷺ نكرة، وفي لفظ آخر معرفة لم يكن مصادفة، وإنما هو مقصود في كل موضع؛ لينسجم مع السياق الذي ورد فيه ويتناسب معه.

وان التعبير النبوي إذا وضع اسماً معرفة في مكان، ونكره في مكان آخر إنما يفعل ذلك لحكمة يعلمها الله وسر تقتضيه اللغة والبلاغة، وهو هدف يقصده المعنى، ومناسبة يتطلبها السياق.

(ولعل النماذج المتعددة من حديثه ﷺ ترينا إلى أي مدى كانت هذه البلاغة النبوية مؤثرة في معتقدات الناس، وفي سلوكهم، بل وفي تثقيفهم وتهذيبهم)[٢]

والواقع أن البلاغيين كانوا في هذا المقام اكثر فهماً، وانفذ إدراكاً لخصائص التنكير، وكان كشفهم عن مغزى التنكير، ووجهه يقوم على الموازنة بين خصوصية السياق، ومعنى التنكير، إذ لو ذهب التنكير لا ختل معنى كبير من الكلمة، وزال الترابط في صياغة اللفظ.

وبهذا فإن تدبّر السياق في الكلمة المنكرة يقود إلى معرفة الحكمة في مجيئها على هذا النحو، فالسياق هو الحكم في ذلك، وهو الأساس في سر اختيار اللفظ معرفة أو نكرة.

---

(١) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ص٢٦٥.
(٢) من بلاغة الحديث النبوي: ج١ ص٦.

ومن هنا نجد أن الإمام عبد القاهر في كتابه دلائل الإعجاز يتعقب العلاقة الوثيقة التي تربط بين السياق، والكلمة النكرة، وهو في ذلك ينتقل من معنى لغوي ظاهر هو التنكير إلى ملحظ وجداني، أو معنى بلاغي هو السياق، حيث يقول:

(والتنكير يضيف إلى التركيب صورة، أو معنى انضر، يكون له في النفس انس ولطف موقع، فأنت إذا نظرت إلى قوله تعالى: (ولتجدنهم احرص الناس على حياة)[1]، وجدت لهذا التنكير، وإن قيل على حياة، ولم يقل على الحياة حسناً وروعة، ولطف موقع لا يقادر قدره، وتجدك تعدم ذلك مع التعريف، وتخرج عن الأريحية والأنس إلى خلافهما)[2]

والسياق إذن يرشدنا إلى الأغراض الكثيرة حينما نتأمله، ونحسن الاستفادة منه؛ لأنه هو الذي يدل على المراد من التنكير.

---

(١) سورة البقرة، الآية ٩٦.

(٢) دلائل الإعجاز: ص٢١٤.

المبحث الثاني

إفادة العموم والشمول

إفادة العموم والشمول

لقد استعمل النبي ﷺ كلمات اكثر ابهاماً وتنكيراً كـــ(شيء، ورجل، وامرأة وحيوان، وانسان)، ونحوها مما يفيد العموم والشمول.

(فكل نكرة هي اعم من غيرها، فهي ابهم، وجملتها شيء ثم جسم، ثم حيوان، ثم إنسان، ثم رجل، فكل واحدة من هذه النكرات هي ادخل في الابهام والتنكير مما بعدها، كما تراه في صورها، فقولنا: شيء اعم من قولنا: موجود؛ لأن قولنا: شيء مندرج تحته الموجود والمعلوم.)[١]

ومنه حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: (**فماسئل النبي ﷺ عن شيء قدم، ولا أخر إلا قال: إفعل ولاحرج)**[٢]

والتنكير في – شيء للعموم: (أي عن شيء مما هو مطلوب من الاعمال في يوم العيد من الرمي والنحر والحلق والطواف.)[٣]

ومنه قوله ﷺ: (**رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى)**[٤]

(ورجل نكرة يشمل أي رجل في أي زمن من الأزمان يتحلى بهذه الصفات الحميدة التي يحبها الله ورسوله)[٥]

ومثله قوله ﷺ: (**لا يخلونّ رجل بامرأة، ولا تسافرن امرأة إلا ومعها محرم.)**[٦]

(ونكر لفظ رجل لإفادة التعميم؛ إذ النهي لا يتجه إلى واحد بعينه؛ وأفرد رجل ليتعلق النهي بكل فرد من مفهوم معنى الرجل؛ كما نكّر لفظ امرأة ليتجه النهي إلى كل فرد من مفهوم معنى المرأة.)[٧]، ومنه تنكر كلمة بركة في قوله ﷺ: (**تسحروا فإن في السحور بركة)**[٨]، وذلك للعموم والشمول.

---

(١) **كتاب الطراز المتضمن للأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحي بن حمزة العلوي اليمني - (ط بمطبعة المقتطف بمصر: سنة ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م)ج٢ ص١١**

(٢) **أخرجه البخاري في كتاب الحج، وأخرجه مسلم.**

(٣) **من بلاغة الحديث النبوي: ج١ ص٥١**

(٤) **أخرجه البخاري في كتاب البيوع، وأخرجه الترمذي، وابن ماجة.**

(٥) **من بلاغة الحديث النبوي: ج٢ ص٨٥.**

(٦) **أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، وأخرجه مسلم.**

(٧) **من بلاغة الحديث النبوي: ج٤ ص١٢٥.**

(٨) **أخرجه البخاري في كتاب الصوم، وأخرجه مسلم.**

(إشارة إلى أن هذه البركة لانهاية لها، وفي الحديث حث على السحور لأنه يمد الصائم بالطاقة اللازمة لمواصلة العمل في يومه، فلا يكون صومه سبباً في كسله وخموله.)[١]

ثم تأمل تنكير كلمة عبد في قوله ﷺ: (**إذا احب الله عبداً نادى جبريل..**)[٢]

(وجاءت كلمة عبد نكرة إشارة إلى أن الله يحب أي عبد تقرّب إليه، وأناب إليه، وهذا نسق قرآني جرى على لسان أفصح الخلق ﷺ)[٣]، يقول تعالى: (أن كل من في السموات والارض إلا آتي الرحمن عبداً)[٤]

وعلى مثله تنكير كلمة منزل في قوله ﷺ: (**لله افرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلاً..**)[٥]؛ لافادة العموم والشمول، وهو لفظ قرآني جاء في قوله تعالى: (وقل رب أنزلني منزلا مباركاً وأنت خير المنزلين)[٦]، وهذا يدل على تأثر رسول الله ﷺ بالبلاغة القرآنية.

وهذا تراه في تنكير (ابل) التي تفيد العموم والشمول في قوله ﷺ: (**فهل لك من ابل؟..**) [٧]

(وهذا أسلوب إنشائي ورد بلفظ إستفهام، والغرض منه الإرشاد إلى ما ينفع الإنسان في ماله، و– من – حرف جر زائد داخلة على المبتدأ النكرة التي تفيد العموم والشمول، والأسلوب فيه إيجاز بالحذف والتقدير: فهل لك من ابل تقوم برعايتها والقيام بشئونها.)[٨]

ومثله أيضاً تنكير كلمتي: (داء، وشفاء)؛ لإفادة العموم والشمول في قوله ﷺ: (**ما انزل الله داءً إلا أنزل له شفاء**)[٩]

---

(١) من بلاغة الحديث النبوي: ج٢ ص٦٦.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، وأخرجه مسلم.
(٣) من بلاغة الحديث النبوي: ج٢ ص٣٩.
(٤) سورة مريم، الآية ٩٣.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، وأخرجه مسلم.
(٦) سورة المؤمنين، الآية ٢٩.
(٧) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، وأخرجه مسلم.
(٨) من بلاغة الحديث النبوي: ج٤ ص٩٥.
(٩) أخرجه البخاري في كتاب الطب، وأخرجه مسلم.

وفي هذا: (إشارة إلى جميع عموم الأدواء، وكل الأمراض.)[١]

والحديث يفيد أن بعض الأدوية لا يعلمها كل أحد، وفيها كلها إثبات الأسباب، وذلك لا ينافي التوكل على الله لمن اعتقد أنها بإذن الله، وتقديره، وأنها لا تشفى بذواتها، بل بما قدره الله تعالى فيها.

وبهذا ترى أن التنكير شائع في الحديث النبوي من حيث أداء الغرض البلاغي الذي هو إفادة العموم والشمول، وهو يجري على نسق القرآن الكريم.

إفادة التعميم بـــ(كل) إذا أضيفت إلى النكرة:

يذكر النحاة انه لا يجوز الابتداء بالنكرة إلا في وجود مسوغات عدة منها، أن تكون مفيدة للعموم.

يقول ابن هشام: (الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة، ولا يكون نكرة إلا في مواضع خاصة ترجع إلى الخصوص والعموم.)[٢]

والعموم الذي يعنيني هنا هو العموم المفاد بصيغة العموم،كنحو:(كل، وجميع، وعامة، وكافة، وأشباهها)، وتعتبر (كل) هنا هي الأكثر تردداً في الحديث النبوي.

ومن أمثلتها قوله ﷺ: (**كل شراب اسكر، فهو حرام)**[٣]

(أي: كل واحد من أفراد الشراب المسكر حرام؛لان كلمة – كل – إذا أضيفت إلى النكرة تقتضي عموم الافراد ، ونظير ذلك من القرآن قوله تعالى : (كل نفس ذائقة الموت)[٤]؛ وقوله: (كل نفس ما كسبت رهينة)[٥]، وإذا أضيفت إلى المعرفة تقتضي عموم الأجزاء.)[٦]،وترى مثل هذا في قولهﷺ :(**على كل مسلم صدقة...)**[٧] ،وقوله : (كل مسلم) يشمل إفراد المسلمين جميعاً.

---

(١) من بلاغة الحديث النبوي: ج٤ ص٣٥.
(٢) شرح شذور الذهب: جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري- قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: أميل بديع يعقوب، (ط١ دار الكتب العلمية – بيروت: سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، ص١٨٢.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، وأخرجه مسلم.
(٤) سورة آل عمران الآية ١٨٥.
(٥) سورة المدثر، الآية ٣٨.
(٦) من بلاغة الحديث النبوي: ج٣ ص٤٧.
(٧) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، وأخرجه مسلم.

وقريب من هذا قوله ﷺ : (**آلا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضاعف لو اقسم على الله لأبره ، آلا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر**)[١] و (كل) في قوله : (كل ضعيف) ، و (كل عتل) أضيفت إلى نكرة فتعم ، والأسلوب فيه إيجاز بالحذف ، والتقدير : (هم كل ضعيف متضاعف)، و(هم كل عتل جواظ)[٢] ؛ لان (كل) خبر لمبتدأ محذوف .

وتلك ألفاظ قرآنية ورد بعضها في النسق القرآني . كقوله تعالى : (ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم ، عتل بعد ذلك زنيم)[٣] (كما أن الأسلوب يتبع نسقاً قرآنياً في ذكره الترغيب والترهيب ، فيرغب الناس في الجنة بذكر أوصاف أهلها ، فيقبلون عليها ، ويرهب الناس في النار بذكر أوصاف أهلها فيبتعدون عنها .)[٤]

ومثل هذا تراه أيضا في قوله ﷺ : (**يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخر...**)[٥]

ففي قوله : (كل ليلة) إفادة للعموم و الشمول؛ لان (كل) أضيفت إلى نكرة فتعم كل أفراد الليالي : (أما إضافة النكرة في قوله : سماء الدنيا ، فكناية عن دنو رحمته وكرمه ورأفته وعفوه)[٦]

<u>إفادة التعميم بالنكرة إذا وقعت في سياق النفي:</u>

ومنه قوله ﷺ : (**لا يتوضأ رجل يحسن وضوءه، ويصلى الصلاة إلا غفر له ...**)[٧] (وقوله : رجل – نكرة ، وهى في سياق النفي فتعم وتشمل كل رجل يقوم بهذا العمل الجليل من الوضوء التام بآدابه وسننه)[٨]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، وأخرجه مسلم.
(٢) والعتل: الغليظ الشديد العنف، والجواظ: المنوع، أو المختال في مشيته.
(٣) سورة القلم، الآية ١٠،١١،١٢،١٣.
(٤) من بلاغة الحديث النبوي: ج٤ ص٨٠.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، وأخرجه مسلم.
(٦) من بلاغة الحديث النبوي: ج١ ص٦٧.
(٧) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، وأخرجه مسلم.
(٨) من بلاغة الحديث النبوي: ج١ ص١-٤.

ومنه تنكير كلمة (أحد) في قوله ﷺ : (**رأيتكم ليلتكم هذه فان على راس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد .**)[١]

(واحد نكرة في سياق النفي تعم كل من كان في عصر رسول الله ﷺ .)[٢]

ومثله في قوله ﷺ : (**أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ من قبلي .**)[٣]

(و– أحد– في سياق النفي فتهم كل نبي ورسول قبله ﷺ.)[٤]

ثم تأمل تنكير كلمة (أيام) في سياق النفي في قوله ﷺ: (**ما من أيام العمل الصالح فيهن احب إلى الله من هذه الأيام العشر..**)[٥]

(كلمة– أيام– نكرة وقعت في سياق النفي فتعم كل الأيام والليالي، واقتصر على ذكر الأيام من باب الإيجاز؛ لأن الأيام إذا أطلقت دخلت فيها الليالي تبعاً.)[٦]

وقريب من هذا تنكير كلمة (مسلم) في قوله ﷺ: (**ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً..**)[٧]

(وردت كلمة مسلم نكرة في سياق النفي، وزيدت– من – التي تدل على الاستغراق، وعم الحيوان؛ ليدل على سبيل الكناية على أي مسلم ذكراً كان أو أنثى مطيعاً أو عاصياً يعمل أي عمل من المباح ينتفع بما عمله أي حيوان كان يرجع نفعه إليه، ويثاب عليه.)[٨]

<u>إفادة التعميم بالنكرة إذا وقعت في سياق الشرط:</u>

ومنه قوله ﷺ: (**من ظلم من الارض شيئاً طوقه من سبع ارضين**)[٩]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، وأخرجه مسلم.
(٢) من بلاغة الحديث النبوي: ج١ ص٦٧.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب التيمم، وأخرجه مسلم.
(٤) من بلاغة الحديث النبوي: ج١ ص٩٥.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب فضل ليلة القدر، وأخرجه مسلم.
(٦) من بلاغة الحديث النبوي: ج١ ص١١٩.
(٧) أخرجه البخاري في كتاب الحرث والمزارعة، وأخرجه مسلم.
(٨) من بلاغة الحديث النبوي: ج٢ ص٩٥.
(٩) أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغصب، وأخرجه مسلم.

(الأسلوب جملة إسمية مصدرة بمَن التي تفيد العموم،و- شيئاً- نكرة وقعت في سياق الشرط فتعم، كما تقع في سياق النفي فتعم، وهي تشمل القليل والكثير.)[١]

ومنه تنكير كلمة حالفاً في قوله ﷺ: **(من كان حالفاً، فليحلف بالله، أو ليصمت.)**[٢]

فقد صُدّر الاسلوب بمَن الشرطية التي تفيد العموم: (أي كل من اراد أن يحلف، فليحلف بالله، أو يلزم الصمت)[٣]

وقريب من ذلك تنكير كلمة تمرة في قوله ﷺ: **(من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب..)**[٤]

وقد اختار التمرة مثلاً؛ لانها أقل قوت واطيبه: (والأسلوب مصدر باداة الشرط مَن؛ ليفيد العموم، أي يشمل كل من تصدق بهذا القدر من كسب طيب)[٥]

وإذا تأملت الحديث النبوي رأيت أن سياق الشرط في إفادة العموم بالنكرة من الكثرة بحيث لا يكاد يحصى نذكر من ذلك نماذج الأحاديث الآتية:

قوله ﷺ: **(من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً اقرع..)**[٦]

وقوله ﷺ: **(من احب أن يسأل عن شيء، فليسأل..)**[٧]

وقوله: **(من اخذ شيئاً من الارض بغير حقه خسف به..)**[٨]

وقوله: **(من اخذ شبراً من الارض ظلماً..)**[٩]

وقوله: **(من اعتق عبداً بين اثنين، فإن كان موسراً قومّ عليه ثم يعتق)**[١٠]

وقوله: **(من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتز لنا، وليقعد في بيته..)**[١١]

---

(١) من بلاغة الحديث النبوي: ج٢ ص١٢٣.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، وأخرجه مسلم.
(٣) من بلاغة الحديث النبوي: ج٣ ص٣٥.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، وأخرجه مسلم.
(٥) من بلاغة الحديث النبوي: ج٣ ص٥٥.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، وأخرجه مسلم.
(٧) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، وأخرجه مسلم.
(٨) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، وأخرجه مسلم.
(٩) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، وأخرجه مسلم.
(١٠) أخرجه البخاري في كتاب العتق، وأخرجه مسلم.
(١١) أخرجه البخاري في كتاب الآذان، وأخرجه مسلم.

وقوله: **(من ابتاع طعاماً، فلا يبعه حتى يستوفيه..)**[1]

وأشباه هذا في الحديث النبوي كثير، فالنكرات في الأحاديث السابقة، وهي (مالاً، وشيئاً، وشبراً، وعبداً، وموسراً، وثوماً، وبصلاً، وطعاماً) تدل على العموم في سياق الشرط، مثلها في ذلك دلالتها على العموم في سياق النفي، كما ادركت ذلك من قبل.

[1] **أخرجه البخاري في كتاب البيوع، وأخرجه مسلم.**

المبحث الثالث

القصد إلى الأفراد (الإبهام)

القصد إلى الإفراد

وقد يكون التنكير لإفادة الوحدة الشائعة بمعنى أن يقصد به الحكم على فرد غير معين: (أي والحال أن المقام لا يناسب إلا الفرد؛ لكون الحكم المراد في مقام ليس لغيره)[١]

كقوله تعالى: (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى)[٢]: (أي فرد من أشخاص الرجال)[٣]

وفي شرح الحاشية على المختصر: (أي رجل واحد لا رجلان، ولا رجال، والمراد بذلك الرجل مؤمن آل فرعون)[٤]، بدليل قوله تعالى: (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله.)[٥]

وعلى هذا النسق القرآني وردت أحاديث نبوية منها قوله ﷺ: (**بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل جاءه رجل، فقال: هل أحداً اعلم منك، قال موسى: لا..**)[٦]

(وفي قوله: جاءه رجل- بصيغة التنكير، حيث أنه مجهول لا يعرف من هو؟ قال الحافظ ابن حجر: ولم اقف على تسمية الرجل.)[٧]

وجاء في كتاب الكامل قوله: (تقول: جاءني رجل، إذا لم تدرك من هو بعينه، أو دريت فلم ترد أن تبين، ثم تعرفه لصاحبك إذا أردت ذلك، إما بالألف ولام، وإما باسم معروف، أو إضافة، أو غير ذلك.)[٨]

ومثله قوله ﷺ: (**بينما أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر..**)[٩]

---

(١) التجريد في علم المعاني: ج٢ ص١٢٩.
(٢) سورة القصص، الآية ٢٠.
(٣) الإيضاح: ج١ ص٣٤٨.
(٤) حاشية الدسوقي على شرح السعد: ج١ ص٣٤٧.
(٥) سورة غافر، الآية ٢٨.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب العلم، وأخرجه مسلم.
(٧) من بلاغة الحديث النبوي: ج١ ص٤٢.
(٨) الكامل في اللغة: ج٣ ص١٤٧٦.
(٩) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، وأخرجه مسلم.

(جاءت كلمة امرأة نكرة؛ لأنها غير معروفة، كما وردت كلمة قصر نكرة؛ لأن قصور الجنة كثيرة لا يعلمها إلا علام الغيوب)[١]، قال تعالى: (وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً.)[٢]

وكقوله ﷺ: (**والذي نفسي بيده لأذودنّ رجالاً عن حوضي..**)[٣]

(وقوله: رجالاً جمع تكسير لرجل وهو نكرة؛ لأن هؤلاء الممنوعين غير معروفين لنا الآن، ومع كثرتهم فرسول الله ﷺ يعرفهم في هذا الوقت؛ لأن أمته تأتي يوم القيامة غرّاً محجلين من آثار الوضوء.)[٤]

فالتنكير الوارد في الأحاديث النبوية السابقة جميعاً يفيد الإبهام: (والإبهام من عناصر الإثارة في الكلام.)[٥]

يقول الزمخشري في قوله تعالى: (أولئك على هدى من ربهم)[٦]، (ونكّر هدى؛ ليفيد ضرباً مبهماً لا يبلغ كنهه، ولا يقادر قدره، كأنه قيل علىأي هدى، كما تقول: لو أبصرت فلاناً لا بصرت رجلاً.)[٧]

ثم استشهد على ذلك من الشعر بقول الهذلي:

فلا وأبي الطير المربة بالضحى *** على خالد لقد وقعت على لحم[٨]

---

(١) من بلاغة الحديث النبوي: ج٣ ص١٨.
(٢) سورة الإنسان، الآية ٢٠.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب المساقاة، وأخرجه مسلم.
(٤) من بلاغة الحديث النبوي: ج٣ ص٦٢.
(٥) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ص٢٥٩.
(٦) سورة البقرة، الآية ٥
(٧) الكشاف: ج١ ص٣٥.
(٨) البيت من شواهد الكشاف للزمخشري: ج١ ص٣٥.

المبحث الرابع

إفادة النوعية والتخصيص

إفادة النوعية والتخصيص

ويأتي التنكير لإفادة نوع خاص من أنواع الجنس المنكر: (أو القصد إلى إفادة نوع خاص متميز عما يعرفه المخاطب، ويألفه ويعهده.)[١]

كقولك: (لكل داء دواء، أي لكل نوع من أنواع الداء نوع من أنواع الدواء.)[٢]

و عليه قوله ﷺ: (**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية ...**)[٣]

فقد جاء بكلمة الأرض في قوله: (أصاب أرضاً) منكرة؛ وذلك للتنويع: (لأن الأرض منها ما هو نقي خصيب طيب، ومنها ما هو جدب، أي أصلب لا ينصب منه الماء.)[٤]

ومنه تنكير كلمة زمان في قوله ﷺ: (**يأتي على الناس زمان...**)[٥]، وذلك للنوعية: (فقد وردت كلمة زمان نكرة دليل على أن الناس تختلف من عصر إلى عصر، ومن زمن إلى زمن.)[٦]

وكما في تنكير كلمة مالاً في قوله ﷺ: (**من حلف على يمين يستحق بها مالاً لقي الله، وهو عليه غضبان..**)[٧]

(وجاءت كلمة مالاً نكرة؛ ليشمل كل أنواع المال، وكما يشمل القليل والكثير)[٨]

ومنه تنكير كلمة فأرة في حديثه ﷺ: (**سئل عن فأرة سقطت في سَمن ...**)[٩]

(وردت فأرة نكرة؛ لتشمل أي أنواع الفأر صغيرها وكبيرها وكما وردت كلمة سمن نكرة، لتشمل أي كمية من السمن قليلة أو كثيرة.)[١٠]

---

(١) علم المعاني: ج١ ص١٤٢.
(٢) فنون البلاغة: محمد محمود شاهين- (ط٢ دار المعارف- القاهرة: د.ت) الفن الأول في علم المعاني: ص١٠٣.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب العلم، وأخرجه مسلم.
(٤) من بلاغة الحديث النبوي: ج١ ص٤٦.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، وأخرجه النسائي، وأبو داود.
(٦) من بلاغة الحديث النبوي: ج٢ ص٧٩.
(٧) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، وأخرجه مسلم.
(٨) من بلاغة الحديث النبوي: ج٢ ص١٤٨.
(٩) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، وأخرجه الترمذي، وأبو داود، والنسائي.
(١٠) من بلاغة الحديث النبوي: ج١ ص٩١.

وإذا انتقلنا إلى القرآن الكريم نجد الزمخشري يشير إلى أن التنكير يفيد النوعية من خلال قوله تعالى: (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة)[١]

(ومعنى التنكير أن على أبصارهم نوعاً من الأغطية غير ما يتعارفه الناس، وهو غطاء التعامي عن آيات الله، ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله.)[٢]

وفي عروس الأفراح: (أي نوع غريب من الغشاوة لا يتعارفه الناس بحيث يغطي مالا يغطيه شيء من الغشاوات.)[٣]

ولك أن تقول يحتمل أن يكون التنكير في غشاوة للتعظيم، وبذلك جزم السكاكي: (أي غشاوة عظيمة)[٤]

ومنه قوله تعالى: (ولتجدنّهم أحرص الناس على حياة)[٥]، يقول الزركشي في البرهان: (لأنهم لم يحرصوا على أصل الحياة حتى تعرف، بل على الأزدياد من نوع؛ وإن كان الزائد أقل شيء ينطلق عليه اسم الحياة)[٦]

وتنكير الحياة عند الزمخشري أوقع معنى من التعريف قال في الكشاف: (لأنه أراد حياة مخصوصة، وهي الحياة ا لمتطاولة)[٧]

---

(١) سورة البقرة، الآية ٧.
(٢) الكشاف: ج١ ص٤١.
(٣) عروس الأفراح: ج١ ص٣٤٨.
(٤) المفتاح: ص٨٣.
(٥) سورة البقرة، الآية ٩٦.
(٦) البرهان: ج٤ ص٩١.
(٧) الكشاف: ج١ ص١٦٨.

(ولهذا اقتضى السياق، والتعبير تنكير لفظ الحياة؛ لتودي الغرض المقصود من الآية، فتنكيرها إما للتعظيم، أو النوعية، ويمتنع فيها التعريف، إذ التعريف يعمي المعنى المراد، ويؤدي إلى الأبتعاد عن الهدف المقصود.)[1]

وما جاء من ذلك شعراً قول الشاعر:

لكل داء دواء يستطب به *** إلا الحماقة أعيت من يداويها

(أي لكل داء دواء خاص يصلح لعلاجه.)[2]

---

[1] من أسرار التعبير في القرآن: ص٢١.

[2] المعاني في ضوء أساليب القرآن: ص٢٤٥.

المبحث الخامس

القصد إلى التعظيم

القصد إلى التعظيم

وقد يفيد التنكير معنى التعظيم، أي وصف المعنى بأنه عظيم: (يعني أنه بلغ في إرتفاع شأنه مبلغاً عظيماً)[١]

وعليه قوله تعالى: (قالوا إن لنا لأجراً)[٢]، يقول الزمخشري: (والتنكير للتعظيم، كقول العرب: إن له لإبلاً، وإن له لغنماً، يقصدون الكثرة، ويتكرر هذا في مواطن كثرة.)[٣]

ومنه قوله تعالى: (فإذ نوا بحرب من الله ورسوله)[٤]، يعني بحرب عظيمة؛ وفي البرهان: (أي بحرب، وأيّ حرب)[٥]

وقريب من هذا قوله تعالى: (ولكم في القصاص حياة)[٦]، (فتنكير حياة أفاد التعظيم؛ وذلك أنهم كانوا في الجاهلية يقتلون بالواحد الجماعة)[٧]

وفي كشاف الزمخشري: (والإنسان إذا علم أنه إذا قَتَل قُتل إرتدع عن القتل، فيسلم هو من القود، وصاحبه من القتل، فكان القصاص سبباً في حياة نفسين، فهذه الحياة المستقبلية مستفادة من شريعة القصاص.)[٨]

ونظير هذه من الحديث النبوي يتكرر في مواطن كثيرة منها قوله ﷺ: (**أرايتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً.**)[٩]

يقول البدر العيني: (تنكير نهر يوحي بالعظمة و الاتساع، ومجيء باب مجرورة بالباء مما يوحي بالتصاق النهر بالباب؛ وذلك لا يكلف جهداً، ولا زمناً.)[١٠]

ومنه قوله ﷺ: (**خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وابدأ بمن تعول.**)[١١]

---

(١) بغية الإيضاح: ج١ ص١٠٢.
(٢) سورة الاعراف، الآية ١١٣.
(٣) الكشاف: ج٣ ص١١٠.
(٤) سورة البقرة، الآية ٢٧٩.
(٥) البرهان: ج٤ ص٩١.
(٦)سورة البقرة، الآية ١٧٩.
(٧) من أسرار التعبير في القرآن: ص٢٠.
(٨) الكشاف: ج١ ص٢٢٣.
(٩) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، وأخرجه مسلم.
(١٠) عمدة القارئ: ج٥ ص١٥.
(١١) أخرجه البخاري في كتاب النفقات، وأخرجه النسائي، وأبو داود.

(والتنكير في كلمة غنى للتعظيم، وكلمة ظهر مزيدة في الأسلوب؛ لأشباع الكلام، وإعطاء الغنى رمز القوة، والمراد غنى يستظهر به على النوائب التي تنوبه)[١]

ومنه تنكير كلمة خير في قوله ﷺ: (**ألا أدلكم على خير مما سألتما؟ ...**)[٢]؛ وذلك للتعظيم، أي ألا أدلكما على خير عظيم أعظم مما سألتما؟.

وقريب منه قوله ﷺ: (**السفر قطعة من العذاب**)[٣]

(فالتنكير في قطعة للتعظيم؛ لأن المقام يدل على ذلك، أي قطعة عظيمة من العذاب، أي كأن العذاب شيء مجسم من الممكن تجزيئه وتقطيعه.)[٤]

ومنه قوله ﷺ: (**من يرد الله به خيراً يصب منه**)[٥]، (وجيء بالمفعول به، وهو خيراً نكرة للتعظيم، أي من يرد الله به خيراً عظيماً، وهذا يدل على عظم ثواب الله للمصاب)[٦]

ومنه قوله ﷺ: (**اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي..**)[٧]، والتنكير في قوله: خيراً للتعظيم، أي خير عظيماً لي.

وعليه أيضاً قوله ﷺ: (**اللهم إني قد ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فأغفر لي مغفرة من عندك.**)[٨]

(والتنوين في قوله: مغفرة للتعظيم، أي أنه غفران لا يكتنه كنهه، ويؤيد هذا التعظيم أن المغفرة من عند الله؛ لأن ما يكون من عنده لا يحيط به وصف الواصفين، فهو سبحانه متفضل بالمغفرة.)[٩]

---

(١) من بلاغة الحديث النبوي: ج٣ ص١٤٢.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب النفقات، وأخرجه مسلم.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، وأخرجه مسلم.
(٤) من بلاغة الحديث النبوي: ج٣ ص١٥٧.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب المرضى، وأخرجه أحمد.
(٦) من بلاغة الحديث النبوي: ج٤ ص١٤.
(٧) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، وأخرجه مسلم.
(٨) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، وأخرجه مسلم.
(٩) من بلاغة الحديث النبوي: ج٤ ص١٤٨.

وما جاء من ذلك شعراً، فكقول ابن أبي السمط:[1]

له حاجب عن كل أمر يشينه *** وليس له عن طالب العرف حاجب

والشاهد فيه قوله: (له حاجب، أي مانع عظيم.)[2]

(١) ابن أبي السمط هو حفيد مروان بن أبي حفصة، والعرف: العطاء والمعروف، وأنظره في المفتاح: ص١٩٣.
(٢) مختصر التفتازاني: ج٢ ص١٣٠.

المبحث السادس

إفادة التكثير والتقليل

إفادة التكثير والتقليل

وقد يجئ التنكير للإشارة إلي أن المسند أو المسند إليه قد بلغا مبلغاً كثيراً لا يحاطا بعدده،أو بلغا من القلة بحيث لا يعرفا.

ومما أفاده التكثير قولهم: (أن له لا بلاً،وجعل منه الزمخشري قوله تعالى: (أن لنا لأجراً)[١]، أي أجراً وافراً جزيلاً، ليقابل المأجور عنه من الغلبة على مثل موسى عليه السلام ، فأنه لا يقابل الغلبة عليه بأجر إلا وهو عديم النظير في الكثرة.)[٢]

وجعل منه الزمخشري قول الأعشى:

ورب بقيع لــو هتفــت نحــوه *** أتاني كريم ينفض الرأس مغضباً[٣]

(وهو يريد افواجاً من الكرام ينصرونه، لا كريماً واحداً، ونظيره: رب بلد قطعت، ورب بطل قارعت، وقد اختلس الطعنة، ولا يقصد إلا التكثير.)[٤]

ومما جاء من الأمثلة على إفادة التقليل قوله تعالى: (ورضوان من الله أكبر)[٥]

يقول الزركشي: (أي رضوان قليل من بحار رضوان الله الذي لا يتناهى أكبر من الجنات؛ لأن رضا المولى راس كل سعادة)[٦]

ومنه قوله تعالى: (وتعيها أذنٌ واعية)[٧]

يقول الزمخشري: (فإن قلت: لم قيل أذن واعية على التوحيد والتنكير؟، قلت: للايذان بأن الوعاة فيهم قلة؛ ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم؛ وللدلالة على أن الأذن الواحدة إذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الأعظم عند الله)[٨]

وما جاء في إفادة التنكير والتقليل في الحديث النبوي نذكر قوله ﷺ لرجل أتاه، فقال: أخي يشتكي بطنه، فقال ﷺ: (**أسقه عسلاً**)[٩]

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١١٣.
(٢) البرهان: ج٤ ص٩٢.
(٣) البيت من شواهد الكشاف للزمخشري: ج٤ ص١٠٥.
(٤) الكشاف: ج٤ ص١٠٥
(٥) سورة التوبة، الآية ٧٢.
(٦) البرهان: ج٤ ص٩٣.
(٧) سورة الحاقة، الآية ١٢.
(٨) الكشاف: ج٤ ص١٥١.
(٩) أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، وأخرجه مسلم.

(عسلاً اسم جنس يشمل القليل والكثير، وورد بلفظ النكرة إشارة إلى أن القليل والكثير منه يشفي بإذن الله تعالى.)[١]

بمعنى أن الشفاء من عند الله لا من العسل.

ومنه قوله ﷺ:(**المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء**)[٢]

وفي قوله: (سبعة أمعاء مبالغة في التكثير، كما في قوله تعالى: (والبحر يمده من بعده سبعة أبحر)[٣]، وهذا إشارة إلى أن من شأن المؤمن التقليل من الأكل، لاشتغاله بأسباب العبادة.)[٤]

ومنه تنكير كلمة صدقة في قوله ﷺ: (**ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه.**)[٥]

(وفي هذا الأسلوب وردت كلمة صدقة بصيغة التنكير؛ لتشمل القليل والكثير؛ فالعبرة ليست بقلتها أو كثرتها ، وإنما العبرة بإخلاص النية لله تبارك وتعالى بإعطائها لمستحقيها.)[٦]

وقريب من هذا تنكير كلمة نفقة في قوله ﷺ: (**وما انفقت من نفقة..**)[٧]، أي هي نفقة يبتغي بها صاحبها وجه الله تعالى قليلة كانت أو كثيرة.

(وهذا إشارة إلى أن استحقاق الأجر والثواب من الله عز وجل سواءً أكانت النفقة قليلة أو كثيرة.)[٨]

وهذا الأسلوب فيه نسق قرآني، يقول تعالى: (وما أنفقتم من نفقة، أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه)[٩]

---

(١) من بلاغة الحديث النبوي: ج٤ ص٣٧.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، وأخرجه مسلم.
(٣) سورة لقمان، الآية ٢٧.
(٤) من بلاغة الحديث النبوي: ج٣ ص١٥٥.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، وأخرجه مسلم.
(٦) من بلاغة الحديث النبوي: ج١ ص١١٤.
(٧) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، وأخرجه مسلم.
(٨) من بلاغة الحديث النبوي: ج٣ ص١١٤.
(٩) سورة البقرة، الآية ٢٧.

ومنه تنكير كلمة مضغة في قوله ﷺ: (**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله.**)[١]

يقول البدر العيني: (وفي تنكيرها ما يشير إلى تقليلها تعجباً من أمرها.)[٢]

ومنه تنكير كلمة نداً في قوله ﷺ: (**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**)[٣]

(نداً نكرة، وهي تشمل القليل والكثير، وسواء كان الند قليلاً أو كثيراً إنساً أو جناً أم ملائكة، عاقلاً أو غير عاقل، كالشمس والأقمار والكواكب والأشجار، فهذا كله داخل تحت أعظم الذنب لله تبارك وتعالى)[٤]

ومنه التنكير في كلمة مالاً في قوله ﷺ: (**لا حسد إلا في إثنتين: رجل آتاه الله مالاً...**)[٥]

(ووردت كلمة مالاً نكرة، ليشمل القليل والكثير؛ وليدخل صاحبه باي قدر من المال أهلكه في الحق تحت هذا الحكم)[٦]

ومنه تنكير كلمة ناس في قوله ﷺ:(**وعسى الله أن يرفعك، فينتفع بك ناس..**)[٧]

(وتنكير ناس؛ للتكثير أي ناس كثيرون، وتقديم الجار والمجرور على الفاعل بك؛ للاختصاص، أي بك وبسببك، لا بغيرك يكون الإنتفاع، ويكون الضرر.)[٨]

وعلى هذا فقس أحاديث عديدة وردت بهذا الأسلوب تأمل منها تنكير الكلمات: (شاة، و مجّة، وشيئاً) في أقواله: كقوله ﷺ: (**أولم ولو بشاة**)[٩]

وقوله ﷺ: (**عقلت من النبي ﷺ مجّة مجّها في وجهي..**)[١٠]

وقوله ﷺ: (**فإن الله لن يترك من عملك شيئاً**)[١١]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، وأخرجه مسلم.
(٢) عمدة القارئ: ج١ ص٢٩٥.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الحدود، وأخرجه مسلم.
(٤) من بلاغة الحديث النبوي: ج٤ ص٦٦،٦٧.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، وأخرجه مسلم.
(٦) من بلاغة الحديث النبوي: ج١ ص٣١.
(٧) أخرجه البخاري في كتاب النفقات، وأخرجه مسلم.
(٨) من بلاغة الحديث النبوي: ج٢ ص١٦١.
(٩) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، وأخرجه مسلم.
(١٠) أخرجه البخاري في كتاب العلم، وأخرجه مسلم.
(١١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، وأخرجه مسلم.

وأما من الشعر، فكقول الشاعر:

له همـــم لا منتهى لكبـــارها *** وهمته الصغرى أجلّ من الدهر

(افاد تنكير كلمة همم التكثير والتعظيم، أي همم كثيرة عظيمة، ولذا قال: لا منتهى لكبارها وأجلّ من الدهر، فدل الاول على الكثرة، ودل الثاني على التعظيم والتفخيم.)[1]

ومنه قول الآخر:

وفي السماء نجوم لا عداد لها *** وليس يكسف إلا الشمس والقمر

أراد نجوماً كثيرة؛ ولذا قال: لا عداد لها.

---

(١) علم المعاني: ج١ ص١٤٠.

المبحث السابع

القصد إلى التحقير

القصد إلى التحقير

يعني أن التنكير قد يشير إلى أن المخاطب بلغ في انحطاطه مبلغاً أدى إلى وضاعته.

كقولك: (لك عدو لا يعتد به، أي حقير الشأن لا يقام له وزن، ولا يلقى له بال.)[١]

وهذا كقوله تعالى: (من أي شيء خلقه)[٢]، يقول الزمخشري: (أي من شيء حقير مهين، ثم بينه بقوله: (من نطفة خلقه).)[٣]

وكقوله تعالى: (إن نظن ألا ظناً)[٤]، يقول الزركشي في البرهان: (أي لا يعبأ به، وإلا لا تبعوه؛ لأن ذلك ديدنهم: أن يتبعون إلا الظن)[٥]

وفي هذا تأمل قوله ﷺ: **(إن بين الساعة فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً، ويسمى كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل.)**[٦]

(المراد بالعرض الشيء الحقير من حطام الدنيا، وورد اللفظ منكراً في قوله عرض مع وصفه بقوله قليل؛ ليشير إلى الحقارة والقلة، أي بشيء قليل حقير من الدنيا، ويسمى عرضاً؛ لأنه يزول ولا يدوم، وهذا الأسلوب جملة خبرية يقصد منها التحذير والتخويف)[٧]

وقريب من هذا تنكير كلمة حياة في قوله تعالى في سياق الحديث عن اليهود الذين اعرضوا عن الدعوة: (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة)[٨]

(فكلمة حياة بالتنكير توحي بحرص أولئك اليهود على الحياة الدينا، فورودها منكرة إثبات في معنى التحقير، ودل على حياة حقيرة، وشدة تكالب عليها من قبلهم)[٩]

---

(١) علم المعاني: ج١ ص١٣٨.
(٢) سورة عبس، الآية ١٨،١٩.
(٣) الكشاف: ج٤ ص٥٦٢.
(٤) سورة الجاثية، الآية٣٢.
(٥) البرهان: ج٤ ص٩٢.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، وأخرجه الترمذي.
(٧) من بلاغة الحديث النبوي: ج٣ ص٤٤.
(٨) سورة البقرة- الآية ٩٦.
(٩) من أسرار التعبير في القرآن: ص١٨.

ومنه ما جاء في قوله ﷺ: **(وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه راى شيطاناً.)**[١]

(وردت كلمة شيطاناً نكرة؛ لحقارة هذا الملعون الذي كان سبباً في ضلال البشرية، وفائدة التعوذ من هذا الشيطان المريد الوقاية من شره، وشر وسوسته المستمرة الدائمة.)[٢]

وعليه قوله تعالى: (هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق)[٣]، يقول الزمخشري في تنكير كلمة رجل في الآية: (كان رسول الله ﷺ مشهوراً علماً في قريش، وكان انباؤه بالبعث شائعاً عندهم، فما معنى قولهم:هل ندلكم على رجل ينبئكم؟ فنكّروه لهم، وعرضوا عليهم الدلالة عليه، كما يدل على مجهول في أمر مجهول؟ قلت:كانوا يقصدون بذلك السخرية والتحقير والضحك والتلهي متجاهلين به،وبأمره)[٤]

وأما ما جاء من ذلك شعراً، فكقول إبراهيم بن العباس، وكان والياً على الأهواز من قبل الواثق بالله، ثم عزل في وزارة محمد بن عبد الملك الزيات، فقال مخبراً بنبو الدهرعنه، وتخلي الصاحب، وتسلط الأعداء وغياب النصير:

فلو إذ نبأ دهر وأنكر صـــاحب *** وسلط أعداء وغاب نصير

تكون من الأهواز داري بنجوة *** ولكن مقادير جرت وأمور

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، وأخرجه مسلم.
(٢) من بلاغة الحديث النبوي: ج٣ ص٣٠.
(٣) سورة سبأ، الآية ٧.
(٤) الكشاف: ج٣ ص٣٨١.

(فقد نكّر الدهر؛ ليشير إلى أنه دهر منكر مجهول، وليس الدهر الذي كان يعهده أيام ولايته على الأهواز، ولذا تمنى أن تكون داره بعيدة عنها عندما تغير وتبدل الدهر، وقلب له ظهر المجن.. كما نكّر صاحب؛ ليشير إلى حقارته ولؤمه، ثم تأمل بناء الفعل للمجهول: سلط اعداء؛ إشارة إلى حقارتهم وضعة شأنهم، وأنهم أداة في أيدي الغير، وليسوا من مشاهير الرجال، أما تنكيره نصير في قوله: وغاب نصير؛ فللإشارة إلى تعظيمه وفخامته، وأنه لولا غيابه لما حدث للشاعر ماحدث.)[1]

(١) علم المعاني: ج١ ص١٣٨،١٣٩.

المبحث الثامن

تكرار الاسم مرتين بالتنكير

تكرار الاسم مرتين بالتنكير

إن كان الاسمان المكرران نكرتين، فالاسم الثاني غير الاسم الأول غالباً: (لأن تكرار النكرة يدل على تعددها، فالنكرة الثانية غير النكرة الأولى.)[١]

ويذهب الزركشي في البرهان إلى: (أن النكرة تستغرق الجنس، والمعرفة تتناول البعض؛ فيكون داخلاً في الكل سواء قدم أو أخر.)[٢]

وجاء هذا في نظم عقود الجمان:[٣]

ثم من القواعد المشتهرة *** إذا اتت نكـــــــرة مكـــررة

شاهده الذي روينا مسنداً *** لن يغلب اليسرين عسراً أبدا

ونذكر من لطائف البيان النبوي تكرار لفظ الملائكة في قوله ﷺ: (**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار**)[٤]

حيث ترى فيه أن الأسلوب يفيد كثرة الملائكة؛ لأن اعادة النكرة نكرة تفيد أن الثانية غير الأولى، أي ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، قال تعالى: (وما يعلم جنود ربك إلا هو)[٥]

(وهذا متبع في النسق القرآني، فالله تعالى يقول: (فإن مع العسر يسراً، إن مع العسر يسراً)[٦]، فالعسر واحد واليسر يسران)[٧]، وفيه يقول ﷺ: (**لن يغلب عسر يسرين**)[٨]

ومما يؤيد هذا ما حكاه البهاء السيكي عن ابن الحاجب في اماليه في قوله تعالى: (غدوها شهر ورواحها شهر)[٩]، قال في عروس الأفراح:

---

(١) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني: ص٢٣٩.
(٢) البرهان: ج٤ ص٩٧.
(٣) شرح عقود الجمان: ص١٩.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، وأخرجه مسلم.
(٥) سورة المدثر، الآية ٣١.
(٦) سورة الشرح، الآية ٥،٦.
(٧) من بلاغة الحديث النبوي: ج١ ص١٠٢.
(٨) أخرجه الإمام مالك في كتابه الموطأ.
(٩) سورة سبأ، الآية ١٢.

(الفائدة في إعادة لفظ الشهر الإعلام بمقدار زمن الغدو، وزمن الرواح.)[١]

وقد اضاف الزركشي في البرهان أن الأضمار في هذا المقام غير مستحسن، فقال: (والألفاظ التي تأتي مبينة للمقادير لا يحسن فيها الاضمار.)[٢]

ومنه قوله ﷺ: (**فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً..**)[٣]

(جاء الأسلوب مؤكداً بأنّ، وأسمية الجملة، وحقاً في هذا الأسلوب اسم إنّ، وهي نكرة بالتكرار، وتفيد التعظيم، أي حقاً عظيماً، أو حقاً كبيراً؛ وهذا إشارة إلى أن المسلم عليه أن يهتم بنفسه جسماً وروحاً، وأن يكون هناك تعادل بين الروح والجسد حتى يظل نشيطاً مقبلاً على ربه.)[٤]

ومنه تكرار لفظ كربة في قوله ﷺ: (**ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة.**)[٥]

(وتنكير كربة بتكرارها مرتين يفيد العموم؛ ليشمل أية أزمة من الأزمات من زلازل و السيول ومحن لا يعلم مدها إلا الله، وكربة القيامة أعظم؛ ولذلك لا يفرجها إلا الله عز وجلّ.)[٦]

ومنه تكرار لفظ حلة في قوله ﷺ: (**لقيت اباذر بالربذة، وعليه حلة، وعلى غلامه حلة..**)[٧]

قال البدر العيني: (التنكير في حلة؛ للتعظيم، أي حلة كاملة الجودة.)[٨]

ومما يؤيد ما ذهبنا إليه تأمل دلالة التكرار في لفظ الضعف في قوله تعالى: (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة)[٩]

---

(١) عروس الأفراح: ج١ ص٣٥٦.
(٢) البرهان: ج٤ ص٩٨.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، وأخرجه مسلم.
(٤) من بلاغة الحديث النبوي: ج٣ ص١١٩.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغصب، وأخرجه مسلم.
(٦) من بلاغة الحديث النبوي: ج٢ ص١١٧.
(٧) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، وأخرجه مسلم.
(٨) عمدة القارئ: ج١ ص٢٠٤.
(٩) سورة الروم، الآية ٥٤.

(فالمراد بالضعف الأول النطفة، وبالثاني الطفولة، وبالثالث الشيخوخة.)[١]

وقد جاء تكرار النكرة في الحديث النبوي على نسق القرآن الكريم، ونذكر هنا بعض الأمثلة من الأحاديث النبوية التي تؤدي ما ذهبنا إليه.

من ذلك تأمل دلالة تنكير الالفاظ الآتية وتكرارها: (شعبة، طيب، وخيراً) في الأحاديث النبوية الآتية:

قال ﷺ: (**الإيمان بضع وستون شعبة، والحياة شعبة من الإيمان..**)[٢]

وقوله ﷺ: (**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الاترجة ريحها طيب وطعمها طيب..**)[٣]

وقوله ﷺ: (**اللهم احيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي..**)[٤]

ومما جاء في ذلك شعراً، فكقول ابن أبي السمط:[٥]

فتى لا يبالي المدلجون بنوره *** إلى بابه إن لا تضيء الكــواكب

له حاجب في كل أمر يشينه *** وليس له عن طالب العرف حاجب

قال في الإيضاح: (أي له حاجب أي حاجب، وليس له حاجب ما)[٦]، أي أن التنكير ورد في تكرار حاجب: (فالتنكير في حاجب الأول؛ للتعظيم، وفي الثاني للتحقير.)

ومثله تكرار لفظ جانب بالتنكير في قول الآخر:

ولله مني جانب لا أضيعه *** وللهو مني والخلاعة جانب

فالتنكير في جانب الأول؛ للتعظيم، وفي الثاني للتحقير.

---

(١) من أسرار التعبير في القرآن: ص٣٧.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، وأخرجه مسلم.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، وأخرجه مسلم
(٤) أخرجه البخاري في كتاب المرضى، وأخرجه مسلم.
(٥) هو مروان بن أبي حفصة
(٦) الإيضاح:ج١ ص٣٤٩.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، و(الحمد لله الذي انــزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً.)

والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله، وخاتم الرسل والأنبياء محمد ﷺ وعلى العترة الطاهرة من آله، وعلى الغر الميــامين مــن أصحابه .

إن هذا البحث هو جهد المقل الذي حاولت فيه استقصاء المراد حيث قمت بجمع أمثلة طيبة من الأحاديث النبوية الشريفة التي تمثل تطبيقاً وتحليلاً للأغراض البلاغية للتنكير والتعريف.

ولكن رغم ذلك أجد نفسي عاجزاً عن قطف زهرة يانعة مــن بساتين اللغة العربية العصماء؛ لأنها تمثل لغة القرآن، ولغــة خيــر الخلق أجمعين نبينا محمد ﷺ.

وقديماً قال العماد الأصفهاني: (إني رأيت أنه لا يكتب أحد في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكــان اجمل، وهذا من اجمل العبر، ودليل على استيلاء النقص على جملة البشر.)

هذا وقد حاولت اختصار البحث؛ وذلك لكثرة ما أوردته مــن أمثلة، فجاء بعد مراجعة وجهد من أستاذي المشرف البروفسير بابكر

الجزولي عثمان الذي أرشدني إلى أن يتضمن البحث أمثلة تمس الحاجة المطلوبة التي فيها بلاغ وكفاية، كما يقال: (حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق.)

النتائج والتوصيات:

ومن أهم ما توصلت إليه من خلاصة ونتائج حول هذا الموضوع النقاط الآتية:

١-التأكيد على أن لفظة حديث قد أوردها النبي ﷺ أطلقها هو بنفسه على أقواله المأثورة عنه، أي لأن النبي ﷺ سمى بنفسه قوله حديثاً، وذلك للرد على من يزعم أنها كانت من غيره، ومثلها في ذلك لفظة سنة.

٢-التأكيد على ألفاظه ﷺ، والواردة في أحاديثه فيها نسق قرآني؛ لأنه ﷺ قد تأدّب بأخلاق القرآن، فقد كان خلقة القرآن.

٣-التعرّف على طرق بناء الكلام في الحديث النبوي، واستخلاص الأساليب البلاغية التي تكمن وراء التعبير بالتنكير والتعريف من خلال صحيح الأمام البخاري.

٤-لقد وردت في الحديث النبوي أغراض بلاغية متعددة يفيدها التعبير بالتنكير أو التعبير بالتعريف، وقد وقفت الأحاديث النبوية الواردة في صحيح الإمام البخاري.

٥-تعتبر الضمائر هي الأكثر تردداً في الحديث النبوي؛ لأن النبي ﷺ قد عبّر بها كما عبّر القرآن الكريم من قبل؛ وبذلك فهي تحوي جملة من الأسرار البلاغية مما دعاني لوضعها في بداية البحث.

٦-كما تأتي الأعلام في الحديث النبوي كثيراً، وهي الأسماء، والألقاب، والكنى؛ وذلك لإفادة أغراض بلاغية كثيرة كالمدح والذم والقصر والاختصاص وغيرها.

٧-كما وردت في الحديث النبوي كثير من الموصولات وأسماء الإشارة، وقد أشرت إلى ما اشتمل منها على أسرار بلاغية لطيفة تثير النفس والخيال.

٨-كما وقفت على الدواعي البلاغية التي أفادتها (ال) بنوعيها العهدية منها والجنسية، واتبعتها بجملة من الأحاديث النبوية في الصحيح.

٩-ثم حاولت الكشف عن بعض أسرار التعبير في مقام التنكير، وذكرت جملة طيبة من الأغراض البلاغية التي أفادها التنكير مدعماً ذلك بأمثلة من الأحاديث الصحيحة.

إن البحث في الحديث النبوي لا ينتهي؛ لأن معينه لا ينضب، فهو كالقرآن فصاحة وبلاغة، لذا لا تنتهي عجائبه وأسراره اللغوية والبلاغية، وعلى الباحثين الكشف عن المزيد من الدرر الكامنة وراء التعبير به.

وختاماً أسأل الله عز وجل أن يعين امتنا على إتقان هذه اللغة؛ خدمة لكتاب الله العزيز؛ وللحديث النبوي الشريف، كما أسأله جلَّ

في علاه أن يمنح هذا البحث من القبول ما يكافئ ما أنفقت فيه من الجهد والوقت.

إنتهى بحمد الله

الباحث

الفهارس

١ـ فهرس الآيات القرآنية.
٢ـ فهرس أطراف الأحاديث الواردة في صحيح البخاري.
٣ـ فهرس الشواهد الشعرية.
٤ـ فهرس المصادر والمراجع.
٥ـ فهرس محتويات البحث.

فهرست الآيات القرآنية

الآية	رقمها	السورة
(إياك نعبد وإياك نستعين)	٥	الفاتحة
(ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)	٢	البقرة
(الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون)	٣	البقرة
(والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون)	٤	البقرة
(أولئك على هدى من ربهم أولئك هم المفلحون)	٥	البقرة
(ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم)	٧	البقرة
(وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا)	٢٦	البقرة
(الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون)	٢٧	البقرة
(واستعينوا بالصبر والصلاة وأنها لكبيرة إلا على الخاشعين)	٤٥	البقرة
(ولتجدنهم أحرص الناس على الحياة)	٩٦	البقرة

(قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل واسحق إلهاً واحداً و نحن له مسلمون)	١٣٣	البقرة
(قل ءأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون)	١٤٠	البقرة
(فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله)	٢٧٩	البقرة
(أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)	٢٨٦	البقرة
(فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى)	٣٦	آل عمران
(فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نبتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يامريم آنى لك هذا)	٣٧	آل عمران
(ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو أفتدى به أولئك لهم عذاب أليم)	٩١	آل عمران
(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل)	١٤٤	آل عمران
(كل نفس ذائقة الموت)	١٨٥	آل عمران
(ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فان	١١	النساء

كان له اخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً)		
(اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم)	٦٣	النساء
(والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها النهار خالدين فيها ابداً وعد الله حقاً و من أصدق من الله قيلا)	١٢٢	النساء
(وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نوتى مثل ما أوتي رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالته)	١٢٤	الأنعام
(فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين)	٨٧	الأعراف
(وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبون)	١١٣	الأعراف
(ورضوان من الله أكبر ذلك هو الغفور العظيم)	٧٢	التوبة
(ثم تردون إلي عالم الغيب و الشهادة)	٩٤	التوبة
(وأصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين)	١٠٩	يونس
(ولوا رهطك لرجمناك و ما أنت علينا بعزيز)	٩١	هود
(نحن نقص عليك أحسن القصص)	٣	يوسف
(و أخاف أن يأكله الذئب و أنتم عنه غافلون)	١٣	يوسف
(وراودته التي هو في بيتها عن نفسه)	٢٣	يوسف
(قالت فذا لكن الذي لمتنني فيه و لقد راودته عن	٣٢	يوسف

نفسه فاستعصم)		
(الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها)	٢	الرعد
(الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام)	٨	الرعد
(أدع إلي سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة)	١٢٥	النحل
(ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق)	٣٣	الإسراء
(قال أن سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا)	٧٦	الكهف
(قال هذا فراق بيني و بينك)	٧٨	الكهف
(قل أنما أنا بشر مثلكم يوحي إلي أنما ألهكم اله واحد)	١١٠	الكهف
(قال أني عبد الله أتاني الكتاب و جعلني نبيا)	٣٠	مريم
(أن كل من في السموات و الأرض ألا أتي الرحمن عبدا)	٩٣	مريم
(فلما أتاها نودي يا موسى)	١١	طه
(أني أنا ربك فاخلع نعليك)	١٢	طه
(قلنا لا تخف أنك أنت الأعلى)	٦٨	طه
(فابتعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم)	٧٨	طه
(و جعلنا من الماء كل شئ حي)	٣٠	الأنبياء
(و إذا رءاك الذين كفروا أن يتخذونك ألا هزواً أهذا	٣٦	الأنبياء

الذي يذكر ألهنكم)		
(و من الناس من يجادل في الله بغير علم و لا هدى و لا كتاب منير)	٨	الحج
(فأنها لا تعمي الأبصار و لكن تعمي القلوب التي في الصدور)	٤٦	الحج
(و قل ربي أنزلني منزلا مباركا و أنت خير المنزلين)	٢٩	المؤمنون
(و ليضربن بخمرهن علي جيوبهن و لا يبدين زينتهن الا لبعولتهم)	٣١	النور
(و أن قيل لكم أرجعوا فارجعوا هو أزكى لكم)	٢٨	النور
(مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري)	٣٥	النور
(و إذا رأوك أن يتخذونك ألا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا)	٤١	الفرقان
(و عباد الرحمن الذين يمشون علي الأرض هونا)	٦٣	الفرقان
(أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده و من يرزقكم من السماء و الأرض أ إله مع الله)	٦٤	النمل
(و جاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى أن الملأ يأتمرون بك)	٢٠	القصص

(لله الأمر من قبل و من بعد)	٤	الروم
(الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا و شيبة يخلق ما يشاء و هو العليم القدير)	٥٤	الروم
(و لو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم)	١٢	السجدة
(و قال الذين كفروا هل ندلكم علي رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق)	٧	سبأ
(ولسيلمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر)	١٢	سبأ
(وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون)	١٥٨	الصافات
(قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين)	٨٦	ص
(فاعبد الله مخلصاً له الدين)	٢	الزمر
(ألا لله الدين الخالص)	٣	الزمر
(وقهم السيئأت ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم)	٩	غافر
(وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله)	٢٨	غافر
(وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحاً لعلّي ابلغ الأسباب)	٣٦	غافر

(اسباب السموات فاطلع إلى إله موسى)	٣٧	غافر
(وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)	٦٠	غافر
(وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا)	٣٢	الجاثية
(لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما قلوبهم)	١٨	الفتح
(وما ينطق عن الهوى)	٣	النجم
(ان هو إلا وحي يوحى)	٤	النجم
(فغشاها ما غشّى)	٥٤	النجم
(يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن)	١٢	الممتحنة
(تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير)	١	الملك
(ولا تطع كل خلاف مهين)	١٠	القلم
(همّاز مشّاء بنميم)	١١	القلم
(منّاع للخير معتد أثيم)	١٢	القلم
(عتلّ بعد ذلك زنيم)	١٣	القلم
(لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية)	١٢	الحاقة

(وانه لما قام عبد الله يدعوه)	١٩	الجن
(كما ارسلنا إلى فرعون رسولا)	١٥	المزمل
(فعصى فرعون الرسول)	١٦	المزمل
(وما يعلم جنود ربك إلا هو)	٣١	المدثر
(كل نفس بما كسبت رهينة)	٣٨	المدثر
(وإذا رايت ثم رايت نعيماً وملكاً كبيراً)	٢٠	الانسان
(من أي شيء خلقة)	١٨	عبس
(من أي نطفة خلقه فقدّره)	١٨	عبس
(واما بنعمة ربك فحدث)	١١	الضحى
(فان مع العسر يسراً)	٥	الشرح
(ان مع العسر يسراً)	٦	الشرح
(ان الانسان لفي خسر)	٢	العصر
(إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات)	٣	العصر
(تبت يدا أبي لهب وتب)	١	المسد

فهرست الأحاديث النبوية الواردة في صحيح البخاري

١- كتاب بدء الوحي
ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ ...
من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ...
٢- كتاب الأيمان
ان رسول الله ﷺ اعطى رهطاً ...
إذا انفق الرجل على اهله ...
اني لاعطي الرجل وغيره ...
المسلم من سلم المسلمون من ...
المهاجر من هجر ما نهى الله عنه ...
آية المنافق ثلاث ...
خمس صلوات في اليوم والليلة ...
ألا وإن في الجسد مضغة ...
الإيمان بعض وستون شعبة ...
٣- كتاب العلم
لا تكذبوا عليّ فانه من كذب ...
اللهم علمه الكتاب ...
لن تزال هذه الامة قائمة على أمر الله ...

نعم تربت يمينك فبم يشبهها ولدها؟ ...
ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها ...
ارايتكم ليلتكم هذه ...
بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل ...
مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم ...
عقلت من النبي ﷺ مجة
٤- كتاب الوضوء
كل شراب اسكر فهو حرام ...
لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ ...
ان رجل راى كلباً يأكل الثرى ...
تحته ثم تقرضه بالماء ...
إذا شرب الكلب في أناء أحدكم ...
لا يتوضأ رجل يحسن الوضوء ...
سئل عن فأرة سقطت في سمن ...
٥- كتاب الغسل
ما أحب أن اصبح محرماً ...
كنت اغتسل انا والنبي ﷺ ...
يغسل ما مس المرأة ثم يتوضأ ...
سبحان الله ان المسلم لا ينجس ...

سبحان الله ان المؤمن لا ينجس ...
٦- كتاب الحيض
فان ذلك شيء كتبه الله على بنات آدم ...
٧- كتاب التيمم
أما تذكر أنّا كنا في سفر أنا وأنت ... اعطيت خمساً لم يعطهن احد قبلي ...
٨- كتاب الصلاة
اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم ... صلى رسول الله ﷺ في خميصة له لها فيها أعلام ... قم أبا تراب ... يا اهل الخيمة ما هذا الذي ... إذا اتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ... ان عفريتاً من الجن تفلت عليّ البارحة ... لا يصلي احدكم في الثوب الواحد ... فمن لم يجد النعلين فليلبس الخفين ... البزاق في المسجد خطيئة ... اولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح ... ما بال اقوام يشترطون شروطاً ... هذه القبلة ...

سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد ...
من احب ان يسأل عن شيء فليسأل ...
ارايتم لوان نهراً على باب احدكم ...
٩- كتاب مواقيت الصلاة
كان يصلي الهجير ...
والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها ...
انكم سترون ربكم ...
يتعاقبون فيكم ملائكة ...
١٠- كتاب الأذان
إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول ...
الملائكة تصلي على أحدكم ...
ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء ...
إذا وضع عشاء أحدكم وأقيمت الصلاة ...
الذي تفوته صلاة العصر ...
من اكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا ...
١١- كتاب الجمعة
لو انكم تطهرتم ليومكم هذا ...
١٢- كتاب العيدين
ان أول ما نبدأ في يومنا هذا أن نصلي ...

١٣- كتاب تقصير الصلاة
ان رسول الله ﷺ كان يصلي جالساً ...
١٤- كتاب التهجد
احب الصلاة إلى الله صلاة داود ...
١٥- كتاب الجنائز
قتل مصعب بن عمير وهو خير مني ...
الميت يعذب في قبره ...
الذي يخنق نفسه يخنقها في النار ...
و أما اهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة ...
ما من مولود إلا يول على الفطرة ...
أي اكثر أخذاً للقرآن؟...
١٦- كتاب الزكاة
على كل مسلم صدقة ...
من تصدق بعد تمرة من كسب طيب ...
من أتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته ...
ورجل تصدق بصدقة فأخفاها ...
لا حسد إلا في أثنين ...
فان الله لن يترك من عملك شيئاً ...

١٧- كتاب الحج
فيها جزوز أو بقرة أو شاة ...
أين الذي سأل عن العمرة؟...
١٨- كتاب الصوم
كان النبي ﷺ يقبل ويباشر وهو صائم ...
تسحروا فان في السحور بركة ...
١٩- كتاب البيوع
رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع ...
من ابتاع طعاماً فلا يبعه حتى يستوفيه ...
لا تبيعوا الذهب بالذهب ...
ولا تبيعوا الورق بالورق ...
والبر بالبر رباً ...
أو لم ولو بشأة ...
٢٠- كتاب الحرث
ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا ...
٢١- كتاب المساقاة
لا حمى إلا لله ولرسوله ...
لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي ...
يا غلام أتأذن لي أن أعطي الأشياخ؟...

والذي نفسي بيده لأذودن رجالاً عن حوضي ...
٢٢- كتاب المظالم والغصب
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ... من ظلم من الأرض شيئاً ... المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه ... ومن فرج عن مسلم كربة ...
٢٣- كتاب العتق
اعتقيها فإنها من ولد إسماعيل ... والمرأة راعية في بيت بعلها ... من اعتق عبداً بين اثنين ...
٢٤- كتاب الشهادات
من كان حالفا فليحلف بالله ... من حلف على يمين يستحق بها مالاً ...
٢٥- كتاب الصلح
أنت أخونا ومولانا ...
٢٦- كتاب الوصايا
وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ...
٢٧- كتاب الجهاد والسيرة
إنما يلبس هذه من لا خلاق له ...

تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم ...
لا يخلون رجل بامرأة ...
٢٨- كتاب فرض الخمس
أني أعطي رجالاً حديث عهدهم بكفر ...
والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله ...
٢٩- كتاب الجزية والموادعة
أنا والله محمد بن عبد الله ...
المدينة حرام ما بين عائر إلى كذا ...
كان برجل جراح فقتل نفسه ...
٣٠ كتاب بدء الخلق
ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه ...
لا يزال العبد في الصلاة ما كان في المسجد ...
إن أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه ...
إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ...
من اخذ شيئا من الأرض بغير حقه ...
من اخذ شبرا من الأرض ظلما ...
الملائكة يتعاقبون ...
إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب ...
وإذا سمعتم نهيق الحمار ...

٣١- كتاب أحاديث الأنبياء
نحن أحق بالشك من إبراهيم ...
أنت الذي تقول: والله لأصومن النهار ...
أنا سيد القوم يوم القيامة ...
ليس ذلك وإنما هو الشرك ...
كانت بنوا إسرائيل تسوسهم الأنبياء ...
الكريم بن الكريم بن الكريم ...
اكرم الناس يوسف نبي الله ...
الناس يصعقون يوم القيامة ...
إنما سمي الخضر؛ لأنه ...
فكان من شأنهما الذي قصّ الله في كتابه ...
فان المرأة خلقت من ضلع ...
٣٢- كتاب المناقب
كان في عنفقته شعرات بيض
ألا تعجبون كيف يصرف الله عنى .....
اسلم وغفار و شئ ...
أبني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به ...
٣٣- كتاب فضائل الصحابة
نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى بالليل ...

استقرئوا القران من أربعة ...
فاطمة بصنعة منى ...
هذه يد عثمان ....
رأيتني دخلت الجنة ...
خير الناس قرني ...
لا تسبوا أصحابي ...
٣٤- كتاب مناقب الأنصار
هم أهل الكتاب جزءوه أجزاء ...
نحن أحق بصومه ...
لو أن الأنصار سلكوا وادياً ...
آية الإيمان حب الأنصار ...
اللهم عليك بالملأ من قريش ...
هل أنت مريحي من ذي الخلصة ؟...
هما من طعام الجن ...
أتعجبون من لين هذه ؟...
قوموا إلى خيركم ...
٣٥- كتاب المغازى
انتم خير أهل الأرض ...
أنا النبي لا كذب ...

إن علي بن أبي طالب خرج من عند ...
ما انتم بأسمع لما أقول منهم ...
هذا جبريل اخذ براس فرسه ...
الذي قتل خبيباً هو أبو سروعة ...
أ أنت و حشي ؟...
اهج المشتركين فان جبريل معك ...
لو سلك الناس وادياً ، و سلكت الأنصار ...
هذه طابة ، وهذا أحد ...
إنما عبد المطلب وبنو هاشم شئ واحد ...
إنما سعى النبي ﷺ بالبيت ...
إن قتل زيد فجعفر ...
لا نورث ما تركنا صدقة ...
لو سألتني هذا القضيب ...
يا أبا هريرة هذا غلامك ...
٣٦- كتاب تفسير القرآن
أنتم أحق بموسى منهم ...
إنها طيبة تنفي الخبث ...
إنما هو شرط شرطه الله للنساء ...
أبوه الزبير، وأمه أسماء ...

لن يغلب عسر يسرين ...
قولوا اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك ...
يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ...
كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلم ...
٣٧- كتاب فضائل القرآن
انك كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ...
هي السبع المثاني والقرآن الذي ...
٣٨- كتاب النكاح
إنها ابنة أخي من الرضاعة ...
لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات ...
انتم الذين قلتم كذا وكذا ...
مر رجل على رسول الله ﷺ، فقال: ...
إذا دعي أحدكم إلى وليمة ...
ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه ...
إن الشهر يكون تسعة وعشرين ...
لا يجمع بين المرأة وعمتها ...
بينما أنا نائم رأيتني في الجنة ...
وما أنفت من نفقة ...
فان لجسدك عليك حقاً ...

أنت أخي في دين الله ...
٣٩- كتاب الطلاق
الله يعلم أن أحدكما كاذب ...
في الجمعة ساعة ...
إنما هي أربعة اشهر وعشراً ...
٤٠- كتاب النفقات
خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ...
ألا أدلكم على خير مما سألتما؟ ....
وعسى الله أن يرفعك ...
٤١- كتاب الأطعمة
أنا اعلم الناس بالحجاب ...
المؤمن يأكل في معي واحد ...
هذا جبل يحبنا ونحبه ...
إذا وضع العشاء ...
السفر قطعة من العذاب ...
مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن ...
٤٢- كتاب الذبائح والصيد
إنما هي طعمة اطعمكموها الله ...
إذا أرسلت كلابك المعلمة ...

٤٣- كتاب الأضاحي
شأتك شاة لحم ...
٤٤- كتاب الاشربة
كل شراب اسكر فهو حرام ... اسقه عسلا ... الذي يشرب في إناء الفضة ...
٤٥- كتاب المرضى
من يرد الله به خيرا يصيب منه ...
٤٦- كتاب الطب
من تصبح سبع تمرات عجوة ... ما انزل الله داء إلا انزل له دواء ...
٤٧- كتاب اللباس
هذا الذي تزعمين ما تزعمين ... إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون ... لا يد خلن هؤلاء عليكن ... لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة ... أتى رسول الله ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء ...
٤٨- كتاب الأدب
أنت مع من أحببت ...

إياكم والظن ...
إن له مرضعا في الجنة ...
سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي ...
ليس الشديد بالصرعى ...
إذا احب الله عبدا نادى جبريل ...
عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي ...
أتاني رجلان فجلس أحدهما عند رجلي ...
إذا لم تستحي فاصنع ما شئت ...
هل أنت إلا اصبع دميت ...
تجد من شرار الناس يوم القيامة ...
إنما المفلس الذي يفلس يوم القيامة ...
فهل لك من ابل؟ ...
ألا أخبركم بأهل الجنة ...
٤٩- كتاب الاستئذان
يا معاذ قلت: لبيك و سعديك ...
٥٠- كتاب الدعوات
سيد الاستغفار أن تقول ...
اللهم لك الحمد أنت نور السموات ...
الله افرح بتوبة عبده ...

لله تسعة وتسعون اسماً ...
أو لم تسمعي أني أرد ذلك عليهم ...
اللهم أيما مؤمن سببته ...
هذا جبيل يحبنا ونحبه ...
لله افرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلا ...
اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي ...
٥١- كتاب الرقاق
لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني ...
بعثت أنا والساعة كهاتين ...
أنا الملك، أين ملوك الأرض؟ ...
أنا فرطكم على الحوض ...
وهذه الدواب التي تقع في النار ...
هذا الإنسان، وهذا اجله ...
يدخل أهل الجنة الجنة ...
إن أهل الجنة ليتراءون الغرف ...
يخرج قوم من النار ...
يأتي على الناس زمان ...
٥٢- كتاب القدر
الله اعلم بما كانوا عاملين ...

لله ما اخذ، ولله ما أعطى ...
٥٣- كتاب الإيمان والنذور
نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ...
إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ...
٥٤- كتاب الفرائض
إن مجززا المدلجي دخل عليّ ...
نزل تحريم الخمر، وهي من خمسة ...
٥٥- كتاب الحدود
أن تجعل لله ندا، وهو خلقك ...
٥٦- كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم
أو ليس من أهل بدر؟ ...
٥٧- كتاب الإكراه
إن أباها زوجها، وهي ثيبّ ...
المسلم أخو المسلم لا يظلمه ...
٥٨- كتاب الحيل
إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إليّ ...
٥٩- كتاب التعبير
بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب ...
أما هو فوالله لقد جاءه اليقين ...

٦٠- كتاب الفتن
أنا على حوضي انتظر ...
إنها زوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة ...
المدينة يأتيها الدجال ...
اشهد انك الدجال ...
هو أهون على الله من ذلك ...
من يوقظ صواحب الحجرات ...
إن بين يدي الساعة فتن ...
٦١- كتاب الأحكام
ما بال العامل نبعثه ...
٦٢- كتاب التمني
لو لا أن اشق على أمتي لأمرتهم ...
٦٣- كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة
و أني أنا النذير العريان ...
إنما المدينة كالكير ...
ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء ...
أتاني الليلة آت من ربي ...
ما بين بيتي ومنبري روضة ...

٦٤- كتاب التوحيد
أنا عند ظن عبدي بي ...
إنّا قافلون غداً إن شاء الله ...
هذه خديجة أتتك بإناء فيه طعام ...
أنت آدم الذي أخرجت ذريتك من الجنة ...
لو سألتني هذه القطعة ما اعطيتكها ...
يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة ...
قال الله عز وجل: ومن اظلم ممن ذهب ...
اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ...

فهرست الشواهد الشعرية

حرف الهمزة

فـــان ابـــي ووالـــده وعـــــرضي *** لعـــرض محمـــد منكـــم وقـــاء
انمـــا مصـــعب شهـــاب من اللـــــ***ـــــه تجلب عن وجـــهه الظـــماء
من البيض الوجـــوه بنـــي سنـــان *** لو انك تستضـــئ بهـــم اضـــاءوا
هم حلـــوا من الشـــرف المعلـــى *** و من حسب العشـــيرة حيث شاءوا

حرف الباء

هن عوادي يـــوسف وصواحبـــه *** فغـــرما فقدما ادرك السئول طالبه
اكنيـــه حين انـــاديه لاكـــرمـــه *** ولا ألقبـــه و الســـــــوأة اللـــــقب
اخوك الـــذي ان تدعه لملمـــة *** يحبك وان تغضب إلى السيف يغضب
أو لبيـــــان حالـــه من قـــرب *** أو بعـــد أو تحقيره في بالقـــــرب
لـــه حـــاجب عن كل أمر يشينه *** وليس له عن طالب القرب حاجب
ورب بقيـــع لـــوهتفت نحـــوه *** اتانـــي كريم ينفض الرأس مغضباً
فتى لا يبالـــي المدلـــجون بنوره *** إلى بابه ان لا تضـــيء الكـــواكب
ولله منـــي جـــــانب لا اضيـــعه *** وللهـــو منـــي والخـــلاعة جانب

حرف الحاء

أعبـــاد المســـيح يخـــاف صحبي *** ونحن عبيد من خلـــق المســـيحا

حرف الدال

المسلـــمون بخـــير مـــا بقيت لهم *** ولـــيس بعـــدك خـــير حين تفتقد
الله يعلـــم مـــا تركـــت قتالـــــهم *** حتى علوا فرســـي باشـــقر مزبد
نحـــن الـــذين بـــــايعوا محـــمد *** على الجـــهاد مـــا حيينـــا ابـــــدا

نبئت ان ابا قـــابوس اوعــدني *** ولا قرار علــى زأر من الاســـد
صبا ماصبا حتى علا الشيب رأسه*** فلمـــا عـــلاه قال للبـــاطل ابـــعدا
اولئك قوم ان بنوا حسنـــوا البنـــا *** وان عاهدوا اوفوا وان عقدوا شدوا
ثـــم بـــ(ال) اشـــارة لمـــا عهـــد *** أو لحقيقـــة وربمـــــا تـــــــرد
إذا انت اكرمـــت الكـــريم ملكته *** وان انت اكـــرمت الـــلئيم تمـــردا
هو الرجل المشروك في جل ماله *** ولكنـــه بالمـــجد والحـــمد مفـــرد
شاهدهـــا الذي روينـــــا مسنـــدا *** لـــن يغـــلب اليسرين عسراً ابـــدا

حرف الزاي

واســـم اشـــارة لكـــي يمـــــيزا *** اكمـــــل تمييز كهـــذا من غـــــزا

حرف الراء

فمـــا لـــذى غيبـــــه أو حضـــور *** كـــأنت وهـــو ســـم بالضمـــــير
وان صخـــرا لتـــأتم الهـــداة بـــه *** كأنـــه علـــم فـــي رأســـه نـــــار
اللهم لا عيـــش إلا عيـــش الآخرة *** فـــاكـــرم الانصـــار والمهاجـــرة
اللهـــم ان الاجـــر اجـــر الاخـــرة *** فارحـــم الانصـــار والمهاجـــرة
وان صخـــرا لمـــولانا وسيـــدنـــا *** وان صخـــرا اذ نشـــتو لنحـــار
بالله يا ظبيات القـــاع قـــلن لـــــنا *** ليـــلاي منكـــن أم مـــن البـــشر
إذا تأمـــل شخـــص ضيف مقبـــل *** متسربـــل سربـــال لـــيل اغبـــر
أو ما إلى الكومـــاء: هذا طـــارق *** نحرتني الاعـــداء ان لـــم تنحري
لحـــا الله صعلوكـــا إذا جنّ ليـــله *** مصافـــي المشاش آلفا كل مجزر
ينام ثقيـــلا ثم يصبـــح قـــــاعدا *** يحـــث الحصـــى عن جنبه المتعفر
يعـــين نســـاء الحـــي ما يستعنه *** فيضحى طليحـــــا كالبعير المحسر

ولكن صعلــوكا صبيحة وجــهه *** كضــوء سراج القــابس المتنــور
مطــلا علــى اعدائه يزجــرونه *** بساحتــهم زجر المــنيح المشــهر
وان بعدوا لا يــامنــون اقترابــه *** تشــوق اهــل الغــائب المتنظــر
فذلــك ان يلــــق المنيــة يلقــها *** حميــدا وان يستغن يوما فاجــدر
والخل كالماء يبدو لي ضمائــره *** مع الصــــفاء ويخفيها مه الكــدر
هــو الواهــب المئة المصطــفاة *** امــــا مخاضــا، وامــا عشــارا
ابوك حباب سارق الضيف بــرده *** وجدى ياحجــاج فــارس شمــرا
له هــمم لا منتهــى لكبــارهــا *** وهمته الصغرى اجل من الدهــر
وفي السماء نجــوم لا عداد لــها *** وليــس يكسف إلا الشمس والقمر
فلو اذ نبــأ دهر وانكــر صاحب *** وسلــط اعــداء وغــاب نصيــر
تكون من الاهواز داري بنجــوة *** ولــــكن مــقادير جــرت و امر
ثــم من القــواعــد المشتهــرة *** اذا اتــــت نكــــــرة مكــــررة

حرف السين

تقول وقد دقت نحــرها بيمينــها *** أبعلــي هذا بالرحــا المتقاعــس
فقلــت لــها: لا تعجبــي وتبيني *** بلائــي اذا التفت علي الفــوارس

حرف العين

المــت وهل المــامها لــك نــافع *** وزارت خيالا و العيون هواجــع
بعيد مقيل الصدر لا يــدرك التــي *** يحاولها منــه الاريب المخــادع
اولئــك ابــائي فجئنــي بمثلــــهم *** اذا جمعــتنا يا جرير الجوامــع

حرف الفاء

وعلــم لاجــل ان يحــــضر فــي *** ذهــن بعينــه بــاسمه الوفــي

إلـــى حقيـــقـــي وعـــــرفي فـــي *** فـــرد من الجمع اعلـــم فـــاقتفي

حرف القاف

مضى بها ما مضى من عقل شاربها *** وفي الزجاجة باقي يطلب الباقي
كـــم عـــاقل عاقـــل اعيت مـــذاهبه *** وجاهل جاهل تلقاه مرزوقـــــاً
هذا الـــذي تـــرك الاوهـــام حـــائر *** وصيرا العـــالم والنحرير زنديقا
هو أي مع الركب اليمانين مصـــعدا *** جنيب وجثماني بمكـــة مـــوثق

حرف اللام

وان علـــى ضمـــير رفـــع متصل *** عطفت فافصل بالضمير المنفصل
وكـــــونـــه بعلـــــم ليحـــصـــلا *** يذهـــب سامـــع بشخـــــص اولا
بيمن ابي اسحاق طالـــت يد العلى *** وقامت تقناة الدين واشتـــد كاهلـــه
هوالبحر من أي النواحـــي اتيتـــه *** فلجته المعروف و الجود ساحلـــه
او فقـــد علـــم سامع غير الصلـــة*** كـــان مـــا يهـــدي اليـــــك يعملة
ايمـــاء او توجـــه الســـامع لـــه *** او فقـــد علـــم سامـــع غير الصلة
فان الـــذي قـــيل لـــيس بـــلائط *** ولكنـــه قـــول امرئ بي ماحـــــل
فا كـــنت قلـــت الـــذي زعمتـــمو*** فـــلا رفعت سوطـــي إلى اناملي
وبإشـــــارة لكشـــــف الحـــــال *** من قـــرب أو بعـــد أو إستجهـــال
بنو مطـــر يـــوم اللقـــاء كأنـــهم *** اســـود لهـــا في غيـــل خفان اشبل
أولاد جفنـــة حـــول قبر أبيـــهم *** قبـــر ماريـــة الكـــــريم المفضـــل

حرف الميم

وأنت الذي أخلفتنـــي ما وعـــدتني *** و اشمـــت بـــي من كان فيك يلوم
يا أخـــت أندلـــس علـــيك ســـلام *** هـــوت الخلافة عنـــك و الإســـلام

أنا الــذي نظر الأعمـــى إلى أدبي *** و أسمعت كلمـــاتي من به صـــمم
ألا يـــا نخلـــة مـــن ذات عـــرق *** علـــيك ورحمـــة الله الســـــلام
سألت النـــاس عنـــك فخبـــروني *** هنـــاء من ذاك يكـــرهه الكـــرام
ولـــــيس بما احـــل الله بـــــأس *** إذا هو لـــم يخـــالطه الحـــــرام
هذا أبو الصقر فردا في محـــاسنه *** من نسل شيبان بين الضال و السلم
وللّه صعلـــوكـــا يســـاور هـــمّه *** ويمضي على الأحداث والدهر مقدما
إذا ما رأى يوما مكارم أعرضت *** تيـــمم كبـــــراهن ثمـــت صـــمما
ويغشى إذا ما كان يوم كريهـــة *** صدور المعـــالي وهو مختضب دما
إذا الحرب أبدت ناجذيها وشمرت *** و ولـــى هـــدان القوم اقبل معلمـــا
فذلـــك أن يهلـــك فحســـنى ثناؤه *** وان عـــاش لم يقعد ضعيفا مـــذمما
أو غـــاية التـــمييز والتعظـــــيم *** و الحـــــط و التنـــبيه والتفخـــــيم
كالنكـــرة معنى والإفـــراد تعـــم *** حقيقـــة كعـــالم الغيـــــب قـــــدم
وكـــونـــه فـــي النحـــو علـــــم *** لكـــــن الاستغـــراق فيـــه ينـــقسم
فلا وأبي الطير المربة بالضـــحى *** على خالـــد لقد وقعت على لـــحم

حرف النون

ورثنا المجد قـــد علـــمت معـــد *** نطـــاعـــن دونـــــه حتـــى بـــينا
ونحـــن إذا عمـــاد الحي خرت *** على الأخفـــاض نمنـــع مـــن يلـــينا
و الأصل في المخـــاطب التعيين *** والتـــــــــرك للشمـــول مستبـــين
والأصل في الخطاب أن يعينـــا *** مخـــــــاطبا وفقـــد ذاك يعتـــــني
أنا المرعث لا أخفى على أحـــد *** ذرت بـــي الشمس للقاصي وللداني
قلت لـــترب عنـــدها جـــالســـة *** فـــي قصرها:هذا الـــذي اراد مـــن

قلت فتى يشكو الغرام عاشـــــق *** قالت: لمن، قلت: لمـــن، قالت: لمن
أو الإشـــــارة إلـــى وجه البنـــا *** لخـــبر و قـــــد يكـــــون ذاهنـــــا
أو أحـــد لـــعهده فـــــي الـــذهن *** نحو: ادخل الســـوق و لا عهد عني
ولقد أمرّ علـــى اللـــئيم يسبنـــي *** فمضيت ثمـــت قلـــت: لا يعنيـــني

حرف الهاء

اســـاميا لـــم تـــــزده معـــرفة *** و إنمـــــا لـــــذة ذكـــــــــــرناها
أتحســـبني بين المـــدينة والتـــي*** إليهـــا رقاب النـــاس يهوي منـــيبها
لكـــــل داء دواء يستطب بـــه *** إلا الحمـــاقة أعيت مـــــن يـــداويها

فهرس المصادر والمراجع

أولا المصادر

١- القرآن الكريم .

٢- أساس البلاغة: تأليف – جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري- (د.ط- دار صادر- بيروت:١٩٧٩م).

٣- أدب الكاتب: لابن قتيبة، (ط١ – دار الكتب العلمية- بيروت:د.ت).

٤- التجريد في علم المعاني: سعد الدين التفتازاني، (د.ط- مطبعة السعادة- بجوار محافظة مصر: ١٣٣١هـ).

٥- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري : القسطلاني- (ط١- دار الفكر – بيروت: ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م)- الجزء الأول.

٦- المخصص: ابن سيدة المرسى النحوي اللغوي الأندلسي – (ط١ – المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحلية: ١٣١٩هـ) – السفر١٢.

٧- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية): لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسين الكفوي – تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري – (ط١- مؤسسة الرسالة- بيروت: ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م).

٨- الفائق في غريب الحديث: للعلامة الزمخشري- ضبطه وصححه وعلق على حواشيه: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم- (ط١ – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة : ١٣٦٤هـ – ١٩٤٥م) الجزء الأول.

٩- النهاية في غريب الحديث والأثر: للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير) – تحقيق: محمود محمد الطناحي، وطاهر أحمد الراوي- (د.ط – دار إحياء التراث العربي – بيروت: د.ت) الجزء الأول.
١٠- البيان و التبيين: لأبي عثمان الجاحظ- تحقيق عبد السلام محمد هارون، (ط٥ – مكتبة الخانجي – القاهرة: ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م).
١١- الموازنة: للآمدي- (ط٢ – دار المعارف- القاهرة: د.ت).
١٢- السيرة النبوية: لابن كثير- تحقيق: مصطفى عبد الواحد، (د.ط، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – القاهرة: ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م).
١٣- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: لأبي الفتح ضياء الدين بن الأثير – تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد- (د.ط – دار المكتبة العصرية بصيدا – بيروت: ١٩٩٥م).
١٤- الكشاف: للعلامة محمود بن عمر الزمخشري- (ط٢ – دار الفكر- بيروت: ١٩٧٧م).
١٥- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – (ط٢- دار التراث – القاهرة: د.ت)، الجزء الثاني.
١٦- بغية الإيضاح: تأليف – عبد المتعال الصعيدي- (ط٢- مكتبة محمد علي صبيح وأولاده – القاهرة : د.ت).

١٧- تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور- (د.ط- دار سحنون للنشر والتوزيع- تونس: د.ت).
١٨- تقرير الانبابي على السعد: تأليف- العلامة شمس الدين الانبابي - (د.ط- مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر: ١٣٣١هـ).
١٩- تحرير التحبير : لابن أبي الإصبع المصري- تحقيق : حنفي محمد شرف - (د.ط- القاهرة: ١٣٨٣هـ).
٢٠- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: لابن مالك- (د.ط- المكتبة العربة - القاهرة: ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م).
٢١- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: للحافظ المتقن جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي- حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف- (ط١- مؤسسة الرسالة - القاهرة : ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).
٢٢- تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلاني- (ط١- دار صادر- بيروت : ١٣٢٦هـ).
٢٣- دلائل الإعجاز: تأليف - عبد القاهر الجرجاني النحوي- تحقيق : محمود محمد شاكر- (د.ط- مكتبة الخانجي - القاهرة: د.ت).
٢٤- ديوان المعاني الكبير: لأبي هلال العسكري - (د.ط- مكتبة القدس- القاهرة: د.ت).
٢٥- ديوان أبي الطيب المتنبئ بشرح أبي البقاء العكبري- ضبطه وصححه: مصطفى السقا وآخرون- (ط١- دار الفكر- بيروت:١٩٧٧م).

٢٦- حاشية الدسوقي على شرح السعد: ضمن شروح التلخيص (د.ط – دار السرور- بيروت:د.ت).
٢٧- حاشية الصبان على شرح الاشموني- تحقيق: مصطفى حسين أحمد – (د.ط – دار الفكر – بيروت: د.ت).
٢٨- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: تأليف- محمد محي الدين عبد الحميد – (د.ط – الدار السودانية للكتب- الخرطوم- ١٩٩٤م).
٢٩- شرح السعد: القزويني- (د.ط مطبعة السعادة بالسكة حديد بمصر: ١٣٣١هـ).
٣٠- شرح المفصل للزمخشري: تأليف – أبي البقاء يعيش بن علي ابن يعيش الموصلي- قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: اميل بديع يعقوب- (ط١ – دار الكتب العلمية- بيروت:١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م).
٣١- شرح الجوهر المكنون : للشيخ احمد الدمنهوري- (د.ط- دار إحياء الكتب العربية – القاهرة: د.ت).
٣٢- شرح عقود الجمان: للعلامة السيوطي- (د.ط – دار إحياء الكتب العربية، لاصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه- القاهرة: د.ت).
٣٣- شرح الإيضاح : محمد عبد المنعم خفاجى- (ط٢ – مكتبة الكليات الأزهر –٠ القاهرة: د.ت).

٣٤- شرح المطول : أحد حواشي شرح تلخيص المفتاح: تأليف – عبد الرحمن الشربيني- (ط١ مطبعة مدرسة والدة عباس الأول- القاهرة : ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م).
٣٥- شرح شذور الذهب: جمال الدين بن هشام الأنصاري- قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: اميل بديع يعقوب- (ط١ – دار الكتب العلمية- بيروت : ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
٣٦- عمدة القارئ لشرح صحيح البخاري : بدر الدين أبي محمد محمود بن احمد العيني- (د.ط – دار إحياء التراث العربي- بيروت: د.ت).
٣٧- فيض الفتاح على حواشي شرح تلخيص المفتاح: تأليف – عبد الرحمن الشربيني- (ط١ – مطبعة مدرسة والدة عباس الأول- القاهرة: ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م).
٣٨- فتح الباري لشرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني- تصحيح وتحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز- (د.ط مؤسسة مناهل العرفان- بيروت: د.ت).
٣٩- كتاب العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي- تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي- (د.ط – دار مكتبة الهلال- القاهرة: د.ت).
٤٠- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: تأليف- يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني- (د.ط – مطبعة المقتطف بمصر: ١٣٣٢هـ- ١٩١٤م).

٤١- كتاب التاريخ الكبير: للإمام الحافظ لأبي عبد الله البخاري- تحقيق: مصطفى عبد القادر احمد عطا- (ط١ – دار الكتب العلمية- بيروت: ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م).
٤٢- لسان العرب : لابن منظور – تحقيق : عبد الله علي الكبير و آخرون- (د.ط – دار المعارف – القاهرة: د.ت).
٤٣- صحيح البخاري: للإمام أبي عبد الله البخاري: طبعة جديدة ومنقحة للشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، واعتنى به: أبو عبد الله محمود بن الجميل: (ط١ – مكتبة الصفا- القاهرة:١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م).
٤٤- معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا- تحقيق: عبد السلام محمد هارون – (ط١- دار الجيل- بيروت: ١٤١١هـ -١٩٩١م).
٤٥- مختصر التفتازاني: القزويني ، وعليه حاشية التحرير تقرير الشمس الانبابي- (ط٢ – ١٣٥٧هـ).
٤٦- مفتاح العلوم: لأبي يعقوب السكاكي- تحقيق : نعيم زرزور- (ط٢- دار المكتبة العلمية – بيروت: ١٩٨٧م).
٤٧- ميزان الاعتدال في نقد الرجال: للعلامة الذهبي- تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل احمد عبد الموجود- (ط١- دار الكتب العلمية- بيروت :١٤١٦هـ- ١٩٩٥م).
٤٨- نهاية الإيجاز في دراية الأعجاز: للإمام فخر الدين الرازي- تحقيق : بكري شيخ أمين – (ط١- دار العلم للملايين- بيروت: ١٩٨٥م).

٤٩- مواهب الفتاح: ضمن شروح التلخيص- لابن يعقوب المغربي- (د.ط- دار السرور- بيروت: د.ت).
٥٠- عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: بهاء الدين السبكي- (د.ط – دار السرور- بيروت: د.ت).

ثانيا: المراجع

١- الإمام البخاري محدثا وفقيها: تأليف – الحسين عبد المجيد هاشم- (د.ط- الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة:د.ت).

٢- الحديث النبوي (مصطلحه- بلاغته- كتبه):تأليف – محمد بن لطفي الصباغ- (ط٤ – المكتبة الإسلامية- بيروت- دمشق:١٤٠١هـ- ١٩٨١م).

٣- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: تأليف- محمد حسنين أبو موسى- (ط٢-مكتبة وهبة دار التضامن – القاهرة :١٩٨٨م).

٤- النحو الوافي : تأليف- عباس حسن- (ط٩- دار المعارف-القاهرة: د.ت).

٥- المعاني في ضوء أساليب القرآن: تأليف- عبد الفتاح لاشين- (ط٣ – دار المعارف- القاهرة: ١٩٧٨م).

٦- إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني: تأليف- صلاح عبد الفتاح الخالدي- (ط١ – دار عماد للنشر والتوزيع- عمان:١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م).

٧- بلاغة الكلمة والجملة والجمل: تأليف – منير سلطان- (د.ط –منشأة المعارف – الإسكندرية :د.ت).

٨- جواهر البلاغة : تأليف – السيد المرحوم احمد الهاشمي- ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي-(د.ط- المكتبة العصرية- بيروت:١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م).

٩-خلاصة المعاني :تأليف الحسن بن عثمان بن الحسين المفتي- تحقيق ودراسة عبد القادر حسين- (د.ط- دار الاعتصام- بيروت: د.ت).
١٠- فنون البلاغة: تأليف – محمد محمود شاهين- (ط٢ – دار المعارف – القاهرة :د.ت)- الفن الأول في علم المعاني .
١١- فصول من علوم البلاغة: تأليف – محمد الجنيدي جمعة حسنين- (ط٣- دار الطباعة المحدبة بالأزهر- القاهرة : ١٩٧٠م).
١٢- علم المعاني : تأليف – بسيوني عبد الفتاح فيود- (ط١- مطبعة السعادة- القاهرة :١٩٨٨م).
١٣- علوم البلاغة : تأليف – احمد مصطفى المراغي- (ط٢ –دار الكتب العلمية- بيروت :١٩٨٦م).
١٤- من أسرار التعبير في القرآن (صفاء الكلمة): تأليف – عبد الفتاح لاشين- (د.ط – دار المريخ للنشر- الرياض: سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
١٥- من بلاغة الحديث النبوي: تأليف – محمد احمد سحلول- (ط١ دار الاعتصام – القاهرة : ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

محتويات البحث

الموضوع	الصفحة
المقدمة	(١)
التمهيد:	(١١)
١- مفهوم الحديث النبوي	(١٢)
٢- بلاغة الرسول ﷺ في أداء الحديث النبوي	(١٣)
٣- ترجمة الإمام البخاري	(١٨)
٤- خصائص صحيح البخاري	(٢١)
الفصل الأول:	
الأسرار البلاغية للتعريف بالضمائر	(٢٣)
المبحث الأول	(٢٤)
التعبير بضمير المتكلم	(٢٤)
١- مفهوم التعبير بالضمير	(٢٥)
٢- دلالة التعبير بضمير المتكلم وحده	(٢٦)
٣- دلالة التعبير بضمير المتكلم المعظم نفسه	(٢٨)
المبحث الثاني	(٣٠)
التعبير بضمير الخطاب	(٣٠)
١- مفهوم التعبير بضمير الخطاب	(٣١)
٢- دلالة التعبير بضمير الخطاب على المعين المشاهد	(٣٢)
٣- ما ينزل منزلة المخاطب المعين	(٣٣)
٤- ما ينزل منزلة المخاطب المشاهد	(٣٤)

المبحث الثالث (٣٧)
التعبير بضمير الغيبة (٣٧)
١- مفهوم التعبير بضمير الغيبة (٣٨)
٢- دلالة اللفظ التحقيقي على ضمير الغيبة (٣٩)
٣- دلالة اللفظ التقديري على ضمير الغيبة (٤٠)
٤- دلالة المعنى لدلالة اللفظ على الغيبة (٤١)
٥- دلالة القرينة الحالية على الغيبة (٤٢)
٦- دلالة ضمير الشأن والقصة على الغيبة (٤٢)
المبحث الرابع (٤٥)
صور من أساليب التعبير بالضمير (٤٥)
١- أسلوب التوكيد بضمير الفصل (٤٦)
٢- دلالة التعبير بالضمير على القصر والاختصاص (٤٨)
٣- أهمية تقديم الضمير وتأخيره (٤٩)
٤- دلالة التعبير بالضميرين (٥٠)
الفصل الثاني
الأسرار البلاغية للتعريف بالعلمية (٥٤)
المبحث الأول (٥٥)
الأسرار البلاغية لتعريف الاسم بالعلمية (٥٥)
١- مفهوم الاسم العلم (٥٦)
٢- دلالة الاسم بالغلبة على العلمية (٥٧)
٣- دلالة إحضار الاسم للعلمية (٥٩)

٤- قيود إحضار الاسم للعلمية (٦١)
٥- دواعي إحضار العلمية بالابتداء (٦٣)
المبحث الثاني (٦٩)
الأسرار البلاغية للتعريف بالألقاب وكنى (٧٠)
١- مفهوم اللقب (٧٠)
٢- مفهوم الكناية بالعلمية (٧٢)
٣- دلالة الكناية على العلمية (٧٤)
المبحث الثالث (٧٧)
صور من أساليب التعبير بالعلمية (٧٨)
١- دلالة العدول من علم إلى علم (٧٨)
٢- أهمية التقديم في الأعلام (٨٠)
٣- دلالة العلم على القصر والاختصاص (٨٢)
٤- أهمية العلم في جملة الشرط (٨٥)
الفصل الثالث
الأسرار البلاغية للتعبير بالأسماء المبهمة (٨٧)
المبحث الأول (٨٨)
أسرار التعبير بالاسم الموصول (٨٨)
١- التخصيص بجملة الصلة (٨٩)
٢- دواعي الإبهام في التعبير بالموصول (٩١)
٣- تقرير الغرض المسوق له الكلام (٩٤)
٤- العدول عن التصريح بالاسم الظاهر (٩٧)

٥- الإيماء إلى وجه بناء الخبر (١٠٠)
المبحث الثاني (١٠٣)
أسرار التعبير باسم الإشارة (١٠٣)
١- كمال العناية في التمييز بالإشارة (١٠٤)
٢- الإظهار في مقام الإضمار (١٠٦)
٣- تأكيد استحقاق المبتدأ للخبر (١١٠)
٤- إفادة التعظيم باسم الإشارة (١١٣)
٥- إفادة التحقير والإهانة باسم الإشارة (١١٧)
الفصل الرابع
أسرار التعبير بـــ(ال) والإضافة (١٢١)
المبحث الأول (١٢٢)
دواعي التعبير بـــ(ال) العهدية (١٢٢)
١- الإشارة إلى معهود صريح (١٢٣)
٢- الإشارة إلى معهود كنائي (١٢٥)
٣- الدلالة على العَلم والحضور (١٢٧)
المبحث الثاني (١٢٩)
دواعي التعبير بـــ(ال) الجنسية (١٢٩)
١- الإشارة إلى الجنس دون النظر للإفراد (١٣٠)
٢- الإشارة إلى فرد مبهم (١٣٢)
٣- الإشارة إلى المبالغة في الخبر (١٣٥)
٤- الإشارة إلى الاستغراق في الجنس (١٣٨)

المبحث الثالث (١٤٣)
تكرار الاسم مرتين معرفاً بـــ(ال) (١٤٤)
المبحث الرابع (١٤٧)
دواعي التعبير بالإضافة (١٤٧)
١- إرادة الإيجاز والاختصار (١٤٨)
٢- إفادة التعظيم و التشريف (١٥١)
٣- إفادة التحقير والتوبيخ (١٥٣)
٤- إرادة الاستعطاف والحث على الشفقة (١٥٥)
الفصل الخامس
أسرار التعبير في مقام التنكير (١٥٧)
١- خصوصية السياق في مقام التنكير (١٥٨)
٢- إفادة العموم والشمول (١٦١)
٣- القصد إلى الإفراد (١٦٩)
٤- إفادة النوعية والتخصيص (١٧٢)
٥- القصد إلى التعظيم (١٧٦)
٦- إفادة التكثير أو التقليل (١٨٠)
٧- القصد إلى التحقير (١٨٥)
٨- تكرار الاسم مرتين بالتنكير (١٨٩)
الخاتمة والنتائج (١٩٣)
الفهارس : (١٩٦)
١- فهرس الآيات القرآنية (١٩٧)

٢- فهرس الأحاديث الواردة في صحيح البخاري (٢٠٣)
٣- فهرس الشواهد الشعرية (٢١٨)
٤- فهرس المصادر والمراجع (٢٢٣)
٥- فهرس محتويات البحث (٢٣٠)